آيات الله فى الآفاق

أو

طريق القرآن الكريم فى العقائد

" سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " فصلت
" وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون " الذاريات

تأليف

محمد أحمد العدوى
من العلماء

الطبعة الاولى فى سنة ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م

مطبعة المنار بمصر

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢)
مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّآ أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ (٣) قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ
لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ
كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ (٦) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ
مُّبِينٌ (٧) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ
ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ، كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٨) قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي
مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ
مُّبِينٌ (٩) الاحقاف

مضى على المسلمين زمن غير قليل ومرجعهم في عقائد الدين كتاب ربهم ، ثم جاء واصل ابن عطاء [١] أحد تلاميذ الحسن البصري بعد أن اختلفا في بعض المسائل فوضع كتباً كثيرة ، ثم ظهر الامام أبو الحسن الاشعري [٢] الذي أخذ الكلام على أبي علي الجبائي وتبعه في الاعتزال أربعين سنة حتى صار امام المعتزلة ، ثم أعلن رجوعه عن مذهبهم ، فكتب في علم الكلام وقال في التنزيه ما قال السلف ورد بقوة على المعتزلة في مسائل ، وظهر في عهده الامام أبو منصور الماتريدي [٣] واشتهر بعلم الكلام حتى صار له فيه مذهب قارب مذهب الاشعري ، وألف كتباً رد بها على فرق كثيرة ، ثم جاء الامام أبو حامد الغزالي [٤] فنظر هو وأتباعه في كلام الاشعري والماتريدي وشيعتهما ، فقالوا للامامين الفضل على الأمة ، ولكن قليلا منه فيه شيء ، وكما رد الغزالي على الاشعرية والماتريدية رد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد ، وقد أحوجه الرد عليهم إلى خلط الكلام بالفلسفة ، فكان أول من فتح هذا الباب . ثم أوغل الاعاجم في خلط الفلسفة بالكلام ، وكثر مساجلة بعضهم بعضا في الآراء والافكار ، فمزقوا شمل العلم ، وخفي الكلام خفاء ، وصار طلبه من تلك الكتب التي خلط فيها الكلام بالفلسفة عبثاً أو مضيعة . ثم خلف من بعدهم خلف نظروا في كتبهم وكتب غيرهم ، ووضعوا للناس كتباً مؤلفة من آراء كثيرة ، وجعلوا الرأي الظاهر فيها رأي الاشعرية ، ولكنهم أدخلوا فيها دلائل ليست ذات يقين ، فسرى شيء من الظن إلى نفوس كثير فحسبوه يقينا ، فجاء البلاء من باب آخر ، وسموا هذه الكتب كتب المتأخرين ، وهي مستفيضة الآن [٥] ومن هذه الادوار التي مرت بعلم الكلام تعرف لماذا صارت كتب الكلام مزيجا من العقائد والفلسفة ، وأن أخذ العقائد منها أصبح صعب المنال . ولنضرب أمثلة للفلسفة التي خلطوا بها علم الكلام

(١) توفي سنة ١٣١ (٢) توفي سنة ٣٣٠ (٣) توفي سنة ٣٣٣ (٤) توفي سنة ٥٠٥
(٥) انظر كتاب التوحيد للشيخ حسين والي

(المثال الاول) يقول المتأخرون من علماء الكلام لا يستطيع العالم أن يقيم البرهان على وجود الله تعالى إلا إذا عرف شيئا سموه بالمطالب السبعة

(١) ان العالم جواهر واعراض، وأن العرض شيء يزيد على الجوهر كالجسم المتحرك ، فالجسم جوهر والحركة عرض يقوم به زائد عليه

(٢) ان العرض لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بالجوهر

(٣) أن العرض لا ينتقل من محل الى آخر

(٤) أنه لا يكمن في محله حتى يرد على محله عرض يضاده

(٥) ان العرض لا ينفك عن موضعه

(٦) ان القديم لا ينعدم

(٧) انه ليس هناك حوادث لا أول لها

هذه هي المطالب السبعة التي يتوقف عليها عندهم الاستدلال على وجود الصانع، ويقول الشيخ السنوسي « بها ينجو المكلف من أبواب جهنم السبعة » ويقول الشيخ البجوري «لا يعرفها إلا الراسخون في العلم» ، فماذا يرى الشيخ السنوسي في أصحاب رسول الله ﷺ الذين أخذوا عقيدتهم من كتاب الله تعالى وشهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة ، أتبقى أبواب جهنم السبعة مفتحة لهم لأنهم جهلوا أولئك المطالب وما خطرت لهم على بال؟ أم يرى أنهم عرفوا الله تعالى بآياته وآمنوا به من طريق دلائل قدرته ؟ ، وبذلك سدت عليهم أبواب جهنم ، وإذاً فما قيمة هذه الكلمة؟ ولماذا نكلف بها ؟ ، وما رأي الشيخ البجوري في رسوخ علمهم ؟ أيقول إنهم ليسوا راسخين في العلم لأنهم لم يدرسوا تلك المطالب أم ماذا يقول ؟ ثم إذا أخذنا بقول الشيخين ألا نكون قد ضيقنا واسعاً من رحمة الله تعالى وقصرنا الجنة على الراسخين في العلم وما أقلهم ؟

(المثال الثاني) انهم يعلقون القول بوجود صانع واجب الوجود مخالف

للحوادث على بطلان (الدور) وهو توقف الشيء على شيء آخر يتوقف عليه ، وبطلان (التسلسل) وهو ترتب أمور غير متناهية في جانب الماضي ، وقد قال الاستاذ الامام في حاشيته على العقائد العضدية « ان جميع ما قالوه في ابطال التسلسل من البراهين مبني على أوهام كاذبة يردعها البرهان الصريح، وإلى الآن لم يقم برهان خطابي فضلا عن يقيني على بطلان التسلسل،وطريق اثبات الواجب متسع لنا فيه مندوحة عن ارتكاب أمثال هذه الاوهام » فانظر كيف طوحت بهم الفلسفة الى هذه المجاهل،وزجت بهم الى مفاوز لا يعرفون طريق النجاة منها ، وكيف بنوا عقيدتهم على اصل قابل للطعن والشكوك ، وهو بطلان التسلسل ، بنوا عقيدتهم على اصل للفلاسفة ليستطيعوا الرد عليهم ، فكانت عاقبتهم أن دخلوا في جوف الفلسفة ولم يستطيعوا الخروج منها

(المثال الثالث) أطال المتكلمون في مسألة زيادة صفات الله تعالى على ذاته وعدم زيادتها ،بعد اتفاقهم علي اتصافه بجميع صفات الكمال ، وتنزهه عن صفات النقص ،فذهبت المعتزلة والفلاسفة الى أن صفته عين ذاته ،وجمهور المتكلمين الى انها غيرها ، والقائلون بذلك اختلفوا هل وجوبها ذاتي أو هي ممكنة بذاتها واجبة بوجوب الذات ،وذهب الاشعري الى انها لاهو ولا غيره، وقد اتسعت مسافة الخلاف في هذه المسألة حتى قال المعتزلي :ان القول بزيادة الصفات شر من قول النصارى بآلهة ثلاثة : وفسق أهل السنة المعتزلة بنفي الزيادة ،ولعل ذلك هو الذي أحرج موقف الاشعري فلم يجزم بالعينية على الاطلاق حتى يكون مع المعتزلة، ولا بالغيرية على الاطلاق فيصله شرر من شظايا المعتزلة فقال : لا عين ولا غير وهي مسألة ما كان ينبغي أن يكون فيها خلاف، فانها ليست من الاصول التي كلفنا اعتقادها ، ولذلك يقول الشيخ الدواني في شرح العقائد العضدية « اعلم ان مسألة زيادة الصفات وعدم زيادتها ليست من الاصول التي يتعلق بها تكفير أحد

(المثال الاول) يقول المتأخرون من علماء الكلام لا يستطيع العالم أن يقيم البرهان على وجود الله تعالى إلا إذا عرف شيئا سموه بالمطالب السبعة

(١) ان العالم جواهر واعراض، وأن العرض شيء يزيد على الجوهر كالجسم المتحرك، فالجسم جوهر والحركة عرض يقوم به زائد عليه

(٢) ان العرض لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بالجوهر

(٣) أن العرض لا ينتقل من محل الى آخر

(٤) أنه لا يكمن في محله حتى يرد على محله عرض يضاده

(٥) ان العرض لا ينفك عن موضعه

(٦) ان القديم لا ينعدم

(٧) انه ليس هناك حوادث لا أول لها

هذه هي المطالب السبعة التي يتوقف عليها عندهم الاستدلال على وجود الصانع، ويقول الشيخ السنوسي «بها ينجو المكلف من أبواب جهنم السبعة» ويقول الشيخ البجوري «لا يعرفها إلا الراسخون في العلم» ، فماذا يرى الشيخ السنوسي في أصحاب رسول الله ﷺ الذين أخذوا عقيدتهم من كتاب الله تعالى وشهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة ، أتبقى أبواب جهنم السبعة مفتحة لهم لأنهم جهلوا أولئك المطالب وما خطرت لهم على بال؟ أم يرى أنهم عرفوا الله تعالى بآياته وآمنوا به من طريق دلائل قدرته ؟ ، وبذلك سدت عليهم أبواب جهنم ، وإذاً فما قيمة هذه الكلمة؟ ولماذا نكلف بها ؟ ، وما رأي الشيخ البجوري في رسوخ علمهم ؟ أيقول إنهم ليسوا راسخين في العلم لأنهم لم يدرسوا تلك المطالب أم ماذا يقول ؟ ثم إذا أخذنا بقول الشيخين ألا نكون قد ضيقنا واسعاً من رحمة الله تعالى وقصرنا الجنة على الراسخين في العلم وما أقلهم ؟

(المثال الثاني) انهم يعلقون القول بوجود صانع واجب الوجود مخالف

للحوادث على بطلان (الدور) وهو توقف الشيء على شيء آخر يتوقف عليه، وبطلان (التسلسل) وهو ترتب أمور غير متناهية في جانب الماضي ، وقد قال الاستاذ الامام في حاشيته على العقائد العضدية « ان جميع ما قالوه في ابطال التسلسل من البراهين مبني على أوهام كاذبة يردعها البرهان الصريح، وإلى الآن لم يقم برهان خطابي فضلا عن يقيني على بطلان التسلسل،وطريق اثبات الواجب متسع لنا فيه مندوحة عن ارتكاب أمثال هذه الاوهام » فانظر كيف طوحت بهم الفلسفة الى هذه المجاهل،وزجت بهم الى مفاوز لا يعرفون طريق النجاة منها ، وكيف بنوا عقيدتهم على اصل قابل للطعن والشكوك ، وهو بطلان التسلسل ، بنوا عقيدتهم على اصل للفلاسفة ليستطيعوا الرد عليهم ، فكانت عاقبتهم أن دخلوا في جوف الفلسفة ولم يستطيعوا الخروج منها

(المثال الثالث) أطال المتكلمون في مسألة زيادة صفات الله تعالى على ذاته وعدم زيادتها ،بعد اتفاقهم على اتصافه بجميع صفات الكمال ، وتنزهه عن صفات النقص ،فذهبت المعتزلة والفلاسفة الى أن صفته عين ذاته ،وجمهور المتكلمين الى انها غيرها ، والقائلون بذلك اختلفوا هل وجوبها ذاتي أو هي ممكنة بذاتها واجبة بوجوب الذات ،وذهب الاشعري الى انها لا هو ولا غيره، وقد اتسعت مسافة الخلف في هذه المسألة حتى قال المعتزلي :ان القول بزيادة الصفات شر من قول النصارى بآلهة ثلاثة : وفسق أهل السنة المعتزلة بنفي الزيادة ،ولعل ذلك هو الذي أحرج موقف الاشعري فلم يجزم بالعينية على الاطلاق حتى يكون مع المعتزلة، ولا بالغيرية على الاطلاق فيصله شرر من شظايا المعتزلة فقال : لا عين ولا غير وهي مسألة ما كان ينبغي أن يكون فيها خلاف، فانها ليست من الاصول التي كلفنا اعتقادها ، ولذلك يقول الشيخ الدواني في شرح العقائد العضدية « اعلم ان مسألة زيادة الصفات وعدم زيادتها ليست من الاصول التي يتعلق بها تكفير أحد

الطرفين — ولا ارى بأساً في اعتقاد أحد طرفي النفي والاثبات في هذه المسألة»
وقال الشيخ الامير في حاشيته على الجوهرة «قلت ولو اختير الوقف لكان أنسب
وأسلم من افتراء الكذب على الله تعالى ، وماذا على الشخص اذا لقي ربه جازماً بأنه
على كل شيء قدير مقتصراً عليه ، مفوضاً علم ماوراء ذلك اليه ؟ » وقال الاستاذ
الامام في رسالة التوحيد مامثاله « ان القول بزيادة الصفات عن الذات مما لايجوز
الخوض فيه اذ لا يمكن لعقول البشر أن تصل اليه ، والاستدلال عليه بالالفاظ
الواردة ضعف في العقل ، وتغرير بالشرع ، لان استعمال اللغة لاينحصر في الحقيقة،
ولئن انحصر فيها فوضع اللغة لاتراعى فيه الوجودات بكنهها الحقيقى ، وإنما تلك
مذاهب فلسفة، ان لم يضل فيها أمثلهم ، فلم يهتد فيها فريق الى مقنع ، فما علينا الا
الوقوف عند ماتبلغه عقولنا»

(المثال الرابع) صفة الكلام، وقد تشعبت فيها مذاهب المتكلمين، والتوت
فيها طرق البحث حتى أصبحت أعقد صفة في هذا الفن ، ولذلك سموا الفن باسمها،
وقد قرأت فيها اثني عشر كتاباً أيام دراستي لها ، وبعد البحث والاستقصاء
رأيت أن أقرب الكتب لحصر المذاهب فيها و بيان منشأ الخلاف بين المتكلمين
شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية، فتراه يقول «لاخلاف بين أهل الملة
في كونه تعالى متكلماً، وان اختلفوا في تحقيق كلامه وحدوثه وقدمه، ومنشأ الخلاف
انهم رأوا قياسين متعارضين، وهما كلام الله صفة له، وكل ماهو صفة له فهو قديم ، و كلام
الله مركب من حروف وأصوات متعاقبة في الوجود، وكل ماهو كذلك فهو حادث،
فاضطروا الى القدح في أحد القياسين، لامتناع حقية النقيضين ، فمنع كل طائفة بعض
المقدمات (فالحنابلة) فيما اشتهر عنهم يذهبون الى أن كلامه تعالى حروف وأصوات
قديمة ، ومنعوا ان كل مؤلف من حروف وأصوات حادث (والمعتزلة) سلموا
القياس الثاني، وقالوا بحدوث كلامه وتأليفه من حروف وأصوات، وهو قائم بغيره

ومعنى كونه متكلما انه أوجد الكلام (والكرامية) لم يرقهم قول الحنابلة ولا قول المعتزلة، فذهبوا الى ان كلامه صفة له مؤلفة من الحروف والاصوات الحادثة، فقد منعوا كبرى القياس الاول، وهو ان كل ما هو صفة له فهو قديم

وجمهور متقدمي الاشاعرة يقول: ان الكلام معنى واحد بسيط قائم بذاته قديم: ويتفقون هم والمعتزلة على حدوث الكلام اللفظي، وينازعونهم في النفسي، فالمعتزلة تنكره، والاشاعرة يقولون به، فحملوا القياس الاول على النفسي، والثاني على اللفظي، وكل منهما كلام الله، غير أن نسبة النفسي اليه حقيقة، ونسبة اللفظي اليه مجاز، وطائفة من متأخريهم قالوا: كلام الله مشترك بين اللفظي والنفسي وكل منهما قديم: ومنعوا القياس الثاني، فالمكتوب عندهم في المصاحف، والمقروء بالالسن، والمحفوظ في الصدور قديم، والحادث هو الكتابة والقراءة والحفظ، وهما غيران، وسبب الخلاف بين متقدمي الاشاعرة ومتأخريهم قول شيخهم «الكلام هو المعنى النفسي» ففهم الاصحاب ان المعنى مدلول اللفظ، وفهم المتأخرون ان المعنى ماقام بالغير سواء أكان لفظا أم لا

تلك خلاصة ماقال الدواني في مسألة الكلام، وانك لو رجعت فيها لكتب المتكلمين لرأيت نفسك في بحر خضم، تتقاذفك الامواج من كل جانب، وهيهات أن تخلص منه إلى ساحل النجاة. أذكر لك هذا المثال بعد الجهد الجهيد في تقريب معاني هذه الصفة، لترى كيف عقدت كتب الكلام على الناس فهم العقائد، وذهبت بهم الفلسفة مذاهب شتى، ولترى كيف يذهب العقلاء إلى قياسين متناقضين، فيلجأ كل فريق إلى اعمال أحد القياسين وترك القياس الآخر!!

وأحوط ماقيل في صفة الكلام قول الاستاذ الامام في رسالة التوحيد (الكلام شأن من شئونه تعالى قديم بقدمه) وشرحه الاستاذ الكبير صاحب المنار في التفسير عند قول الله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) فقال اي انه تعالى متصف في الازل

بالكلام، أي بالصفة التي يكون بها التكليم متى شاء، كما انه متصف في الازل بالقدرة التي يكون بها الخلق والتقدير متى شاء، هذا أوضح ما بين به مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى النفسي ، وهو أن له صفة ذاتية يعلم بها من يشاء من عباده بما شاء من علمه متى شاء ،وهذا الاعلام هو التكليم والوحي ، ولا يجوز لنا البحث عن كيفية كلامه القديم ،ولا عن كيفية تكليم رسله وايحائه اليهم

قال الاستاذ الامام في الدرس: ان هذا الكلام مما لا يمكن أن يعرفه الا النبي المكلم، فلا ينبغي لنا أن نبحث فيه، ونحاول الوقوف على كنهه ،حتى ان النبي المكلم نفسه لا يستطيع أن يفهمه لغيره، لانه ليس له عبارة تدل عليه

هذه أمثلة أربعة أتقدم بها بين يدي القاريء — ولو شاء المزيد لزدته — ليرى مقدار الصعوبة التي يلاقيها المسلم ليحصل على عقيدة نقية خالصة من اصطلاحات العلم ولوث الفلسفة ،ومن أجل ذلك ذم العلماء علم الكلام .قال الشيخ السفاريني في شرح عقيدته : كان أئمة الدين مثل مالك وسفيان وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد واسحاق والفضيل بن عياض و بشر الحافي يبالغون في ذم الكلام ،ونقل عن أبي الفتح نصر المقدسي في كتابه « الحجة على تارك المحجة» باسناده عن الربيع بن سليمان سمعت الامام الشافعي يقول: ما رأيت أحداً ارتدى بالكلام فأفلح . ثم نقل عن الحافظ الذهبي في كتابه (العرش) بسنده إلى ابي الحسن القيرواني قال : سمعت الاستاذ أبا المعالي الجويني يقول « يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت ان الكلام يبلغ بي الى ما بلغ ما اشتغلت به» وقال الجويني أيضاً وهو في مرض موته «اشهدوا علي اني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها السلف الصالح ،واني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور » قال الحافظ الذهبي هذا معنى قول بعض الأئمة :عليكم بدين العجائز . يعني انهن مؤمنات بالله على فطرة الاسلام، لم يدرين ما علم الكلام اه

وما أحسن قول الفخر الرازي في آخر امره (تتبعت الطرق الكلامية ، والمذاهب الفلسفية ، فما وجدتها تروي غليلا ، أو تشفي عليلا ، ووجدت أقرب الطرق القرآن) وقال الشيخ حسين والي في كتاب التوحيد « دراسة القرآن أولى من دراسة كتب الكلام الآن ، ان في القرآن دلائل عقلية مؤثرة تأثيراً كبيراً في النفوس ، ولا كذلك الدلائل العقلية التي يذكرونها في كتب الكلام »

من أجل ذلك كله ، رأيت أن أجتاز بالناس في كتابي (آيات الله في الآفاق) هذه المزالق ، وأنشلهم من أولئك الاوحال التي تورطوا فيها زمنا طويلا ، وأن أصلهم بحبل لا ينقطع ، وعروة لا تنفصم ، وحجة لا يعتورها وهن ولا فتور ، هي كتاب الله الذي أنزله شفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين ، ففيه غنى للعاقل في عقائده ، كما يجد فيه غناه في آدابه وتشريعه ، فان شاء احتج به عقلياً لانه موافق للعقل ، وان شاء احتج به شرعياً . وان شاء احتج به عقليا وشرعياً ، ألا تراه يخاطب الذين خرقوا له بنين وبنات بقوله (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، سبحانه وتعالى عما يصفون * بديع السموات والارض ، أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ؟) وهو تسفيه من الله لتفكير من يدعي بنوة الملائكة له تعالى من طريق العقل والمنطق ، لانه لو كان له ولد لكان له صاحبة ، فان التوالد انما يكون من أبوين ، كيف وهو خالق كل شيء ، ووكيل على كل شيء ؟

ثم انظر الى قوله تعالى بعد أن بين انه خالق السموات والارض ، وخالق الانسان والانعام ، وأنبت الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ، وسخر الليل والنهار ، والشمس والقمر والنجوم ، وسخر البحر ، وألقى في الارض رواسي مخافة أن تميد بالناس (أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟) أليس انكار التسوية بين من يخلق ومن لا يخلق انما طريقه العقل وأساسه المنطق الواضح ؟ ثم انظر الى قول الله تعالى

(ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، إذاً لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون) فترى منطقا عجيباً وحجة ناهضة، تريك انه لو كان مع الله إله لكان منهما التفرق، وأن يذهب كل منهما بخلقه، ويعلو بعضهم على بعض، فتسود الفوضى ويختل النظام، لان ذلك من شأن الاله، ومن تصور إله بدون غلبة ولا ممانعة واستئثار بالسلطة، فقد تصوره بشأن غير شأنه وصفة غير صفته، والآية تفسر لنا قول الله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وترينا انها حجة قطعية على عدم تعدد الآلهة، وبذلك تعلم ان الذين فهموا فيها انها دليل ظني قد غفلوا عما ينبغي له وأهملوا الآية الاولى

ثم ألا ترى القرآن يخاطب العقل الذي يسوي المصلح بالمفسد، والتقي بالفاجر حين يقول (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار؟) وحين يقول (ام حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم، ساء ما يحكمون؟) أليس ذلك من المنطق؟

ثم تأمل قول نبي الله ابراهيم لأبيه (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا؟) لتعرف أن العقول تستقبح أن يعبد الانسان إلها لا يسمعه إذا ناداه، ولا يبصره إذ حل به مكروه، ثم انظر المنطق الواضح الذي يأمر الله تعالى فيه نبيه أن يخاطب به منكري نبوته في قوله (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدله، قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي، إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون؟) أي أفلا تعقلون قيمة هذه الحجة، ووضوح ذلك البرهان؟ ومثله قول الله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من

كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذاً لارتاب المبطلون) فلو كنت كذلك لشكوا في صدقك ، وكان لهم العذر في ذلك الشك ، ولكن الله قطع أعذارهم وقضى على باطلهم . ثم ألا تراه يسفه عقول منكري البعث بحجة ما أقل لفظها، وما أغزر معناها حينما يقولون (فسيقولون من يعيدنا ؟ قل الذي فطركم أول مرة) والمراد أن من قدر على البدء قدر على الاعادة ، فلماذا تعترفون بالخلق الاول وتنكرون الخلق الثاني ؟ وأي فرق بين الخلقين ؟ هذه طائفة من منطق القرآن يصغر أمامها منطق فلاسفة اليونان .

وفوق ما قدمنا فان هناك فروقا بين أخذ العقائد من كتب الكلام، وأخذها من القرآن الكريم ، هو أن كتب الكلام كتب علم - ان سلمت من الحشو والتعقيد - والقرآن كتاب علم وهداية ، فترى نفسك وأنت تتلو الآية لتأخذ منها عقيدة ، يطمئن له قلبك ، وتخشع له جوارحك ، وتحس بسلطان له على النفس لا تحسه من كتاب آخر (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) وبذلك تكون قد جنيت ثمرتين في الوقت الذي يجني فيه غيرك ثمرة واحدة ، أظنك لا تنكر سلطان القرآن حينما تتلو قول الله تعالى من سورة فصلت (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أنداداً، ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها ،وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا، ذلك تقدير العزيز العليم) ، وأرى ان قلبك يسابق لسانك الى الاعتراف بسلطان القرآن على النفوس حينما تتلو قول الله تعالى (إن الله فالق الحب والنوى، يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي، ذلكم الله فأنى تؤفكون؟* فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا. ذلك

تقدير العزيز العليم * وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون * وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون * وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ، ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) الانعام ، ويأخذمنك العجب منتهاه وأنت تتلو قول الله تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوي على العرش ، وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ، يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون * وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ، يغشي الليل النهار ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ، ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) من سورة الرعد ، وقوله من سورة النور (ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما ، فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالابصار * يقلب الله الليل والنهار ، ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار * والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع ، يخلق الله مايشاء ، ان الله على كل شيء قدير) ، وتتمثل لك الخشية والخوف حينما تريد أخذ عقيدة العلم من قول الله تعالى (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ؟ ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، ان الله بكل شيء عليم) وقوله في

سورة ق (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد* إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) أظن أن القارىء لا ينازعني في سلطان هذه الآيات على النفوس وفعلها في القلوب ، وأن هذه الآيات وأمثالها هي التي ربت العقيدة في نفوس سلفنا الصالح ، فكان من آثارها ما بهر العقول ، وزلزل الملوك والقياصرة ، فهل تربي كتب الكلام مثل أولئك الابطال الفاتحين ؟ والغزاة العادلين ؟ ولله در الامام مالك حيث يقول (لن يصلح آخر هذه الامة إلا بما صلح به أولها) وقد صلح أولها بالقرآن فلا يصلح آخرها إلا به ، فهو الذي كون عقائدهم ، وربى أخلاقهم ، وأصلح نفوسهم ، ونقلهم من فوضى شائنة الى نظام عجيب ، ومكن لهم من السلطان في الارض ، وأورثهم مشارق الارض ومغاربها ، حتى أصبحت ملوك الارض تخطب ودهم وتخشى بأسهم ، كل ذلك بفضل فعل الآيات في النفوس وتربيتها للعقائد .

ومن ناحية أخرى إذا رجعت بالناس في عقائدهم الى القرآن فقد حملت الناس على تفهم قسم كبير من القرآن هو آيات العقائد وشغلتهم بالتدبر فيه ، والاعتبار بما حواه من عظات وعبر ، وفتحت لهم بابا كبيراً من أبواب علوم القرآن ، فان في آيات العقائد شطراً كبيراً من آيات الله في السموات والارض والافلاك والكواكب والحيوان والنباتات والجبل والسهل ، وآياته في النفوس وما أحوج المسلمين الى دراسة هذه الآيات ، فان إيمانهم بالله وثقتهم به يكون بمقدار علمهم بذلك الكون وسننه ، وفي ذلك يقول بعض العلماء « كلما اتسع نطاق العلم تضافرت الادلة على وجود إله قادر حكيم » ويقول الله تعالى مذكراً بآياته في الكون ومنوها بالعلماء الذين عرفوا هذه الآيات ودرسوا هذه السنن (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ؟ ومن الجبال جدد

بيض وحمر مختلف ألوانها، وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلفه ألوانه كذلك، إنما يخشى الله من عباده العلماء)

ثم وفرت بعملي هذا على الباحثين في عقائد الدين وقتهم، فحشدت لهم من حجج القرآن الكريم وآيات الله تعالى في النفوس والآفاق ما يثلج صدورهم، ويطمئن نفوسهم، وجمعت في كتابي هذا الذي سميته ﴿ آيات الله في الآفاق ﴾ جميع آيات العقائد في أبوابها المختلفة، وسهلت على علماء الدين مهمة البحث في القرآن عن آيات العقائد، فاذا أراد كاتب التأليف في هذا القسم وجدها ماثلة أمامه، وحاضرة بين يديه، مع وضع كل قسم مع ما يناسبه من الآيات، وذلك مجهود أطلب من الله المثوبة عليه، ولو لم يكن من عملي هذا سوى جمع الآيات وجعل كل قسم منها بابا على حدة، لكان جديراً بالتقدير، فكيف إذا أضفت اليه شرح الآيات التي هي في حاجة إلى الشرح بأسلوب يحفز النفوس الى الحق، ويوجهها الى الخير، وقد استعنت بعد الله تعالى على أداء مهمتي هذه بالمصادر التي بينتها في آخر الكتاب، وتوخيت في شرح الآيات الكونية كآيات الله في النبات، وآياته في الطير في جو السماء، وآياته في الرعد والبرق، وآياته في تكوين الانسان وتخليقه، أن أشرحها بطريق لا يجافي العلم، ولا يباعد بينها وبين روح العصر، بجعلها موضع عظة للباحثين، ومكان عبرة للمتعلمين أسلوب، يلهب النفوس لتتصل بخالقها، وتعترف بعظمته وكبريائه، ودقة صنعه وكمال حكمته،

وقد جعلت كتابي في مقدمة وتسعة عشر بابا

(الاول) وجود الله عز وجل

(الثاني) وحدة الله تعالى، عرضت فيه لآيات وحدة الله في الخلق والرزق وآيات وحدته في العبادة كقوله تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك، فان فعلت فانك إذاً من الظالمين، وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له

إلاهو، وان يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) من سورة يونس، وقد أهمل هذا القسم علماء الكلام مع أنه لب التوحيد وخلاصته وضلال الناس فيه فوق ضلالهم في غيره

أهملوا ذلك القسم وقصروا بحثهم على وحدة الله في الذات والصفة والخلق على الرغم من انهم يعرفون التوحيد بما يشمل القسمين ، إذ يقولون (التوحيد هو افراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وافعالا) وانك إذا قرأت الباب الثاني وجدت فيه القسمين كما تجد فيه آيات نبي الله عيسى عليه السلام وغلو النصارى فيه ، وأنواعا أخر من الشرك

(الثالث) تنزهه عن مشابهة الحوادث وما احوج اعداء سلف الامة الصالح الى قراءة هذا الباب وتدبر آياته وفيها (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وقول الله تعالى (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون). فهاتان الآيتان حاكمتان على كل آيات الصفات ، فلله تعالى سمع وبصر، ليس كمثل سمع الله وبصره شيء ، ولله تعالى قدرة ومشيئة، ليس كمثل قدرته ومشيئته شيء ، ولله تعالى فوقية على العالم، ليس مثل فوقيته شيء ، فما بالهم يغفلون عن ذلك النص الحكيم الذي لم يدع مجالا للظنون والاوهام ، ثم يأخذون في تكفير الناس باعتقادهم ان الله تعالى في السماء ويخلقون لهذا النص لوازم من ظرف وإحاطة وتحيز ما أنزل الله بها من سلطان ؟ وهل هم أدرى من الله بالاحتياط لدينه؟ وأحرص منه على تنزيهه ؟ كل ذلك من آثار علم الكلام وإهدار هداية القرآن

(الرابع والخامس والسادس) تنزه الله عن الظلم وسنته في الهداية والاضلال وبطلان الاعتذار بمشيئة الله تعالى، وهي أبواب جديدة في فن التوحيد، وما أحوج الانسان إلى قراءة الابواب الثلاثة مجتمعة ليرى من الباب الرابع كيف تنزه الله عن الظلم ومجاوزة الحد في ثوابه وعقابه ، كما تنزه عن الظلم في تشريعه ، ويرى من

الباب الخامس كيف كانت سنته العادلة في هداية قوم وإضلال آخرين ، وانه لم يضل من يضل ويهدي من يهدي عبثا أو اتفاقا . وترى من الباب السادس قيمة اعتذار المشركين بمشيئة الله تعالى، وانه عذر باطل، وحجة غير ناهضة، وان حجة الله قامت على عباد الشهوة وأنصار الباطل.

وفي اعتقادي ان من تدبر هذه الابواب الثلاثة وقرأها مجتمعة ، ورأى شرح آياتها استطاع التوفيق بين آيات ظاهرها ان الانسان مجبور على عمله وآيات تدل على اختياره ، ويستطيع أن يتخلص من مشكلة القضاء والقدر التي أخذت من المسلمين وقتا غير قصير ، ومن لم يهتد بقراءة هذه الابواب فليعاود القراءة مرة ومرة ، وقد تكفل الله تعالى لمن اعتصم بالقرآن أن لا يضله ولا يشقيه (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى)

(السابع) قدرة الله ومشيئته ، وهو باب كبير جمع من آيات الله في الكون ما لا يقف عند حد ، وقد شغل من الكتاب نيفا وستين صفحة ، عرضت فيه لكثير من آيات الله في النبات ، وحكمته العالية في تفضيل بعض النبات على بعض في الاكل مع اتحاد مكانها والماء الذي يسقيها . وآية الله في الرعد والبرق والصواعق، ومعنى تسبيحها بحمد الله ، وآيات الله في نقص الارض من أطرافها ، وكيف أنبت الله من الارض من كل شيء قد وزن بميزان الحكمة ، وقدر بقدر المصلحة ، وقول علماء النبات في ذلك ، وكذلك قول الله تعالى «وإن من شيء إلا عندنا خزائنه» بأسلوب جديد كما شرحت فيه شيئا من منتجات العلم لمناسبة ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ وكيف يهدد الله الناس بخسف الارض بهم وتسليط البراكين والزلازل عليهم ، وآيات الله في النحل ، ولا تسل عن شرح قول الله تعالى «قال فمن ربكما يا موسى ؟ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» فانه قد أربى على رسالة بينت فيها كيف ان الله تعالى أعطى الحيوان والانسان والشجر والنبات والسهل والجبل

واليابس والماء وسائر خلقه مايتطلبه لحياته ، وما يعده لأداء وظيفته ، ثم هداه بعقله او باستعداده لما خلق له ، كما عرضت في هذا الباب للاطوار التي مرت على السماء والارض في عصر التكوين عند قول الله تعالى ﴿أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما﴾ وآيات الله في الفلك وامساك السماء أن تقع على الارض بما أودعه من نظام الجاذبية العام ، وآيات الله في السحاب كيف يؤلف الله بينه ويجعله ركاما ، وآياته في الليل والنهار وأنواع الدواب . وجملة القول انه أوسع باب من أبواب «آيات الله في الآفاق» وجدير به أن ينمي الايمان ويثبت العقائد ويملأ القلب إعظاما لله وإجلالا

(الثامن) حياة الله تعالى وعلمه ، وترى فيه شرح آية (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) شرحا علميا مستفيضا ، وشرح الغيب وأقسامه وما استأثر الله تعالى به منه وما يمكن أن يصل اليه المخلوق وما لا يمكن أن يصل اليه

(التاسع) سمع الله وبصره وكلامه وفيه خلاصة لبحث المتكلمين في رؤية الله

(العاشر) حاجة الناس الى الرسالة وانها رحمة من الله بالبشر منذ بدء الخليقة وفيه بيان معنى (كان الناس أمة واحدة) والفرق بين اليهودية والمسيحية والاسلام عند قوله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وشرح آية (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) وان الناس لا غنى لهم في دينهم عن القوة التي يعتزون بها في دينهم ويذودون بها عن حوزتهم

(الحادي عشر) الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله لا فرق بين رسول ورسول

(الثاني عشر) دلائل صدق الرسول ﷺ يتحدى الله فيه منكري النبوة بالقرآن في جملته وتفصيله ، فمرة يدعوهم أن يأتوا بسورة ومرة يطالبهم أن يأتوا بعشر سور ومرة يخبر على سبيل القطع ان الانس والجن لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ما استطاعوا وإن عاون بعضهم بعضا . وأخرى يستدل على صدقه باشتماله على اخبار

مضى عليها ما لا يحفظه التاريخ كقصة عمران وامرأته والسيدة مريم وطريق تربيتها وقصة نبي الله زكريا وابنه يحيى، ويريهم انه لا يمكن ان يعرف الرسول ﷺ شيئاً من ذلك مع كونه أميا إلا بتعليم من الله تعالى. وتأمل قول الله في هذا الباب (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون؟) وقوله (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون)

(الثالث عشر) عموم رسالة النبي ﷺ لجميع أهل الارض وللانس والجن وبقاؤها إلى قيام الساعة

(الرابع عشر) الاعتبار بالماضين، وهو باب جديد في العقائد لا غنى للمسلم عنه ليعرف ان سنة الله في جزاء المفسدين والمصلحين لا تتبدل ولا تختلف باختلاف الزمان والمكان، ومتى رسخت هذه العقيدة في نفس المؤمن ورأى كيف كانت عاقبة آل فرعون، وكيف جازى عاداً وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين على مافعلوا برسلهم، وكيف كانت عاقبة المصلحين في تمكين الله لهم في الارض، وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين، فانها تحمل صاحبها على التأسي بالمصلح ومجانبة المفسد.

(الخامس عشر) وعد الله لا يتخلف وهو باب يقضي على كثير من أصحاب الاماني الذين يظنون ان الله تعالى يعد بالخير أو الشر ثم يخلف ذلك الوعد

(السادس عشر) البعث وفيه الحجج الدامغة على منكريه من طريق العقل والمنطق، ثم من طريق آيات الله في الارض، وان البعث يتكرر كل يوم في موت الارض وحياتها بالنبات (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) ومن الغريب ان تكون عملية البعث ماثلة أمام الأعين كل يوم ثم ينكرها فريق من الناس.

(السابع عشر) الحساب وتقدير الله الاعمال وما تستحقه من جزاء تقديراً

عادلا ، وفيه شرح مستفيض لايتاء الكتاب باليمين ووراء الظهر حسب ما يليق بكتاب الله تعالى وحكمته

(الثامن عشر) صفة اليوم الآخر وما أشدها على النفوس ، يصف الله تعالى فيه الناس بعد خروجهم من قبورهم ووقوفهم بين يدي خالقهم ، فيصور لك وصف المجرمين تصويراً تتقزز منه النفوس ، وتنكمش له الجلود ، كما يصور لك صفة المتقين بما يسكن له القلب ، وينشرح له الصدر ، ويصور لك الفزع الأكبر الذي يشمل الناس ويعمهم ، ويشتغل فيه كل أحد بنفسه ، وتذهل فيه المرضعة عن رضيعها ، وتضع فيه الحامل حملها ، كما يريك كيف تمور السماء موراً ، وتسير الجبال سيراً ، إلى أمثال ذلك من الاهوال والشدائد ، وهذا الباب يستفيد منه القاريء رقة القلب والاقبال على الله تعالى ، كما يستفيد من باب الاعتبار بالماضين

(التاسع عشر) الجزاء في الآخرة ، وقد عرضت فيه لما أعده الله تعالى في الآخرة من نعيم روحي ومادي للمؤمنين ، وما أعده من عذاب روحي ومادي للعصاة والمجرمين ، وهو باب جليل من أبواب الكتاب يرد بصراحة على من يقول ان نعيم الآخرة وعذابها معنويان ، كما يرد على من يفوض الامر في باب الثواب والعقاب من جهة انه مادي أو غير مادي الى الله تعالى لاشتماله على نصوص صريحة لا تقبل شكا ولا تأويلا في أن نعيم الآخرة وعذابها مادي وروحي ، وان كان هذا النعيم المادي أرقى مما نعرف من الماديات ، والعذاب المادي أضعاف ما نعرف في هذه الحياة ، فان ذلك شيء والايمان بماديته شيء آخر

***

وقد رأيت أن يكون جمع الآيات في هذا الكتاب على قاعدة مصحف الحكومة في الاملاء وترقيم الآيات وشكلها ، وأن أرتب آي كل باب حسب

ترتيب القرآن ، فاذا قرأت باب (وحدة الله تعالى) تجد الباب قد بدىء بآي البقرة ثم آي آل عمران ثم آي المائدة وهكذا ألتزم ذلك في جميع أبواب الكتاب ، وكنت أود أن أجعل القرآن دائما في صدر الصفحة والتفسير في الذيل لولا أن بعض الآيات قد يتطلب شرحا طويلا لا يسعه ذيل الصفحة التي وضع في صدرها الآيات فقضى نظام الطباعة أن أوسط شرح الآية بينها وبين ما يليها إذا كان فيه طول ، وأن أضعه فى الذيل إذا كان قصيراً . وآمل من القارىء إذا بدأ فى باب من أبواب الكتاب أن يبدأ بقراءة آياته مجتمعة ثم يعود إلى شرح الآيات ، فان قراءة آيات الباب مجتمعة يضم له شتات الباب ويكسبه فائدة قد لا يجدها إذا هو قرأها متفرقة ، كما آمل من القارىء أن ينبهني إلى مواطن الضعف من الكتاب إن وجد فيه ضعفا ، فان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، والمؤمنون بخير ما تناصحوا . وكل ما آمل من كتابي هذا أن يوجه الله به الناس إلى القرآن الكريم وتدبر معانيه فى عقائده وآدابه وتشريعه ، وأن يهدي الله به نفوسا جهلت طريق الرشد أو انحرفت عن الحق ، وأن يحشرني فى عداد الذين أحيوا كتاب ربهم ، ونصروا سنة رسولهم ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، ومن سار بسيرهم ، واهتدى بهديهم ، وأن يكون حظي من ذلك الكتاب التوفيق والسداد (إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب)

محمد أحمد العدوى

وجود الله عز وجل

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) البقرة

الآيات جمع آية وهي العلامة الظاهرة وتكون محسة ومعقولة ، فالعلم فى الطريق آيته وعلامته المحسة ، والصنعة آية الصانع وعلامته المعقولة ، وقيل للبناء العالى آية نحو (أتبنون بكل ريع آية ؟) لانهم اتخذوا البناء فى الاماكن الشامخة علما على غناهم وعظمتهم ، وتطلق الآية على العبرة ، وعلى الجملة من القرآن ، وهي هنا بمعني العلامة والدليل ، وقد يكون في الشيء الواحد جملة آيات من نواح مختلفة : فمن جهة أنه أثر يدل على مؤثر فيه ، ومن ناحية تسويته واتقانه يدل على علم صاحبه وتقديره ، ومن جهة ادائه لوظيفته التى خلق لها هو آية حكمة صاحبه وتدبيره ، ومن جهة تعاصيه على قدرة المخلوق وتسخيره لقدرة الخالق هو آية قدرته ومشيئته ، ومن جهة تشابهه مع غيره من الآثار في الاتقان وخضوعه للسنن الالهية وقيامه بما خلق له على الوجه التام يدل على ان المهيمن عليه وعلى غيره إله واحد ، مشرف علي كل هذه السنن وهكذا

فاذا عرضنا الآية كآية البقرة فى بابي وجود الله ووحدته فلاعتبارين مختلفين كما بينا فآية الله فى السموات تألفها من طوائف لكل منها نظام محكم ، ولمجموعها نظام واحد عام ، ومنه النظام الشمسى الذى يسير بسنن الهية حكيمة يعبرون عنها

بالجاذبية، ولولاها لتصادمت الكواكب وهلك العالم ، فهذه العوالم السماوية تدل بذاتها على وجود صانعها ، وبوحدة نظامها وارتباط بعضها ببعض على وحدة خالقها، وآية الله في الارض قيامها في الفضاء بامر الله وتدبيره متصلة بغيرها من العوالم بنظامها العام وجاذبيتها الشاملة، وكذلك من آياته مافيها من جماد ونبات وحيوان لكل منها ناموس خاص في تكوينها وتوالد مايتوالد منها ، وآيته في الليل والنهار تعاقبهما، وايلاج احدهما في الآخر بحسبان تولد عنه الفصول الاربع ، ومحو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لنبتغي الفضل من الله ولنعلم عدد السنين والحساب ، وآيته في الفلك ماأودعه في طبيعة الماء من القوة على حمل السفن العظيمة وما هدانا اليه من وقوف على قانون ثقل الاجسام ، وفهم طبيعة الماء والهواء والريح وطبيعة البحر من جهة عمقه واتساعه وشعبه وعقباته، لنفقه حكمة الله في عالم البحر وسننه الحكيمة وعوالمه الغريبة . وآية الله في الرياح تدبيرها وتوجيهها حسب الارادة الالهية ، وهي قوة عظمى من قوى الخالق وجند عظيم من جنوده يرسلها رحمة وعذابا ، فأحياناً يسخرها لتحمل من الامطار ماشاء الله أن تحمل ، ومرة يرسلها عقيما (ماتذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم) وآية الله في السحاب المسخر بين السماء والارض ترينا كيف يتكون السحاب من البخار بواسطة مايرسله عليه من أشعة الشمس ثم يتجمع و يصير كسفا ثم يسوقه الله الى حيث شاء بواسطة الهواء

قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا (١) فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١) يونس

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ ءَايَٰتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) من دلائل وآيات ،و (النذر) جمع نذير وهو المخوف

وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ (٢٢) وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ، ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥) الروم

يلفتنا الله تعالى إلى الفرق الكبير بين التراب الذي فقد جميع أنواع الحياة و بين الانسان الحي المفكر ، وان تحويل التراب إلي إنسان من أكبر الدلائل على إله له القدرة التامة ، و يشير بكلمة (إذا) الدالة على المفاجأة إلى ان الزمن الذي كان فيه هذا التحويل قليل جداً إذا أضيف إلى ماحصل فيه ، بل هو في حكم العدم ، وذلك الزمن هو الذي تحول فيه التراب إلي نبات والنبات الي غذاء وتحول فيه الغذاء إلى نطفة ، اقرأ قول الله تعالي (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين — . إلي قوله — فتبارك الله أحسن الخالقين) وأما كلمة (ثم) فتدل على مكان العبرة في ذلك التحول ، وان الفرق بين التراب والانسان بعيد فهو بعد منزلة لا بعد أزمنة. وقوله (لتسكنوا اليها) أي لتحصل الغاية من الزواج - وهي سكون الرجل إلي امرأته ، ولو كان زوج الرجل من غير جنسه لضاعت تلك الحكمة . والآية تلفتنا إلى حكمة سامية من حكم الزواج فوق ما تتطلبه طبيعة الانسان من قضاء الوطر هي سكون الرجل الى امرأته ، واطمئنانه اليها ، وهي لذة روحية يحسها من تمتعوا بالحياة الزوجية كاملة غير منقوصة ، وقد حرمها المتبتلون وأنصار العزوبة .

وأما قوله (وجعل بينكم مودة ورحمة) فهي آية أخرى من آيات الله في الزوجين تتجلى فى رجل اقترن بامرأة ليست من ذوي قراباته ولا من بلدته بل قد تكون

من قطر غير قطره لا يمضي زمن قليل حتى يكون بين الزوجين من أواصر المودة ، ووشائج الرحمة ، ما يجعل كل واحد منهما كالجزء من الآخر ، وقد تنسى المرأة بذلك الازدواج أهلها وأبويها ، وليس ذلك كفرانا لجميل الاهل أو قطعا لرحم الابوين ، وانما هو مظهر من مظاهر تقليب الله تعالى للقلوب وتصريفه للنفوس ، فبدل ما كان بين الزوجين من وحشة إلى انس ، ومن بعد إلى قرب ، وذلك لحكمة كبرى ، وغاية سامية ، هي وضع أساس صالح لبناء الاسر والبيوت ، والتعاون على تربية النسل ، فتعمر الدنيا وتنتظم هذه الحياة .

وقوله (واختلاف ألسنتكم) يلفتنا به إلى درس سنة الله تعالى فى نشأة اللغات وكيف تولد بعضها من بعض ، ويستتبع ذلك دراسة الامم والشعوب كيف توالدت وتشعبت ، ويصح أن يراد بالالسنة أجناس النطق وأشكاله ، لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس الحروف وجهارتها ، وحدتها ورخاوتها ، وفصاحتها ولكنتها ، ونظمها وأسلوبها ، بل لكل نطق وحدته ومميزاته ، وذلك يرجع الى اختلاف مخارج الحروف ووسائل الصوت : غلظة ورقة ، وضيقا وسعة ، وقوة وضعفا ، وما الى ذلك ، فسبحان (من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)

وقوله (وألوانكم) يلفتنا إلي دراسة سنة الله فى تفاوت الالوان بتفاوت البيئات والجواء ، وتوارث الابناء أشباههم عن الآباء ، وغير ذلك من الاسباب . ولدقة هذه السنة وما قبلها أضافها إلي العلماء .

وقوله (منامكم بالليل والنهار) النوم آية تمثل لنا الحياة بعد الموت ، وترينا كيف ينام الانسان منهوك القوى ضعيف الجسم ، فيصبح قويا نشيطا يطلب الرزق . وآية الله في البرق تقرؤها مفصلة في بحث القدرة والمشيئة عند قول الله تعالى (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) من سورة الرعد

وأما قوله (أن تقوم السماء) الخ . فقيام السماء والارض بأمره انتظامهما وأداؤهما لوظائفهما ، وأمره تدبيره وسلطانه (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده)

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ، لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ، وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا فَٱلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ (٣٨) وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ، إِنَّ ٱلَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ، إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) فصلت

فاذا سجدتم للشمس والقمر لعظمهما فمن خلقهما وسخرهما أعظم فهو أولى بأن يعبد، و(خاشعة) لا نبات بها، و (اهتزت وربت) انتفخت وأخصبت وتزخرفت بالنبات كالمختال فى زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف. وقوله (ان الذي أحياها لمحي الموتي) يريك ان دليل صحة البعث ماثل أمامك كل يوم فى حياة الارض بعد موتها فلا معنى لانكاره

سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ[1] وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) فصلت

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ[2] فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) الشورى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ[3] فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ

١) جمع أفق وهو الناحية، وهو وعد من الله أن سيقيم للناس الادلة في النواحي المختلفة على حقية هذا الدين حتى يظهر لهم انه الحق من عند الله، وهو كوعد الله باتمام نوره واظهاره علي الدين كله

٢) ظاهر الآية يفيد ان السموات مسكونة وفيها دواب كالارض، وفي قدرة الله تعالي أن يجمعهم في مكان واحد إذا يشاء ذلك

٣) حذفت ياء الجواري هنا مراعاة للنطق

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤)
وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٥) الشورى

﴿الجوار﴾ السفن، و (الاعلام) الجبال، لو نظرت اليها وهي تمخر في البحر وهي كالجبال علواً وسعة، أو نظرت الي الماء كيف استطاع حملها، والي الهواء الذي تسير به السفن الشراعية كيف يغدو بها و يروح، أو رأيتها يسوقها اليوم البخار والكهرباء - لو رأيت ذلك كله لرأيت من آيات الله تعالى ما لا يقف عند حد، وانظر كيف هدى الله الانسان إلي أن يعمل من السفن بنسبة ما يحمله الماء، وكيف انتفع بما سخره الله له من الهواء، واستطاع أن يهتدي بالنجوم في ظلمات البحر المتلاطم الامواج البعيد الغور.

وقوله (إن يشأ يسكن الريح) تهديد من الله للمسافرين بأن يقف الريح إذا شاء فتقف السفن فلا يستطيعون النجاة. أو باهلاك المسافرين بسيئاتهم بعد أن امتن عليهم بما هداهم اليه من علم، وما سخره لهم من عوالم، ليرغبنا فيه بنعمه، و يرهبنا منه بجبروته، وقوله (و يعلم) أي سخر الله لهم ما سخر، وهدى اليه من هدى ليعتبروا وليعلم المجادلون في آيات الله بعد وضوح الحق أن لا مخلص لهم من حسابه ولا مهرب من بطشه وانتقامه

إِنَّ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَٱلارْضِ لَآيَٰتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَٰتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَٱخْتِلَٰفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلارْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) الجاثية

وَفِي ٱلارْضِ ءَايَٰتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ؟ (٢١) الذاريات

سبق لنا شرح شيء من آيات الله في الارض في أول البحث، أما آيات الله في الانفس فهي أكثر من أن تحصى، وفي كل يوم تتجدد آيات الله في النفوس، ودلائله في طبيعة الانسان، وكلما اتسع نطاق العلم تضافرت الادلة على أن لهذا الانسان البديع

الصنع، المتقن التدبير، إلها مدبراً حكيما برأه على وفق الحكمة ومنتهى الاتقان، وقل لي بربك أي ناحية من نواحي الانسان ليست مثار دهشة وعجب؟! أليست أطواره في الرحم آية من آياته؟ أليس نظام طعامه وشرابه وتحليل الطعام إلى عناصر مختلفة بموازين يذهب كل عنصر إلى حيث يؤدي وظيفته عدا العنصر الذي لا يفيد فيلفظ إلي الخارج آية من آياته؟ أليس نظام توزيع الدم من مكانه الرئيسي وهو القلب في أنحاء الجسم بواسطة الشرايين التى لا يحصي عدها إلا الله ثم عودته إلى القلب بواسطة الاوردة، ومرور الهواء الجديد الذي جلبه التنفس عليه ليصلح الدم بعد الفساد، ويفيد منه الجسم آية من آياته؟ دع سمع الانسان وبصره ونطقه واحساسه بل دع روحه التي بين جنبيه وأطوارها في الصغر والكبر والحياة والموت، وما يعرض لها من ذكر ونسيان وحزن وسرور وعلم وجهل ومحبة وبغض فانها آيات كبرى ودلائل عظمى

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ (١) بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) الطور

(تقوله) افتراه على الله، يتحدى الله تعالى المشركين الذين يتهمون الرسول «ص» بافتراء القرآن بأن يأتوا بقرآن مثله ولن يكون منهم ذلك. ثم يعود بهم إلى محاكمة العقل في إنكارهم الرب فيقول أخلقتم بدون خالق؟ أم خلقتم أنفسكم؟ وكلاهما مصادم لبديهة العقل، فاذاً هناك خالق ليس من جنس هذه العوالم، ثم عاد بهم إلي السموات والارض التى هي أكبر من خلق الناس: هل أنتم الخالقون لها؟ ثم عاد فعرفنا أن ليس لهؤلاء عقيدة يصدرون عنها ولا يقين يركنون اليه، بل هم مضطربون

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي

مَّا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢)
أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ (٦٤)
لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦)
بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ (٦٨) ءَأَنتُمْ
أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا
فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ (٧١) ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ
شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا
لِّلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ (٧٤) الواقعة

(تمنون) تصبون في الارحام من النطف . و(مسبوقين) مغلوبين . و (تحرثون) تلقون من البذر في الارض . و (تزرعونه) تنبتونه وتحفظونه من الآفات . و(حطام) هشيم . و (تفكهون) تعجبون. و (المزن) السحاب. و(أجاج) ملح لا يستطاع شربه و (تذكرة) تذكير بجهنم. و (المقوين) من أقوى الرجل صار في قواء أي قفر وخلاء يحتاج فيه الي النار، وأقوت الدار خلت ومن لازم ذلك الفقر، يسألهم عن نطفهم أهم الذين يخلقونها أم الله ؟ وعما يضعون في الارض من البذر أهم الذين ينبتونه حتى يكبر أم المنبت له هو الله؟ ولم يكن منهم إلا وضع البذر في جوف الارض. وسألهم عن الماء العذب الذي يشربون أهم الذين أنزلوه من السحب أم المنزل له هو الله ؟ وعن الشجرة التى هي وقود النار أهم الذين أنشأوها أم الله؟ وأراهم أن من قدر على بدئهم قادر على إعادتهم ، وهددهم بأن لو شاء أن يجعل زرعهم هشيما يابسا ما استطاع أحد منعه، ولو أراد أن يجعل ماءهم العذب ملحا اجاجا لفعل ، وكان عليهم أن يعتبروا بهذه الآيات ، ويشكروا هذه النعم، ولكنهم بدلوا شكرها كفراً ، والايمان بها جحوداً.

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ (٦)

يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨)، يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) الطارق

(دافق) سائل بقوة. والصلب سلسلة الظهر. والترائب موضع القلادة من المرأة و(رجعه) إعادته و بعثه . و (تبلى) تختبر - يأمرنا الله تعالى بالنظر فيما خلق منه الانسان، وهو الماء المهين الذي جعله في قرار مكين إلي قدر معلوم، وان من خلق الانسان من ذلك الماء قادر على إعادته في الآخرة، يوم تنكشف النوايا و يتميز طيبها من خبيثها .

وقوله ﴿من بين الصلب والترائب﴾ أي من بين الرجل والمرأة عند الملامسة، فكنى بالصلب عن الرجل و بالترائب عن المرأة. وليس بلازم أن يخرج الماء الذي هو أصل الجنين من كل منهما أو من بين صلب الرجل وترائبه، لان العرق الذي يغذي الخصيتين لتكوين النطفة بينهما . ومن الاطباء من يرى ان أول مكان تكون فيه الغدد المعدة لتكوين النطف بين الصلب والترائب ثم تنزل إلي الخصيتين. وفي بعض الناس تؤدي الغدد وظيفتها بدون نزول إلي الخصيتين . ومن الناس من يفسر الماء بماء المرأة الذي يحمل البويضات، وماء الرجل الذي يحمل الحيوان المنوي ثم باختلاط المائين يلقح الحيوان المنوي بويضة من البويضات فيتكون الولد بهذا التلقيح وهو معنى «أمشاج» في قول الله تعالى ﴿إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج﴾ اي مزيج من المائين . وتأمل كيف صلحت الآية في هذه المسألة العلمية الدقيقة لجملة معان لتعلم أن تجارب الناس وعلومهم تتطور و يختلفون عليها اختلافا كبيراً، أما كتاب الله تعالى في المسائل العلمية فهو النص الحكيم الذي لا يقوى على نقضه علم ولا اكتشاف، وانما يؤيده العلم، ويقويه البحث

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) الغاشية

خص الابل لانها افضل دواب العرب وأعمها نفعا، ثم هي خلق عجيب، فمع عظم قوتها تنقاد للضعيف، وفي تركيبها ما اعدها لحمل الاثقال الي البلاد الشاحطة، ثم تبرك لتحمل عن قرب و يسر، وتنهض بحملها مع صبر على السير والعطش والجوع - يأمرنا الله بالتدبر في هذه الآيات فى الابل كيف خلقها، والسماء كيف رفعها بغير عمد ترونها؟ والي الجبال كيف نصبها رواسي؟ والي الارض كيف سطحها ومهدها؟

وحدة الله تعالى

وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ [1] لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) البقرة

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) البقرة

القيوم القائم على كل شيء بحفظه وتدبيره، وعلى كل نفس بما كسبت، يحاسبها ويجزيها و «سنة» نعاس وهو فتور يتقدم النوم، وذكر النوم بعد النعاس لانه بعده في الرتبة والزمن، ولا يلزم من نفي النعاس نفي النوم، لان سلطان النوم أشد من سلطان النعاس «إن كان للنعاس سلطان» وتأمل تعبير القرآن بقوله ﴿لا تأخذه﴾ ليريك ان الرجل الذي يستولي عليه النوم او النعاس مثله مثل الرجل المأخوذ من بين جلسائه وأصحابه فاذا كان معهم بجسمه فليس معهم بقلبه، وفيه تنبيه إلى ضعف الانسان أمام ماتقتضيه

(١) انظر تفسير الآية في أول بحث الوجود

البشرية ، وما تتطلبه طبيعة الانسان من راحة كلما ضعف عن العمل والكد ، وليس في استطاعة الانسان أن يدفع عن نفسه النوم إذا جاء وقته ، ومقاومته عند أوانه مقاومة للفطرة تضر بصاحبها ضرراً كبيراً — والآية ترينا أن قانون البشرية ، والخضوع لخصائص الانسان من نوم ونعاس وما اليهما كالغفلة والنسيان قد تنزه الله عنه وتعالى علواً كبيراً . وكيف يخضع لقانون العبودية وله ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا ؟ وقوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) تمثيل لانفراد الله بالسلطان في ذلك اليوم ، وبيان لكبرياء شأنه وانه لا أحد يدانيه أو يساويه كما تقول — ولله المثل الاعلى — من ذا الذي يدخل داري بغير اذني؟ وما بعده من الجمل كالتعليل له . وكرسيه قيل هو علم الله وقيل ملكه ، وقيل عالم غيبي ندع تحديده إلى الله تعالى . ويؤوده : يثقله ويشق عليه

شَهِدَ [١] ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ، لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١٨) آل عمران

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ، فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) آل عمران

سواء وسط ليس فيها ترجيح فريق على فريق ، وقوله : أن لا نعبد إلا الله . عرف العلماء العبادة بانها اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة ، كالصلاة والزكاة والحج وصدق الحديث وأداء الامانة وبر الوالدين وصلة الارحام والوفاء بالعهود ، واخلاص الدين لله تعالى والشكر لنعمه والرضاء بقدره وما إلى ذلك — والآية توجب إفراد الله بكل أنواع العبادة ، وهي تقرر وحدة الالوهية . وقوله (أربابا) جمع رب وهو المربي المطاع فيما يأمر وينهى ،

---

[١] بما نصبه من الدلائل في الآفاق والانفس على انه الاهل لان يعبد ، وشهادة الملائكة إقرارهم بذلك عن علم ، وكذلك أهل العلم الذين يفرقون بين البرهان والمغالطات وقوله : قائما بالقسط أي العدل والحق في شهادته

والمراد هنا من له حق التشريع والتحليل والتحريم . ومنه قول الله تعالي ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ فقد كان اليهود موحدين ولكن يتبعون رؤساء الدين فيما يقررون ويجعلونه بمنزلة الاحكام المنزلة من الله تعالى ، وجرى النصارى على ذلك

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا (١) لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (٨٠) آل عمران

يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ، إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ، فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ ، ٱنتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ، سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ؟ ! لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ، وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ، وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم

(١) جمع عبد بمعني عابد . وربانيين منسو بين إلي الرب متخلقين بأخلاقه بعلم الكتاب وتعليمه الناس ، وسكت عن العمل به لان الاصل في العلم الصحيح أن يكون باعثا على العمل ، فان العلم الصحيح ما كان ملكة راسخة في نفس العالم ، وانما الاعمال آثار الصفات والملكات

مِنْ فَضْلِهِ ، وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنْكَفُوا وَٱسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مِنْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٣) النساء

«لا تغلوا» تتجاوزوا الحدود التي حددها الله لكم، و«كلمته» تحقيق كلمته التي ألقاها إلى مريم وهي كلمة «كن» وسمي كلمة الله لانه لما جاء على غير المعتاد للبشر نسب الي السبب الظاهر وهو كلمة كن . أو المراد كلمة البشارة لامه من جبريل . او أطلق عليه كلمة لمزيد إيضاحه كلام الله الذي حرفه اليهود. و«روح منه» مؤيد بروح منه تعالي أو خلق بنفخ من روح الله وهو جبريل . ومن العلماء من فسر الروح بالرحمة. وقد اغتر بعض الناس باجمال هذه الكلمات في عيسى ونسي قول الله تعالى فيه (إن هو إلا عبد انعمنا عليه) وقوله فيه وفي امه الصديقة ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ وكان عليهم أن يجعلوا هذه الآيات المحكمة أصلا لفهم المتشابه لانها ام الكتاب ومرجعه.

لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ، وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ، وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ، وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ، وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ، ٱنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٧٦) المائدة

(خلت) مضت. و«صديقة» خلقها الصدق. يرينا ان قول الناس في عيسى انه الله او ان الله ثالث ثلاثة فيهم عيسى هو قول باطل، وان عيسى لا يتخطى أن يكون رسولا قد مضت الرسل من قبله، وما فضل الناس بألوهية وانما فضلهم بالرسالة كما فضلت امه بقية النساء باصطفاء الله تعالى لها وطهارتها وجعلها أماً لهذا الرسول العظيم.
وتأمل قوله في نبي الله عيسى وأمه مريم «كانا يأكلان الطعام» لترى كناية في منتهى الادب وحسن التعبير. يريك بها أن من يأكل الطعام مفتقر الى ما يقيم بنيته، ويمد حياته، فلا يصح ان يكون إلها معبوداً. وقوله ﴿ من لا يملك لكم ضراً ولا نفعا ﴾ أي يقبح منكم ان تعبدوا من لا يملك نفعكم إذا أنتم أطعتم امره، ولا ضركم اذا انتم تركتم عبادته

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ، إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ، إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ، وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١) مَّا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) المائدة

وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا

---

١ ﴿ قائماً عليهم أراقبهم وأشهد على قولهم وفعلهم فأقر الحق وأنكر الباطل. وهذا السؤال الذي سيكون من الله لنبي الله عيسى تبكيت للذين غلوا فيه وفي أمه وعبدوهما: أما هما فيعلم الله انه لم يكن منهما شيء من ذلك

يُطْعَمُ ، قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ، وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) الانعام

(وله ماسكن) عطف على ما قبله أي لله ما في السموات وما في الارض، وله ماسكن، وهو من السكون ضد الحركة فيكون من باب الاكتفاء أي وما تحرك . او من السكني، وحكمة ذكره بعد دخوله في عموم ماقبله التذكير بتصرف الله في العوالم الخفية، فان السكنى والسكون من أمارة اختفاء الساكن فاذا كان في الليل كان اشد خفاء ، ولذلك قدم ذكر الليل. وقوله وليا اي ناصراً يتولى امري -يرينا الله أن لا ينبغي لنا ان يتخذ بعضنا بعضا ناصراً له فيما وراء الاسباب التي يتناولها الناس ﴿إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ـ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الي الظلمات﴾ أما تناصر المسلمين وولاية بعضهم بعضا فيما هو من كسبهم العادي فهو شأن من شؤون المؤمنين ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ـ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا علي الاثم والعدوان﴾ فهذا هو الفرق بين الولاية المشروعة وغير المشروعة، وقد غفل بعض الناس عن الفرق بين القسمين فقاس احدهما على الآخر . وقوله ﴿فلا كاشف له إلا هو﴾ فيه ردع لقوم ينسون ربهم عند الشدائد و يلجأون الى الصالحين في قبورهم يطلبون منهم كشف ضرهم وتفريج كربهم

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ، انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦) الانعام

تهديد من الله للمشركين الذين يعرضون عن ربهم في عباداتهم و يلجأون الي

غيره من الخلق ، وما اشده من تهديد !! ومن الذي يستطيع ان يرد الاسماع والابصار من معبوديهم إذا كان الله قد اخذها ؟ ام من الذي يفتح القلوب إذا كان الله قد ختم عليها وحال بينها و بين الحق ؟ و« نصرف الآيات» ننوعها و نجعلها على وجوه مختلفة . ويصدفون يتجنبون التأمل فيها . والعطف بثم يفيد الاستبعاد لان شأن تنويع الادلة والبراهين ان يتبعه الاقبال و يبعد ان يتبعه الاعراض

قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُم مِّنْ ظُلُمَٰتِ البَرِّ وَالبَحرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لئِنْ أَنجَٰنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِين (٦٣) قُلِ اللهُ يُنجِّيكُم مِّنهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثمَّ أَنْتُمْ تُشرِكُونَ (٦٤) قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَن يَبعَثَ عَلَيكُم عَذاباً مِنْ فَوقِكُم أَو مِن تَحتِ أَرجُلِكُم أَو يَلبِسَكُم شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعضَكُم بَأسَ بَعضٍ انْظُرْ كَيفَ نُصَرِّفُ الآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفقَهُونَ (٦٥) الانعام

تذكير بقدرة الله تعالى على تعذيبهم اثر تذكيرهم بقدرته على نجاتهم وانذار بأن عاقبة كفر النعم زوالها وان يحل محلها النقم . وقوله (من فوقكم او من تحت ارجلكم) ورد في التفسير المأثور ان العذاب من فوق بالرجم من السماء ، والعذاب من تحت الارجل بالخسف والزلازل . وعن ابن عباس المراد بالفوق أئمة السوء وأمراء السوء . والمراد بقوله (من تحت أرجلكم) عبيدكم وسفلتكم . وقيل المراد بالفوق حبس المطر وبالتحت منع الثمرات . وكل هذه الانواع تدخل في عموم ماترشد اليه الآية كما يدخل في عمومها ما أنتجه و ينتجه العلم البشري من مدمرات علوية وسفلية كالمناطيد والغازات السامة والغواصات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله مما ينتجه العلم . وما أحوج الناس الى دين يرقب هذا العلم و يشرف عليه حتى لا يكون كالثور الهائج يأخذ في طريقه البر والفاجر ، ما أحوج الناس إلى دين يهيمن على هذه النفوس التى بدلت نعمة الله كفراً وشكره جحوداً ، ألهمها العلم لتعمير الارض فاستعملته في تخريبها ، ووهبها قوة الاختراع لنفع الانسانية فسخرتها لاذلال الضعيف

وفي حديث سعد بن أبي وقاص عند أحمد والترمذي سئل رسول الله (ص)

عن هذه الآية (قل هو القادر) فقال «أما انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد» يشير إلى أن الايام ستفسر لنا العذاب الذي يبعثه الله من فوق ومن تحت ، وان ماظهر منه داخل في عموم الآية ، وليس هو كل المراد من الآية . أما قوله (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) فما أشده من تهديد . يرينا الله به ان في قدرته أن يجعلنا احزابا وفرقا على اهواء شتى ، ومنازع مختلفة ، وقد التبس علينا الحق ، واختلطت معالم الطريق ، حتى يصير بعضنا حربا على بعض ، مشتغلين بذلك التحزب الداخلي عن شئوننا الخارجية ، ومصالحنا الدينية والدنيوية ، إلي أن يسلمنا إلى الاعداء لقمة سائغة . ولعمر الحق ان هذا النوع من العذاب أشد أثراً من مقذوفات الغواصات والطيارات والغازات الخانقة وسائر المدمرات . يهددنا الله تعالى به إذا نحن بدلنا الايمان به جحودا ، والبصر بآياته عمى وضلالا ، ومناصرة رسله تهكما وايذاء ،

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٧٤) وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) الانعام

﴿اصناما﴾ قيل هناك فرق بين الصنم والوثن هو أن الوثن ما له جثة معمولة من جواهر الارض اومن الخشب والحجارة كصورة الآدمى تعمل وتنصب فتعبد . والصنم الصورة بلا جثة. ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين . والظاهر ان الاصنام التي كانت عند الكلدانيين كان لها جثة ، لانها هي التماثيل التي كسرها نبي الله ابراهيم وجعلها جذاذاً أي قطعا صغيرة ، الا ان تكون صوراً ملونة على جثث من جواهر الارض وتكسيرها بتكسير ماتحتها من الجثث . وقوله (اني أراك وقومك) فيه مدكر لقوم يرون من الادب مع الآباء تركهم في شهواتهم وضلالهم ، وما دروا ان حق الله تعالى فوق حق الآباء ، وان خليل الله ابراهيم لم ير بأسا في وعظ ابيه بل البأس كل البأس ان يدعه يتخبط في ضلاله ولا يدعوه الى ربه وخالقه . و (ملكوت) ملك . و (جن عليه) غطاه وستره . و (هذا ربي) يتهكم بقومه . و «أفل» احتجب . وحنيفا من الحنف بالتحريك وهو الميل من العوج إلى الاستقامة

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَٰتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَٰحِبَةٌ ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) الانعام

﴿وخرقوا﴾ اختلقوا بحمق وسفه و﴿بغير علم﴾ من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ وصواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة . و (بديع) مخترع لا على مثال سبق . وقوله ﴿أنى﴾ بمعنى كيف ، وهو انكار من الله على من يدعي بنوة الملائكة له تعالى وتسفيه لتفكيرهم من طريق العقل والمنطق لانه لو كان له ولد لكان له صاحبة ، لان التوالد انما يكون من أبوين مع انه خالق كل شيء ، ووكيل على كل شيء يتصرف فيه ويدبره

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ (١٦٢)

لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) الانعام

قوله (ولا تكسب) الخ هو بمعنى قوله في آية أخرى ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ والوزر الذنب أي من اصول الاديان العادلة ان كل انسان مجزي بعمله، وزكاة نفسه منوطة به (أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وابراهيم الذي وفى * أن لا تزر وازرة وزر أخرى * وان ليس للانسان إلا ما سعى * وان سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الاوفي)

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ، ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ، قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ؟ (٣٠) ٱتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) التوبة

(بأفواههم) أي لا يتجاوز حركة اللسان اذ ليس له مدلول في الوجود ولا حقيقة في مدارك العقول فهو كقوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا) وقوله ﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ و«يضاهئون» يحاكون (وأنى يؤفكون) كيف يصرفون عن التوحيد الى الشرك وهو استغراب لما وقع منهم (وأحبار) جمع حبر وهو العالم من أهل الكتاب (ورهبان) جمع راهب وهو المتبتل المنقطع للعبادة عند النصارى . والمراد رجال الدين في الفريقين من العلماء والعباد . واتخاذهم أربابا

إعطائهم حق التشريع والتحليل والتحريم وهو حق الرب، روى الترمذي عن عدي ابن حاتم قال: اتيت النبي (ص) وهو يقرأ في سورة براءة (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) فقال «أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا احلوا لهم شيئا استحلوه، واذا حرموا عليهم شيئا حرموه» فليعتبر بذلك أنصار التقليد، اما المسيح عليه السلام فقد اتخذوه ربا وعبدوه

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمرَ؟ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ؟ (٣١) فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلَلُ، فَأَنَّى تُصْرَفُونَ؟ (٣٢) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (٣٣) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ؟ قُلِ اللهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ (٣٤) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ؟ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى؟ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟ (٣٥) يونس

يقررهم الله بهذه الدلائل ليقيم عليهم الحجة من انفسهم. وقوله (افلا تتقون) اي اذا كنتم مقرين بهذه الآيات لله فلماذا تشركون به من لا يملك لكم شيئا منها؟ ولماذا لا تتقون الشرك وما اليه؟ وقوله (كذلك حقت) اي كما حق انصرافهم عن الآيات بعد وضوحها واعترافهم بها ان لم يكن بألسنتهم فبفطرهم حق عليهم ختم الله على قلوبهم فلا يؤمنون. وقوله (فما لكم؟) أي ما الذي حل بكم حتى أهملتم عقولكم. وهو استفهام توبيخ وتعجيب من حالهم. وقوله (كيف تحكمون؟) اي بما يقضي صريح العقل ببطلانه

وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ، فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ، وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ، يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ، وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٧) يونس

﴿تدع﴾ تعبد. وتقدم ان العبادة اسم جامع لكل أنواع التقرب إلى الله تعالى من صلاة وصوم ودعاء له تعالى لكشف الكروب وهداية القلوب. وقد جهل فريق من الناس ان الدعاء نوع من عبادة الله دعانه مخها وأساسها ، فأخذ يدعو غيره ويستغيث سواه نعم له أن يدعو من الاحياء من يعاونه فيما لا يعدو حد الاسباب الظاهرة ، كدعاء الطبيب لفحص مرضه والغني لمواساته ومن على الشاطىء لانقاذه من غرقه ، أما الرجوع إلى المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى من الشئون فهذا من الظلم ، ووضع الشيء في غير موضعه ولذلك يقول (فان فعلت فانك إذاً من الظالمين)

يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ ، ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يوسف

يرينا الله تعالى على لسان نبي الله يوسف عليه السلام ان الخير للناس في أن يكون لهم إله واحد يعرفون مايحب فيسارعون اليه وما يبغض فيتباعدون منه ، وان عبادة آلهة متباينة في مشاربها مختلفة فيما تحب وتكره مدعاة للقلق والاضطراب في العابد ﴿ ضربَ الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ، ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا؟ ﴾ و«أسماء» أي لامسميات لها فهم يعبدون ألفاظا خالية من الحقيقة. و(سلطان) حجة . والقيم الثابت او المستقيم لانه المتفق والفطر

لَهُ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِ، وَمَا دُعَاءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ (١٥) قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ، قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ، قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (١٦) الرعد

أي إذا دعي الله تعالى كانت دعوة الناس له حقا لانه الذي يستجيب من دعاه، أما دعاء غيره فباطل . وقد ضرب الله مثلا للكفار الذين يدعون غيره بالذي يبسط كفيه الى الماء ليبلغ فمه ،فاذا كانت الكف المبسوطة تحمل ماء الى الفم فدعاء المشركين للمخلوق يجديهم و ينفعهم ، ولا يمكن أن يبلغ الماء الفم بكف مبسوطة ، فكذلك دعاء الكافرين لغير الله لا يفيد ،وهذا هومعني قوله ﴿في ضلال﴾

وقوله ﴿طوعا وكرها﴾ أما السجود طوعا فيظهر في المطيعين لله تعالى باختيارهم من الانس والجن والملائكة . وأما كرها فهو سجود انقياد وتسخير لما وضعه الله تعالى فيهم من سنن ، وما رسم لهم من حدود كسننه الالهية في الجاذبية والنباتات والحيوان من ضعف وقوة ، وصحة ومرض ، وصلاح وفساد . وهل في استطاعة مخلوق أن يخرج عما رسمه الله له من حدود،وما وضع من سنن؟ وهل ترى عوالم السماء تعاصت على خالقها ؟ او تأبت على ربها و بارئها ان تقوم بما خلقت له من عمل ، وما أنشئت لاجله من حكم ومصالح ؟ ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا

هم مظلمون * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ وقوله ﴿ قل أفاتخذتم ﴾ الخ أي أكان منكم بعد علمكم انه رب السموات والارض أن قد اتخذتم من دونه نصراء لا يملكون لا نفسهم نفعا ولا ضراً ومن لا يملك لنفسه لا يملك لغيره بالاولى . وهو إنكار من الله عليهم وتوبيخ لهم وقوله ﴿ ام جعلوا لله شركاء ﴾ الخ يعنى انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد إذ لا فرق بين خالق وخالق ، ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عن ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق ، و ﴿ قل الله خالق كل شيء ﴾ ومن لا شريك له في الخلق لا يصح ان يكون له شريك في العبادة (وقهار) لا يغالب . وما عداه مربوب مقهور

أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا ، إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢) النحل

ينكر الله تعالى على المشركين ان يسووا بين قادر يخلق وعاجز لا يخلق ، ولله ما ادق هذه الجملة على ايجازها ، وقوله غير احياء تأكيد لاموات ، وايذان بغباوة المشركين وانه لا يكفيهم أن يقول الله في معبوديهم انهم اموات ، وظاهر الآية ان الكلام فيمن يدعو طائفة من البشر فهو يبكتهم بأن من يدعونهم لا يعلمون متى يبعثهم الله

وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَٱرْهَبُونِ (٥١) وَلَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا، أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ، ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) النحل

(الدين) الطاعة، و(واصبا) دائما اي هو الذي يستحق ان يطاع باستمرار، و(تجأرون) ترفعون الصوت بالدعاء والاستغاثة- يريهم الله انهم يكفرون به في الرخاء، ويرجعون اليه عند الشدة، وذلك دليل تكلفهم في شركهم وخروجهم على فطرهم واستعدادهم

وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (٣٩) أَفَأَصْفَٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ، وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ، إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٣٤) الاسراء

(مدحورا) مطرودا من رحمة الله مبعدا، وقوله (أفأصفاكم) يريهم الله انه اذا لم يكن لهم دين كان يجب أن يكون لهم عقل، والا فلماذا يؤثركم الله بالبنين الذين هم أفضل الاولاد و يتخذ له من الملائكة إناثا وهم اقل من البنين ؟ وهلا كان في استطاعته

لو كان هناك اتخاذ أن يكون من افضل الصنفين ؟ وقوله (إذاً لابتغوا) الخ اي لطلبوا سبيلا بالمغالبة إلى من له الملك لان ذلك شأن الآلهة كما قال في آية اخرى (إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) فمن تصور الآلهة في وفاق ووئام فقد نسي طبيعة الاله لان شأن الاله الغلبة المطلقة والاستئثار بالملك ، ويصح ان يكون المعنى لابتغوا سبيلا للتقرب من صاحب العرش ومن كان في حاجة الى القربى من صاحب الملك لا يصح أن يعبد كقوله (اولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) وتفقهون من الفقه وهو الوقوف على فقه الشيء وسره ، ومعناه الامعان في الفهم والتعمق فيه

قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) الاسراء

يبكت الله من يعبد الملائكة أو المسيح أو غيرها ويتحداهم بأن يدعوهم ما شاؤا أن يدعوا فانهم لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويله منكم إلى غيركم ، ويريهم ان الذين يدعونهم يبتغي أقربهم إلى الله الوسيلة اليه فكيف بالبعيد ؟ أو يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله بالطاعة فكيف تدعونهم وتتخذونهم وسطاء ؟

وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١) الاسراء

قوله (من الذل) متعلق بولي أي ليس له ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به ، أو لم يوال أحداً من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته ، فان الشأن فيمن يتخذ وليا أن يكون محتاجا اليه (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد)

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ،

فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) الكهف

أي من كان مؤمنا بالبعث راجيا له كما قال (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) أي من كان له رجاء في لقاء ربه فليعد له عدته ، وهي العمل الصالح الذي يرضاه الله ويقبله وعدم الاشراك بعبادة الله تعالى في أي نوع منها : واسلام الوجه لله تعالى فى كل طاعة من الطاعات ظاهراً وباطنا

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَالاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) مريم.

(صديقا) خلقه الصدق - والعجب ممن يسمعون هذا الثناء البالغ في خليل الله ابراهيم ثم يصدقون بروايات تنسب الكذب اليه واذا رددت عليهم بالآية التي معنا وبالأصل المتفق عليه وهو عصمة الانبياء عليهم السلام من الكذب اضطربوا، ومنهم من يتأول الحديث بأنه كذب بحسب الصورة لانه من باب المعاريض، ولو سألته: ولماذا يعبر الرسول (ص) في حق نبي أمره الله أن يتبع ملته ومدحه بأنه «كان أمة» بلفظ ظاهره الطعن فيه؟ وهل ضاقت العبارة على أفصح العرب وأبينهم حتى لا يستطيع وصف الرسول بما يريد أن يصفه به في وضوح وجلاء بل بأسلوب مريب وطريق مشكك فى العصمة؟ لو سألته سبب ذلك ما وجد للجواب عنه سبيلا ، ولو كان أنصار الرواية يسيرون على طريق أهل العلم ما قدموا حديثا ظنيا على آية قطعية

أَمِ اتَّخَذُوا ءَالِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ (٢٣) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ

دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ، هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٤) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا فَٱعْبُدُونِ (٢٥) وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُۥ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ، كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّـٰلِمِينَ (٢٩) الانبياء

﴿ينشرون﴾ أي ينشرون الموتى من قبورهم، من نشر الثوب والصحيفة بسطها، وقوله (لفسدتا) أي لاختل نظامهما، لان من شأن الاله الغلبة وعدم الخضوع لغيره كما قال في آية أخرى (إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) وحاصل الدليل ان قيام السموات والارض ومشاهدتهما على هذا النحو الكامل، والنظام المستتب، برهان على ان القائم عليهما إله واحد لان التعدد مدعاة للفساد والاختلال، وقوله (لا يسئل عما يفعل) الخ لان فعله لا يعدو حد الحكمة، والذي يسئل من كان عمله عرضة للخطأ، وقوله (لا يسبقونه بالقول) لا يقولون شيئاً حتى يقوله، والمراد انهم لا يتقدمون ربهم في قول ولا في عمل بل دأبهم الطاعة

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٤١) قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ، بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ

مِنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣) بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ، أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ؟ (٤٤) الانبياء

(حاق) حل ونزل جزاء عملهم، و يكلؤكم يحفظكم من عذاب الله، وقوله (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) إنكار من الله لهم ان يعبدوا آلهة لا تستطيع منعهم من عذاب الله لانها لا تستطيع نصر نفسها ولا هي مصحوبة بنصر الله فكيف تنصر غيرها؟ وقوله ﴿أفلا يرون﴾ الخ تهديد لهم بما يفعله بالجاحدين الظالمين من تسليط غيرهم عليهم، واستيلائهم على أرضهم و بلادهم وان الله هو مالك الملك يؤتيه من يشاء و ينزعه ممن يشاء، وهو يلفتهم الي ان الايام دول ولا تزال كذلك إلى قيام الساعة، والذي يرجع إلى خرائط الارض وممالك العالم قبل الحرب العظمى و بعدها ويوازن بين الحالين يعرف كيف يكون إتيان الله للارض ينقصها من أطرافها، وتأمل قول الله بعد ذلك ﴿أفهم الغالبون؟﴾ لتعرف من الذي يحاربون إن كان فيهم شيء من العقل ومن الذي يغالبون إن كانوا ممن يسمع و يعقل؟

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ؟ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ؟ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٥٦) وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥٩)

قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَٰهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوٓا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ (٧٠) الانبياء

قال في الكشاف ﴿ ما أقبح التقليد والقول المتقبل بدون برهان وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم، وكفى أهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم ﴾ و ﴿ جذاذاً ﴾ فتاتا من الجذ وهو كسر الشيء وتفتيته، وقوله ﴿ بل فعله كبيرهم ﴾ قال ذلك تهكما بهم ليجعل بأسهم بينهم وبين معبوداتهم شديدا، وقوله ﴿ ثم نكسوا على رؤسهم ﴾ يريك صورة من صور الباطل عند مصادمة الحق له، وانه قد يخجل أصحابه وقتا ما فيندمون على مناصرته، ثم تأخذهم العزة بالاثم فينقلبون راكبي رؤسهم، مستميتين في الدفاع عن باطلهم، فهؤلاء عباد الاوثان بعد أن قالوا ان الذي كسر أصنامهم ظالم، وبعد أن سألوا نبي الله ابراهيم عن الفاعل فبكتهم بأن فاعل ذلك هو صنمهم الكبير فليسألوه إن كان له نطق، وبعد أن عرفهم ابراهيم ان الآلهة التي يعتدى عليها الناس بالكسر

والتقطيع ثم لا تدفع عن نفسها ولا تعرف المعتدي عليها - من الحمق والسفه أن تتخذ آلهة - بعد ذلك كله انتفخت أوداجهم، ونزغ الشيطان في قلوبهم، فنكسوا على رؤسهم وانقلبوا على أعقابهم وهم يقولون (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) فلم ترد بذلك القول إلا تبكيت عبادهم وتسفيه احلامهم

وقوله (أفتعبدون من دون الله) الخ يعود نبي الله ابراهيم إلى محاكمتهم إلى العقل، والرجوع بهم الي المنطق، ثم قال متضجراً من تهالكهم على الباطل (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) بعد وضوح الادلة وظهور الآيات، فلم يكن منهم بعد العجز الظاهر والخزي الفاضح سوى الرجوع الي الحديد والنار، شأن المبطلين إذا أعوزهم البرهان، وقد نسوا ان الله وعد رسله النصر ووعد أعداءه الخزي فاذا هم أعدوا له ناراً فان الله تعالى قال لها كوني برداً وسلاما

يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا لَهُ ، إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ (٧٣) مَاقَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) الحج

(تدعون) تعبدون بأي نوع من انواع العبادة كدعاء المقبورين الصالحين لقضاء الحوائج وقد ضرب لهم المثل بالذباب لانه صغير حقير فاذا عجزوا عن خلقه ولو تعاونوا على خلقه مع صغره وحقارته كان عجزهم عن خلق غيره اوضح، وكما تحداهم بأن من يدعونهم لا يستطيعون خلق الذباب عرفهم انه إن سلبهم شيئا وطار به فى الجو لا يستطيعون إنقاذه منه، وقوله (ضعف الطالب والمطلوب) الطالب آلهتهم والمطلوب الذباب، وقوله (ماقدروا الله حق قدره) أي ماعرفوه حق معرفته لانهم سووه بخلقه

قُلْ لِمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ

ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ؟ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (٩٠) مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ، سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) المؤمنون

(يجير) يغيث من يشاء ولا يغيث أحد منه أحداً (وتسحرون) تخدعون عن توحيده وطاعته، وقوله (إذاً لذهب كل إله بما خلق الخ أي لو كان مع الله اله لكان منهما التفرق وأن يذهب كل واحد منهما بخلقه ، ويعلو بعضهم على بعض فتسود الفوضى ويختل النظام ، لان ذلك هو طبع الآلهة ، ومن تصور إلها بلا غلبة ولا ممانعة واستئثار بالسلطة فقد تصوره بشأن غير شأنه، وطبيعة غير طبيعته . فالآية المذكورة تفسر لنا قول الله تعالي (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وتريبنا انها حجة قطعية على عدم تعدد الآلهة وان الذين فرضوا في الاله اتفاقا مع غيره على عمل قد نسوا ما يجب أن يكون للاله من قوة واستئثار. وقوله (لا برهان له به) يرينا ان الاصل في دين الله أن يؤخذ بالبرهان والحجة أما أخذه تقليداً للآباء والشيوخ فذلك ما ينهى عنه الدين وأئمته المشهود لهم بالفضل والعلم ولله من قال : التقليد إبطال لفائدة العقل

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ، لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُ بِهِۦ ،

فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ (١١٧) وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ (١١٨) المؤمنون

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا (١) ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا (٢) وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا (٣) الفرقان

(تبارك) من البركة وهي كثرة الخير وزيادته وهل هناك خير من أن ينزل الله تعالى علينا كتابا فيه سعادة الناس فى دينهم ودنياهم؟ والفرقان القرآن لفصله بين الحق والباطل ولانه لم يترل جملة بل مفرقا كما قال (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) وقوله (فقدره تقديرا - بعد قوله - وخلق كل شيء) أي سواه وعدله علي احسن صورة وأكمل شكل كما قال ﴿ يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ماشاء ركبك ﴾ ونشورا أي للموتى. من نشر الثوب او الصحيفة بسطها. والمراد انهم لا يملكون أن يميتوا أحدا أو يحيوه ولا يملكون إعادة أحد بعد الموت

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ؟ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ؟ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ؟ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ

تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلاقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيٓ إِلَّا

رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٧) ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِي هُوَ

يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي

ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَٱلَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ

ٱلدِّينِ (٨٢) الشعراء

«يهدين» تطلق الهداية على الارشاد والدلالة . والمعنى ان الله تعالى هو الذي يقيم للناس الادلة والبراهين على الحق ويميز لهم بينه وبين الباطل ثم يدعهم بعد ذلك ليختاروا بأنفسهم أحد الطريقين كما قال تعالى (وهديناه النجدين) وكما قال (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وعليه فهداية الله للناس بوضع أمارات الهدى وعلامات الحق. وتطلق الهداية على تحويل القلب من فساد الى صلاح ولا يملك ذلك الا الله وحده فلا يملكه ولي مقرب ولا نبي مرسل كما قال (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء)

وقوله (والذي هو يطعمني ويسقين) اي بما هدى اليه الانسان وسخره له من اسباب الطعام والشراب من هدايته لطرق الزراعة والصناعة بواسطة الامطار التي ينزلها الله تعالى من السماء ويسلكها ينابيع في الارض وصلاحية الارض للانبات . وكذلك قوله (واذا مرضت فهو يشفين) بواسطة ما هدانا اليه من وسائل التداوي وصناعة الطب . ولذلك يأمرنا الله تعالى بالعمل للدنيا من طريق الاسباب ويأمرنا بالتداوي وتوقي الامراض قدر الطاقة

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ

أَمَّا يُشْرِكُونَ؟ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلارْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ

مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ

تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَـٰهٌ مَعَ ٱللَّهِ ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ ٱلارْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَا أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؟ أَءِلَـٰهٌ مَعَ ٱللَّهِ ؟ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلأَرْضِ ؟ أَءِلَـٰهٌ مَعَ ٱللَّهِ ؟ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؟ أَءِلَـٰهٌ مَعَ ٱللَّهِ، تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلارْضِ ؟ أَءِلَـٰهٌ مَعَ ٱللَّهِ ؟ قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ (٦٤) النمل

(حدائق) جمع حديقة وهي البستان عليه حائط ـ من الاحداق وهو الاحاطة و (بهجة) حسن اللون وظهور السرور فيه و (يعدلون) يسوون بالله غيره او يعدلون عن الحق بعد وضوحه و (قرارا) صالحة للاستقرار عليها . و (جعل بين البحرين حاجزاً) أي خلق الارض على شكل يحول دون طغيان احد البحرين: العذب أو الملح: على الآخر فهو حاجز من خلقة الارض وهو المراد من قوله (وجعل بينهما برزخا وحجراً محجورا) وقوله (أم من يجيب المضطر إذا دعاه) الخ يرينا انه تعالى صاحب كل هذه الآيات ومن له هذه الآيات لا يصح أن يسوى بغيره. ولعل في الآية عبرة لمن يعرضون عن ربهم في الشدة ويذهبون الى الموتى

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنْكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ، وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٤٢) العنكبوت

الغرض تشبيه ما اتخذوه من دون الله من أنصار ببيت هو مثل واضح فى الوهن والضعف وهو نسج العنكبوت الذي لا يقي حرا ولا يدفع بردا، ولا يصد عن ساكن عدوا، فهذه صفة اوليائهم في الضعف وتصوير لحالهم في الوهن وعدم النفع. وقوله (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) يصح ان تكون «ما» نافية. والمعنى يعلم الله انهم ما يدعون شيئا فتكون الجملة تأكيدا للمثل و يصح أن تكون كلمة (شيء) بيانا لـ(ما) والمراد ان الله يعلم حقيقة الشيء الذي يعلمونه وما اشتمل عليه من حقارة وضعف فلا يعزب عنه معبوداتهم كما لا يعزب عنه العابدون لهم

ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم (١) مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ؟ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠) الروم

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ؟ (٤٠) قَالُوا سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ (٤١) سبأ

اذكر لهم ذلك اليوم العصيب الذي يسأل الله فيه الملائكة: أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون؟ فتبرأ الملائكة منهم ويقولون انهم كانوا يعبدون الجن. وهو مظهر من مظاهر شدة اليوم لان الله تعالى عالم بهم ويعلم من كانوا يعبدونهم

١) ما أشد هذا التحدي على نفوس المشركين الذين ينسون كل هذه الآيات الواضحة

مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ (١) لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ، هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ (٣) فاطر

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى، ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) فاطر

(يولج) اي يدخل احدهما فى الآخر بسنن إلهية لا تضطرب بمرور الايام وتوالي السنين. وذلك دليل على وحدة الصانع وحكمته. و﴿قطمير﴾ لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها أو الاثر فى ظهر النواة، وذلك مثل للشيء الطفيف وقوله ﴿لا يسمعوا دعاءكم﴾ لانهم موتى ولو سمعوا الدعاء ما استجابوا للداعين لعجزهم عن الاستجابة.

وقوله (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) لانه يوم يتجلي فيه الحق ويخذل فيه الباطل

فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ؟ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ؟ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ

---

١) ومن كان كذلك لا يصح للناس أن تعرض عنه ويجب أن تطلب حاجتها اليه وحده

عَلَى ٱلْبَنِينَ ؟ (١٥٣) مَا لَكُمْ ؟ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ ؟ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (١٥٧) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ، وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) الصافات

سلهم ألربك البنات التي تكرهونها ولكم البنون الذين تحبونهم؟ وقوله (ام خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون) اي أشهدوا خلق الله للملائكة فعرفوا من ذلك الشهود انهم إناث؟ وهو تقريع لهم على افترائهم و بيان لفساد معتقدهم لانه لا طريق الى معرفة أنوثة الملائكة إلا من شهود خلقهم ، او إخبار من ربهم وخالقهم ، لانهم عالم غيبي لا نعرف شيئا عنه إلا من طريق الوحي. وقوله ﴿ما لكم ؟﴾ معناه اي شيء حل بكم وكيف تحكمون ؟ أي بدون حجة وبرهان و ﴿سلطان﴾ حجة ودليل و ﴿الجنة﴾ المراد بهم الملائكة نسبوها الى الله تعالى على انها بناته . وأطلق لفظ الجنة على الملائكة لاجتنانها واستتارها عن الانظار . وقيل لما أشركوا الجن في عبادة الله تعالى كان ذلك نسبا بينه و بين الجنة (ومحضرون) معذبون فى النار

قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ، ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَٰتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ

فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ، وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ، ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (١٢) فصلت

كما يطلق اليوم على الزمن المعروف يطلق على مقدار من الزمن يتحدد بالعمل الذي يكون فيه وقد يمتد الى أشهر اوسنين ومنه أيام العرب . وقد حدد الله بعض الايام بمقدار خمسين الف سنة و بعضها بألف سنة (وأنداد) جمع ند وهو النظير (و بارك فيها) اكثر خيرها وأنماه (وقدر فيها أقواتها) جعل لها قدرا ونظاما تسير عليه في نموها ومعيشتها . و (في أربعة أيام) أي خلق الله الارض في يومين وجعل فيها رواسي الخ في يومين، فجملة ذلك أربعة أيام . وقوله(سواء للسائلين)متعلق بقوله (وقدر) أي ان ما في الارض من رزق مهيأ لطالبيه على السواء لافرق بين طالب وآخر إلا باختلاف وسيلة الطلب قوة وضعفا . وقوله(ثم استوى) أي أراد خلق السماء . والتعبير بثم يفيدان تراخي الزمن بين خلق الارض وخلق السماء . وأمر الله تعالى للسماء والارض بالاتيان طوعا أو كرها أمر تكويني لا أمر لفظي، وكذلك إجابتهما لله تعالى بلسان حالهم لا بلسان مقالهم. وقوله ﴿وهي دخان﴾ يلفتنا إلى طور من اطوار السماء قبل أن تخلق على حالها الحاضر . و﴿حفظا﴾ مفعول لفعل محذوف أي وحفظناها حفظا اي وضع الله لها من النظام مايحفظها من السقوط كما قال (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) وكما قال (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره)

وقوله(ذلك تقدير العزيز العليم) اي ذلك نظام الاله الغالب العليم بما يخلق كيف يبقى و يدوم وكيف يؤدي وظيفته كاملة ، فأين تقدير معبوديكم من ذلك التقدير الذي صدر من إله غالب على أمره عليم بتقديره؟

وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلأَرْضِ إِلَٰهٌ ، وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) وَلَا يَمْلِكُ

ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ، فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ؟(٨٧) الزخرف

(إله) معبود. وقوله (ولا يملك) الخ معناه ان الشفاعة جميعها لله لا يملك أحد عنده ان يشفع لآخر الا باذن منه وهو تيئيس للمشركين من معبوديهم في الآخرة. وقوله (الا من شهد بالحق) اى لمن شهد بالحق فهو كقوله فى الآية الاخرى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) اي لمن رضي الله أن يشفع له. وقوله وهم يعلمون أي يعلم الذين عبدوهم من دون الله كالملائكة وعيسى انهم لا يملكون شأنا من شؤون الآخرة وانما هي ملك لله وحده

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ؟ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ؟ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ (٦) الاحقاف

(قبل هذا) أي قبل القرآن. يطالبهم أن يأتوا بكتاب قبل القرآن يبيح لهم الشرك وقوله (أو اثارة من علم) اي بقية من علم الاولين. وقريء (اثرة) اي شيء اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم. وقوله (ومن اضل ممن يدعو) الخ أي لا احد اضل ممن يدعو من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم غافلون عن دعائهم واذا حشر الناس كفروا بعبادتهم وعادوهم امام ربهم وخالقهم

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ؟ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَـٰنُ ، إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ؟ إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ؟ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) الملك

يلفتنا الله تعالى الى فهم سنته فى الهواء ومقدار مايحمل من اثقال ولا يكون ذلك الا بدراسة طبيعة الهواء وقانون حمل الاثقال . وتأمل كيف خلق الله الطير على ذلك النحو الخاص له جناحان ومقدمة هي رأسها ، وساقة هي ذنبها ، وبذلك الشكل الذي خلقها الله عليه استطاعت أن تقف في الجو . وقد أضاف الله الامساك اليه وحده في قوله (ما يمسكهن الا الله) لانه هو الذي اعدها بذلك الخلق لان تقف في الجو . وتأمل كيف استطاع رجال العلم أن يدرسوا هذه السنن واستفادوا من شكل الطير أن صنعوا مناطيد تحلق فى الجو وقد نبغوا وتفننوا فى ذلك الاختراع حتى اصبح الناس يرون في السماء طيارات كالمدن تقل الآلاف من الراكبين دع ماتحمله من اثقال ووصل التنافس بين الامم الى حد اصبحت به مقاييس لقوتها الحربية والصناعية

ومتى يمتن الله تعالى على المسلمين بالقوة حتى نراهم يصعدون بأساطيلهم الى السماء ذاكرين ان أول مخترع لهذا النوع كان واحداً منهم هو العباس بن فرداس الاندلسي مؤمنين بأن الذي هداهم لذلك العمل هو الذي خلق الطير على مانعرف من الشكل مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ، متى يفطن المسلمون الى انه لا يمكن أن تكون لهم عزة في دينهم ماداموا اذلاء فى دنياهم عالة على غيرهم في علمهم واختراعهم وقوله انه بكل شيء بصير يلفتك الى أن آية الله في الطير هي آية علم وتقدير وحكمة وتدبير

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ؟ (٢٨) قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ

وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا (١) فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ؟ (٣٠) الملك

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا، وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) نوح

(كبارا) بالغا في الكبر (ولا تذرن) اي لا تتركوا. وقوله (ودا) الخ روى البخاري عن ابن عباس انها كانت اسماء صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون اليها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك اولئك ونسخ العلم « ذهبت علامات تلك الصور » عبدت وروي ان هذه الاوثان صارت في العرب بعد: أما ود فكانت وثنا لكلب بدومة الجندل. وسواع كانت لهزيل. ويغوث كانت لمراد ثم لبني غطيف. ويعوق كانت لهمدان ونسر كانت لحمير لآل ذى الكلاع

ومنه نفهم أن ما ينصب باسم الصالحين كوضع رأس مزركش بالحرير الاخضر على تابوت من الخشب المكسو بفاخر الثياب وجعل ذلك كله داخل مقصورة من النحاس المجلو تحت قبة من البناء الفخم ـ كان سببا في انصراف كثير من المسلمين عن ربهم والتفافهم حول هذه التوابيت لتفريج كروبهم، وهداية قلوبهم، والبركة في ارزاقهم وما الى ذلك من الشؤون الخاصة بربهم ومالكهم، ولولا هذه القباب وتلك التوابيت التي لا يعرفها الاسلام ما تأثر فريق من الناس بأصحابها

وحسبنا ان نعرف من روايه البخاري اننا اتبعنا سنن من قبلنا شبراً بشبر وذراعا بذراع ودخلنا جحر الضب الذي دخلوه، فهؤلاء قوم نوح وضعوا نصبا

(١) غائرا في الارض ومعين ظاهر للعيون

لصالحيهم سموها بأسمائهم وبطول الامد عبدوا هذه النصب ثم ورثها العرب عنهم وهانحن اليوم نتمسح بتوابيت الصالحين طلبا للبركة ونطوف بقبورهم كما يطاف بالبيت الحرام ونبتهل الى اصحابها خاشعين خاضعين في قضاء الحوائج ودفع المصائب وقاتل الله الفاطميين فقد كان عهدهم شرا وبيلا على الاسلام وأهله فهم الذين شادوا القباب وهم الذين ابتدعوا بدع الموالد التي صارت موسما من مواسم الفسق والفجور وهم الذين وضعوا بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان وليلة المعراج وما الى ذلك وهم الذين وجهوا جمهور المسلمين الى التغالي في تعظيم الصالحين ولو أن شرهم وقف عند العامة لهان الامر ولكنه مع الاسف تخطى العامة الى الخاصة فاللهم بصر المسلمين بدينهم ووفق علماءهم لاصلاح عقائدهم

تنزهه عن مشابهة الحوادث

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ (١) لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ، مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ؟ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ (٢٥٥) البقرة

وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ (٢) لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ

(١) انظر تفسير الآية في بحث وحدة الله ص ١٠ (٢) راجع ص ١٨

شَيْءٍ عَلِيمٌ ؟ (١٠١) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) الانعام

(الابصار) جمع بصر وهو العين أو حاسة الرؤية، والادراك هو اللحاق والوصول الى الشيء . وأدرك بلغ أقصى الشيء ، وأدرك الصبي بلغ غاية الصبا وذلك حين البلوغ ، ويقال فيما بعد أو دق وخفي لا يدركه الطرف. في الادراك معنى اللحوق ومعنى بلوغ غاية الشيء، ولذلك فسر الجمهور الادراك في الآية برؤية الاحاطة التي يعرف بها كنه الله عز وجل، فتكون الآية بمعني (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) ونفي احاطة العلم لا يستلزم نفي العلم ، وكذلك نفي ادراك البصر للشيء لا يستلزم نفي رؤيته مطلقا . وذلك أقوى ما جمع به اهل السنة بين الآية و بين آية (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) والاحاديث الصحيحة الناطقة برؤية المؤمنين لربهم في الآخرة . ومن سلم لمنكري الرؤية ان الادراك هو الرؤية مطلقا قال ان النفي خاص بحال الدنيا التي يعهدها المخاطبون ولا يعرفون فيها الا رؤية الاجسام وصفاتها من الاشكال والالوان وهي التي يشترط فيها ما ذكروه من المقابلة وعدم الحائل . ولا ادري لماذا أطال العلماء في الكلام على الرؤية مادام مثبتوها لا يشبهونها برؤية المخلوقين بعضهم لبعض، بل هي رؤية تليق بجلال الله تعالى، والمنكرون لا يحيلون أن تكون هناك رؤية تخالف ما نعرف في هذه الحياة ولماذا نشغل الناس بمثل هذا الخلاف اللفظي؟

وقوله (وهو يدرك الابصار) أي يعلمها علم احاطة وشمول فهو الذى خلقها وركبها على هذا النمط الذى عرفنا بعضه من فن التشريح فهو يعلم ما تتركب منه العين من أجزاء أصلية تتكون منها كرة العين كالحدقة المسماة عند العامة «بالنني» والشبكية والزجاجي والعصب ، وأجزاء اضافية حول هذه الكرة لحفظها من المؤثرات الخارجية كالاجفان والحواجب أو لتنظيف السطح الشفاف للكرة كالجهاز الدمعي الذي به يسهل انزلاق الكرة عند الابصار ، أو لتحريك كرة العين وجعلها في موضع مناسب لقبول الاشعة الضوئية كالعضلات — يعلم الله ذلك كله علم احاطة كما يعلم كيف تدخل الاشعة في العين وتخترق الاجزاء الشفافة الى ان تصل الى الشبكية فترسم عليها

صورة المرئي ثم تنتقل بواسطة العصب المفروش عليها الى المخ ، و بذلك تتم عملية الابصار في اقل من ثانية من الزمن . وتأمل قول الله تعالى عقب ذلك (وهو اللطيف الخبير) وموقعه بعد قوله (وهو يدرك الابصار) فان اللطيف هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل والدقة في التدبير والصنع ، وان من وقف على تشريح العين ووظيفة كل جزء من أجزائها الاصلية والاضافية يعرف الشيء الكثير من لطف الله في فعله ودقة تدبيره في صنعه . وماجعل الناس يجهلون ربهم الا جهلهم بأنفسهم وغفلتهم عن آيات الله فيهم سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق

أَفَمَنْ يَخْلُقُ (١) كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ، إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) النحل

لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ (٢) السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) النحل

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤) النحل

لا يملك أن يرزقهم شيئا فهو معمول للمصدر وهو «رزقا» واذا كان رزقا بمعنى المرزوق كان بدلا منه لافادة القلة أى لا يملك لهم رزقا قليلا ومن لا يملك القليل

---

١) يرينا ان التسوية بين الخالق والمخلوق حمق وسفه (٢) صفة السوء (وله المثل الاعلى) الصفات العلا اقرأ سابق الآية لترى ما للمشركين من الصفات السيئة

لا يملك الكثير بالاولى. وقوله (ولا يستطيعون) اي ان يملكوا ، وقد يكون الرجل غير مالك ولكنه يستطيع ان يملك ، أما هؤلاء فقد فقدوا الملك واستطاعة الملك ، وذلك منتهى العجز . وقوله (فلا تضربوا) الخ أى الامثال التي لا تليق بجلاله وكبريائه وعليكم ان تأخذوها عن الله تعالى لانه يعلم كيف يصف نفسه وأنتم لا تعلمون

وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ (١) وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١) الاسراء

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (١١) الشورى

﴿فاطر﴾ الخ خالقهما، وخلقهما اكبر من خلق الناس ﴿ومن أنفسكم﴾ من جنسكم ، وكذلك الانعام ، ﴿ويذرؤكم فيه﴾ يكثركم في هذا التذكير وهو ان جعل للناس ازواجا من أنفسهم حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد ، وقوله ﴿ليس كمثله شيء﴾ اى ليس كصفة الله صفة فاذا وصف نفسه بكثير مما يوصف به البشر فان صفته لا تشبه صفتهم فله من الصفات اعلاها ومن الاسماء حسناها

قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ (٨١) سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) الزخرف

اى لو ثبت ذلك ببرهان صحيح وحجة واضحة ، فأنا اول من يعظم ذلك الولد ويسبقكم الى طاعته ، وهو كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير فعلق العبادة بكينونة الولد وهي محال في ذاتها فكان المعلق بها محالا مثلها ، ونظيره في التعليق على المحال ﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا﴾ فهي فرضيات محضة اي اني لا أنكر ولد الله لاجل

(١) اقرأ شرح الآية في بحث الوحدة ص ٢٥

العناد والمنازعة وانما أنكره لانه لم يقم دليل على ثبوته البتة بل الدليل القاطع قام على عدمه فكيف أقول به؟ وكيف أعترف بوجوده؟

هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ (١) وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) الحديد

تنزه الله عن الظلم

تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ (٢٢٩) البقرة

الظلم هو مجاوزة الحد والخروج عما ينبغي بزيادة او نقص، ومن فسره بالتصرف في ملك الغير قصره على بعض معناه. وقد سمى الله تعالي العصاة: ظالمي انفسهم، وجعل الذين يتعدون ما حدده للناس من نظم ظالمين بل حصر الظلم فيهم، ونفى الله عن نفسه الظلم لعباده فيما شرعه لهم وفيما وضعه من سنن حكيمة كسننه في الهداية، لمن أقبل عليه، واضلال من أعرض عنه وأهمل عقله وعطل سمعه و بصره، وكذلك نفي عن نفسه الظلم في جزاء الناس على أعمالهم لدنياهم وآخرتهم

تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ (٢) ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ (١٠٨) آل عمران

١) قيل ظاهر بآياته باطن بذاته وقيل ظاهر بأنه محيط بالاشياء مدرك لها، باطن من ان يحاط به كما قال عز وجل (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار)

٢) أي فيما يأمرهم به وفيما ينهاهم عنه، بل يريد هدايتهم الى ما تكمل به فطرهم فاذا فسقوا عن أمره كانوا ظالمين لانفسهم. والكلام في الامم وعقوبة الله لها

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ (١) ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠) النساء

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٤٩) النساء

(فتيلا) ما يكون في شق النواة مثل الخيط وما تفتله بين اصابعك من وسخ أو خيط تضرب به العرب المثل في الشيء الحقير فهو بمعنى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) والآية تنكر على من يمتدحون أنفسهم بغير مسوغ للمدح أما مع المسوغ فلا مانع منه كما قال نبي الله يوسف لعزيز مصر (اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم)

لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) النساء

ليست النجاة عند الله منوطة بما يتمناه الناس بل طريقها العمل المزكي للنفس. ولذلك قال بعد ذلك (من يعمل سوء) الخ وانظر الى قوله (وهو مؤمن) فانه جعل الايمان بأصول الدين شرطا فى النجاة أما العمل الصالح مع الجحود بأصل من أصول الدين كالذين يفرقون بين رسول ورسول في الايمان فأولئك لا نجاة لهم و«نقير» ثقب صغير في ظهر النواة وهو مثل في القلة

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ (٢) يَظْلِمُونَ (٤٤) يونس

---

١) لا ينقص احدا من أجر عمله شيئا ما وان صغر كذرة الهباء بل يوفيه أجره ولا يعاقبه بغير استحقاق للعقوبة

٢) لانهم خالفوا امره وتخطوا حدوده

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٧) يونس

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) هود

«تتبيب» تخسير. من تب اذا خسر. وقوله (وكذلك أخذ ربك) اى مثل ذلك الاخذ الذى فعلناه بمن سبق من الظالمين نفعل باللاحق منهم. وما أشد هذه الكلمة على نفوس من يتدبر! ولذلك يقول بعدها (ان اخذه أليم شديد) وانظر الى قوله (وهي ظالمة) لتعرف ان الله تعالى عدل في عقابه حكيم في جزائه

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا(١) مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٣) النحل

---

١) واسعا. و ﴿أنعم﴾ جمع نعمة. وتأمل قوله ﴿بما كانوا يصنعون﴾ لتعلم انهم أخذوا جزاء عملهم. ثم انظر قوله (فأخذهم العذاب وهم ظالمون) لتعرف انهم عوقبوا وهم متلبسون بجرمهم

وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) الكهف

(الكتاب) كتاب الاعمال (ويغادر) يترك . والعجب ممن يسمع أمثال هذه الآية التي تقشعر من شدتها النفوس ثم يغفل عن وعيدها ويطرب لتوقيعها وحسن صوت قارئها ، ولا عجب فقد انصرف الناس عن معني القرآن الى نغمات قارئيه ، ومتى يفطن الناس إلى آداب سماع القرآن وتدبر معانيه ؟

وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (٥٩) الكهف

فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥) الحج

﴿ فكأين ﴾ كثير من القرى و (خاوية على عروشها) ساقطة على سقوفها . و ﴿ معطلة ﴾ تركت بدون استقاء منها لهلاك اهلها (ومشيد) مجصص أو مرفوع البنيان . والمعنى : كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلناها عن سقاتها وقصر مشيد خليناه عن ساكنيه . فليعتبر بذلك من يعتبر ، وليقلع عن الظلم الظالمون ، فان سنن الله في الظالمين لا تتبدل

وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا[1] مُنذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَىٰ

---

١) يريك ان الله تعالي لم يهلك قرية إلا بعد أن خوفها عذابه وأرسل لها من يبين لها مغبة الظلم وعاقبة الجحود (وذكرى) اي فعل الله ذلك لاجل الذكرى والموعظة

وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٠٩) الشعراء

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ [1] (١٤) العنكبوت

فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ، فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا [2] وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ، وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ، وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ، وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) العنكبوت

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا، ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ؟ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ؟ (٢٨) ص

يريك أنه ليس من العدل أن يجعل المصلح كالمفسد والمتقي كالفاجر. فالله تعالى يستنكر هذا ويستقبحه، فمن غير الجائز في عدل الله تعالى وحكمته ان يعذب من اطاعه او يثيب من عصاه. وانظر الى قوله في آية الجاثية (ام حسب الذين اجترحوا السيئات

---

١) انظر الى هذه الجملة لتعرف انهم أغرقوا متلبسين بجريمتهم، وهي ظلمهم لانفسهم وخروجهم على رسولهم

٢) ريح عاصف فيها حصباء وكان ذلك لقوم عاد، والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون. وتأمل قوله (فكلا) اخذنا بذنبه

ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون)

لترى ان الله تعالى اخبر أن حكمهم بالتسوية حكم باطل لا يرضاه ولا يقره

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ (١) عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٧٦) الزخرف

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا ٱلسَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ؟ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢) الجاثية

ينكر الله تعالى على العصاة حسبانهم ان الله تعالى يجعلهم كالمطيعين : حياتهم كحياتهم ، ومماتهم كمماتهم ، فاذا كانت حياة المطيعين طيبة يستخلفهم فيها على الارض ويمكن لهم فيها ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، فان ذلك محرم على المفسدين واذا كان ممات المطيعين على احسن حال ولقاؤهم لربهم لقاء المحب لحبيبه ، فان ممات المفسدين على وجه يسوءهم ، وحالهم في الآخرة أنكى من حالهم في الدنيا . او أن قوله (سواء محياهم ومماتهم) يرجع الى الذين اجترحوا السيئات على معنى ان من كان منهم ناعما في الدنيا ينعم في الآخرة فاذا هم حسبوا ذلك كانوا مخطئين . واذا حكموا بأن من سعد فى دنياه بالمال والجسم سعد في أخراه بالثواب الدائم والنعيم المقيم فما أسوأ حكمهم وما اقبح تفكيرهم ؟

---

١) (لا يفتر) لا يخفف ، من فترت عنه الحمي اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها (مبلسون) ساكتون سكوت يأس من فرج فهو سكوت محزن

أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰ (٣٧)
أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا
مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَاءَ
ٱلْأَوْفَىٰ [1] (٤١) النجم

وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ، وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ، لَا
تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١) الطلاق

أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ؟ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ ؟ (٣٦) القلم

استقباح لان يجعل الله المسلم كالمجرم في الجزاء فليس ذلك وعدا فقط بانه لا يسوي بين مسلم ومجرم، وانما هو استنكار للتسوية لانها ظلم ووضع للشيء في غير موضعه، وقد حرم الله الظلم على نفسه وتشريعه وجزائه ، ولذلك عقبها بقوله (ما لكم ؟) ثم اكد الانكار بقوله (كيف تحكمون ؟) فهو ينكر التسوية إنكارا مؤكدا ويسفه من يزعمها في حكمه وتفكيره

---

١) من اوفى الشيء ووفاه اتمه

سنة الله تعالى في الهداية والاضلال

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، (٨٦) آل عمران

تطلق الهداية على الارشاد ونصب الادلة على الحق بما يهبه الله للانسان من حواس ظاهرة وباطنة ومن عقل، وبما يبعث به الرسل مبشرين ومنذرين. وهي بهذا المعنى تعم المؤمن والكافر والبر والفاجر (إنا هديناه السبيل إما شاكراً واما كفورا – وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وتطلق الهداية على معنى أخص من هذا وهو الدلالة على الحق مع اعانة الله للعبد عليه وتوفيقه للسير في طريقه ، وهي التي نطلبها من الله تعالى في كل صلاة عند قراءة الفاتحة، وهي –بهذا المعنى الثاني– التي وضعنا لها هذا الباب لبيان سنة الله تعالى فيها ، ومن الذي يكون أهلاً لها فيمنحها الله له، ومن الذي لا يكون فيحرم منها؟

القوم في قوله (كيف يهدي الله قوما) الخ هم فريق آمنوا بالنبي (ص) قبل ظهوره عملا بما في كتبهم ، وكفروا به بعد بعثته حسدا من عند انفسهم، كما قال (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) او (كفروا بعد ايمانهم) لانهم أفسدوا فطرهم، وعطلوا أسماعهم وأبصارهم، وتعاموا عن الآيات التي تحيط بهم ، ولو تركوا أنفسهم تفقه ما امامهم من دلائل لكانوا مؤمنين. فلما حالوا بين النظر و بين ما أعدت له من ايمان كانوا في حكم من كفروا بعد ايمانهم . وعلى كلا المعنيين فهم ظالمون لانفسهم والله لا يهدي ظالما

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ

بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ، بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً (١٥٦) النساء

(فبما) اي بسبب ذلك كله فعل الله بهم مافعل من اللعن والغضب وضرب الذلة والمسكنة كما قال في آية (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) . وقولهم (قلوبنا غلف) أي بسبب اعتذارهم عن الايمان بما لا يصلح عذرا (وغلف) جمع أغلف وهو الذي عليه غلاف يمنع نفوذ الشيء اليه اي ان قلوبهم لاينفذ اليها شيء مما جاء به الرسول فهو لا يؤثر فيها . وذلك عذر لهم في نظرهم فرد الله عليهم ذلك العذر بقوله (بل طبع الله عليها بكفرهم) أي كان كفرهم وما له من الاثر القبيح في نفوسهم سببا للطبع على قلوبهم فصارت كالسكة (الدراهم) مثلا المطبوعة في قساوتها وتكيفها بطبع خاص لا تقبل غيره من النقوش واذا كان طبع الله على القلوب سببه كفر أصحابها ومنكراتهم التي رانت على قلوبهم فهم الظالمون لانفسهم، وهم الذين وضعوا سداً بينها و بين الهداية

وقوله ﴿ إلا قليلا ﴾ أي من الايمان كايمانهم بموسى والتوراة وهو إيمان لا يعتد الله به لانه تفريق بين الله و رسله أو إلا قليلا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه

فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ، إِنَّهُمُ (١) اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٠) الاعراف

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ

١) بيان لسبب حقية الضلال عليهم

لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ (١٤٦) الاعراف

﴿ التكبر ﴾ صفة تكلف أو تكثر من الكبر الذي هو غمط الحق بعدم الخضوع له واحتقار الناس و﴿ بغير الحق ﴾ وصف كاشف أو إشارة إلى أن من الكبر ما يكون حقا كالترفع عن المبطلين والاستهزاء بالمتكبرين . و﴿ الرشد ﴾ الصلاح والاستقامة ، وضده الغي وهو الفساد ، والآية بيان لسنة الله في المتكبرين على الحق المترفعين عن قبوله الذين اذا رأوا آيات الله أعموا عنها أبصارهم ، وأصموا لها آذانهم ، فسنة الله العادلة مع هؤلاء أن يصرفهم عن فهم آياته و يحول بينهم و بين الادكار بدلائله

وقوله ﴿ ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا ﴾ الخ بيان لسبب صرفهم عن الحق ، يفيدك أنهم ما خلقوا مطبوعين على قسوة القلوب وعدم فقه الدين ، بل كان ذلك بكسبهم واختيارهم التكذيب بآيات الله الدالة على الحق والغفلة عن سبيله الموصلة إلى الرشد .

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ، لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ (١٧٩) الاعراف

﴿ ذرأنا ﴾ خلقنا . وقوله ﴿ لهم قلوب ﴾ الخ بيان لصفة من خلقهم الله لجهنم وبهذه الصفات تستطيع أن تعرفهم في الدنيا و﴿ قلوب ﴾ جمع قلب وهو اللطيفة الروحية التي يعبر عنها بالوجدان أو الضمير ، وقد يطلق القلب على العقل ﴿ يفقهون ﴾ من الفقه وهو معرفة باطن الشيء والوصول الى أعماقه فهو أخص من الفهم والعلم والآية ترينا سبب جعلهم أهل جهنم وهو أنهم أهملوا عقولهم وعطلوا اسماعهم

وأبصارهم بكسبهم واختيارهم، ولذلك يقول الله حكاية عن أصحاب النار (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير * فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير) وحسبك وصف الله تعالى لهم في آخر الآية بقوله (أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)

وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ ءَاتَانَا مِن فَضْلِهِ، لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا ءَاتَاهُم مِّن فَضْلِهِ، بَخِلُوا بِهِ، وَتَوَلَّوا وَهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ[1] بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) التوبة

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ، رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩٣) التوبة

(السبيل) الحرج (وهم أغنياء) اي لا عذر لهم لان عندهم ما ينفقون على أنفسهم وقوله (رضوا) الخ بيان لعلة تخلفهم وهو رضاهم ان ينتظموا في جملة الخوالف عن الجهاد و﴿طبع الله علي قلوبهم﴾ اي من أجل ذلك فهم لا يفقهونه

وَمَا كَانَ[2] اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ (١١٥) التوبة

---

١) يريك سبب وضع النفاق في قلوب هؤلاء فهو عقوبة عادلة لهم في الدنيا (وبما كانوا يكذبون) بيان لبقية السبب وهو من الكذب او التكذيب ولعل في هذه العقوبة ردعا للكافرين والمكذبين

(٢) اي ليس من شأن الله وسننه في خلقه ان يضل قوما بعد هدايتهم حتى يبين لهم ما يتقون ضرره وتقوم له الحجة البالغة عليهم

وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ ثُمَّ انْصَرَفُوا، صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٢٧) التوبة

(نظر) تغامزوا بالعيون سخرية بالوحي و (صرف الله قلوبهم) دعاء من الله تعالى عليهم بالخذلان وصرف قلوبهم عن الحق . وقوله (بأنهم قوم لا يفقهون) بيان لسبب دعاء الله عليهم بذلك ، أي ان الله تعالى يدعو عليهم بصرف قلوبهم عن الحق جزاء لهم على انصرافهم عنه ، و يصح ان تكون الآية من باب الاخبار اي ان الله تعالى صرف قلوبهم عن فهم الحق والانتفاع به لانهم انصرفوا عنه، كما قال في آية الاعراف (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) وكما قال (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) فصرف الله لقلوبهم كان بعد انصرافهم ، وازاغة الله لهم كانت عقوبة لهم على زيغهم

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ، قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧) الرعد

(أناب) رجع وهو وعد من الله بأن من اعتصم به هداه ، ومن تخلى عنه خذله ، والانابة الى الله بأعمال الفكر واجهاد النظر والعناية بالحق ليعرف ويتبع، و بالباطل ليترك ويقمع

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١١) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٣) الحجر

(شيع) جماعات و﴿ كذلك نسلكه ﴾ من سلكت الخيط في الابرة أدخلته فيها

ونظمته، والضمير للقرآن أي مثل هذا السلك نسلك القرآن في قلوب المجرمين ونلقيه في قلوبهم مستهزأ به غير مقبول. وقوله ﴿لا يؤمنون به﴾ بيان لقوله (كذلك نسلكه) والمعنى ان الله تعالى يصرفهم عن فهمه، ويحول دون اهتدائهم به، وتأمل إضافة قلوب للمجرمين لتعرف عدل الله في الهداية والاضلال، وانه انما يضل من كان خلقه الاجرام كما قال ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ الخ الآيات

وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا، وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا (٤٦) الاسراء

(حجابا) حاجزاً، من حجبه حجزه ومنعه، و (مستوراً) لا يراه الناس، وهو عصمة الله تعالى له من فتكهم به وتمكينهم منه، وذلك حجاب مستور عن الناس. وقوله (وجعلنا على قلوبهم أكنة) الخ جمع كنان وهو الغطاء أي عاقبناهم بوضع أغطية على القلوب تحول بينها وبين الفقه عقوبة لهم لانهم رأوا الحق فحاربوه، ولمسوا الآيات فأعرضوا عنها. و (وقرا) صمما والمراد انه حرمهم الانتفاع بسمعهم جزاء إعراضهم

وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) الاسراء

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ، وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ، وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ، كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم (١)

١﴿ تأمل ذلك التعليل الذي فيه الحكمة العالية والعدل الواضح

بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا؟ (٩٨) الاسراء

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا؟ (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ (١٢٦) طه

انظر كيف وعد الله من اتبع هداه أن لا يضله في دنياه ولا يشقيه في آخرته ، ووعد من أعرض عن ذكره معيشة ضنكا في الدنيا وان يحشره يوم القيامة أعمى ، وقوله (كذلك أتتك آياتنا) الخ أي ان جزاءك وفق لعملك ، نسيت ربك في الدنيا فينساك في الآخرة ، وأعرضت عنه في حياتك الاولى فيعرض عنك في حياتك الثانية (وضنكا) ضيقا ، ولو تأملت حال الناس في هذه الحياة لفهمت الفرق الكبير بين معيشة الضنك التي جعلها الله للعصاة والمجرمين ، وبين المعيشة الراضية التي ينعم بها المؤمنون الطائعون ، ترى المؤمن وليس عنده قوت يومه عامر القلب بالقناعة والرضا هاشا باشا ، وترى الفسقة لا تشبع نفوسهم ، ولا تمتلىء عيونهم ، وعندهم مال كثير تضيق صدورهم دائما إذا لم يتمكنوا من جمعه ، ولا يهدأ لهم بال إلا إذا اختصوا بالثروة واستأثروا بالغنى ، وكفى بذلك تعذيبا لنفوسهم وضيقا فى معيشتهم ، دع ما تتركه المصائب فى نفوسهم من جزع وهلع ، وما تنخلع له قلوبهم من شدائد قلما يخلو منها أحد من الناس ، بل دع أيضا داء الحسد الذي طهر الله منه قلوب المؤمنين وهو نار تأكل قلب صاحبها ولا يطفئها شيء ، ولو ملك الحاسد الدنيا من أقصاها إلى أقصاها . وقوله ﴿ فاما يأتينكم مني هدى ﴾ يريك ان الله تعالى أكرم من أن يعذب قوما حتى تبلغهم الدعوة ، وتقوم عليهم الحجة

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَٰنُ فِي أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٤) الحج

﴿ تمنى ﴾ حدث عن الله أو تمنى هداية قومه ورشدهم ، والشيطان هنا شيطان الانس كما قال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن) و (فى أمنيته) أي فى سبيل ما يتمناه ، وحذف الملقى لانه مفهوم وهو العقبات والعراقيل. و(ينسخ) يزيل (ويحكم) يتم. والآية بيان لسنة من سنن الله تعالى في مصارعة الحق والباطل. وحكمة هذه السنة أن يكون هذا العمل ابتلاء من الله فيكون فتنة لمرضى القلوب و يعلم الذين أوتوا العلم وقوة التميز بين البرهان والمغالطات انه الحق من الله فتخشع له قلوبهم . وقوله (وان الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) الخ وعد من الله بهداية المؤمنين ووعيد للكافرين بانهم لايزالون فى شك منه

وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ [1] (١٩٨) فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠)

﴿ ١ ﴾ جمع أعجمي منسوب إلى الاعجمي وهو من في لسانه عجمة وهي خلاف الابانة ، والاعجام الابهام . وقوله (كذلك سلكناه) تقدم شرحه في آية الحجر من هذا الباب

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١) الشعراء

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ؟ (٢٩) الروم

﴿بغير علم﴾ أي اتبعوا الهوى مع الجهل وهو شر ما يكون ، لان العالم إذا استولى عليه هواه قد يردعه علمه ، أما الجاهل فيهيم كالبهيمة ، لا يكفه شيء ، أو هو بيان للواقع لان الشأن في متبع الهوى أن يسير على غير علم وهدى . وقوله ﴿فمن يهدي من أضل الله ؟﴾ تيئيس من هداية الظالمين بعد أن بين الله لهم الدلائل فأعرضوا عنها

الٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ، أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ، كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧) لقمان

يريك صفة الذين يهتدون بالكتاب وتراها أوضح في أول سورة البقرة . وقوله (ومن الناس) الخ بيان لأئمة الكفر ورءوس الضلال الذين حرمهم الله الهداية وجعل عذابهم مضاعفا (ولهو الحديث) أي حديث لهو يتلهى به عن الحق (ويشتري) يؤثر ويختار . وانظر كيف توعد الله هذا الصنف وعيدين فقال (أولئك لهم عذاب مهين) وقال (فبشره بعذاب أليم) توعده مرة على إضلاله لغيره وأخرى على إعراضه واستكباره وهما جريمتان لكل منهما أثره وعقوبته

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِۦ، حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا، كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤) ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا، كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) غافر

يريك بقوله (كذلك) ان إضلاله للمسرفين على أنفسهم في تكذيب الرسل سنة من سننه لا فرق فيها بين أمة وأمة، وقد بين المسرفين بالمجادلين في آيات الله بغير حجة. وقوله (كبر مقتا) فاعل كبر يرجع الى جدال المسرفين. والجملة سيقت مساق التعجب. والمعنى ما أشد ذلك الجدال بغضا عند الله وعند المؤمنين، فليس من شأن المؤمنين أن يجادلوا في الحق بعد ماتبين، بل متى ظهر لهم الحق انصاعوا له، لانه أمنيتهم، فالجدال عندهم وسيلة للحق لا غرض، أما غيرهم فيتخذون الجدال غرضا لاوسيلة، أو وسيلة لطمس معالم الحق. وقوله (كذلك يطبع الله) يريك ان طبع الله على كل قلب متكبر سنة من سننه، والتكبر التعالي على الحق، والترفع عن أصحابه، واعتبار المتكبر نفسه فوقهم، ومن طبقة غير طبقتهم

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ، ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ؟ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ، وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى، أُولَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤) فصلت

يريك ان المتعنت لاتستطيع إقناعه. وقوله (قل هو للذين آمنوا) الخ يريك انه هداية للمستعدين وشفاء لامراض نفوسهم، وصمم في آذان المستكبرين، وعمى في

عيونهم ، ومثلهم معه مثل من تصيح به من مكان بعيد يحول بعده دون وصول صوتك اليه ، والمراد انهم لا ينتفعون بالقرآن كما لا ينتفع البعيد منك بندائك

وَمَنْ يَعْشُ[1] عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧) الزخرف

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَلِكَ[2] بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) محمد

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ؟ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ

١﴿ من عشي يعشى كرضي يرضى إذا كان في بصره آفة ، ومن عشا يعشو كدعا يدعو إذا نظر نظر العشي ولا آفة به . والمعنى من عمي أو تعامى عنه . و (نقيض) نهيء ونسبب (وقرين) مصاحب لا يفارقه جزاء له على عمله

٢) بيان لعدل الله تعالى في إضلاله الكافرين الصادين عن الله واصلاح شأن المؤمنين . وقوله ﴿ كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ﴾ أي صفات الفريقين ليعتبروا بجزاء الله العادل لهم

إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ، فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ؟ (٧) الصف

(زاغوا) من الزيغ وهو الميل عن الاستقامة. وانظر كيف جعل الله ميلهم عن الاستقامة بكسبهم واختيارهم سببا في إزاغة الله لقلوبهم وجعلها قاسية لا تؤثر فيها الموعظة ولا تفيدها الذكرى ؟ ولا عجب في ذلك فان الله ليس من شأنه أن يهدي قوما فسقوا عن أمر ربهم وخرجوا عن الحدود التي وضعها لهم . وقوله (ومن أظلم) أي لا أحد أظلم من رجل هذا حاله ، وتلك أعماله . وقد أكد هذه السنة مرة أخرى بقوله (والله لا يهدي القوم الظالمين)

(خلاصة الباب) ان من تدبر آيات الهداية والاضلال، يرى ان الله تعالى جرت سنته بأن يهدي من هو أهل للهداية بسبب إنابته إلى ربه، وأخذه في سبيل تعرف الحق ، وتحكيمه لعقله وعدم إهمال مواهبه ، كما جرت سنته ان من تكبر عن معرفة الحق وأعرض عن ذكر الله ، واتخذ إلهه هواه ، وعطل سمعه وبصره وعقله ، جدير بأن يطمس الله تعالى على قلبه ويصرفه عن فهم آياته ، وهي سنن أساسها الحكمة والعدل ، وقد كثر تخبط الناس في الهداية والاضلال . وفيما جمعناه من الآيات ما يكفي لفهم هذه السنة

بطلان الاعتذار بمشيئة الله تعالى

وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦) الانعام

(نفقا) سربا في الارض، وجواب الشرط محذوف أي فافعل. وقوله (ولو شاء الله الخ وذلك بأن يفطرهم على الطاعة كما فطر الملائكة (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) أو يخلق الطاعة فيهم بدون شعور منهم ولا إرادة كجريان دمائهم في أبدانهم، وهضم معدهم لطعامهم، ولكن الله تعالى لم يشأ ذلك للانسان الذي خلقه مستعداً للحق والباطل، وعمل الخير والشر، وترجيح بعض الاعمال على بعض، باختياره وكسبه، وبذلك الاستعداد كان أهلا للتكليف، ولو كان الانسان ملجأ على الخير أو الشر لسقط تكليفه، وما كان له فضل في الطاعة ولا ذنب في المعصية، بل ولما كان لارسال الرسل معنى، ولقامت الحجة لارباب الشهوات والهوى على الله ورسله، ذلك هو المعنى من هذه الآية وأمثالها كآية السجدة (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) أي ولكننا لم نشأ ذلك، بل قضت الحكمة بأن يخلق الانسان وفيه من الاختيار والارادة وسلامة الاسباب ما يمكنه من الطاعة والمعصية، ثم تبعث له الرسل لتريه طريق الحق، ويعطى من المواهب والحواس الظاهرة والباطنة وينصب أمامه من الادلة ما يكفي لمعرفة الحق، ولذلك يقول بعد ذلك (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) فيرينا ان عقابه لنا جزاء نسيانا لاوامره، وانه نسينا لاننا نسيناه، ويقول بعد ذلك ﴿وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ وقوله (انما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً) الخ يلفتنا الى أنه لا يؤمن بآياته إلا صنف هذه صفته وتلك عادته كما قال في آية أخرى (سيذكر من يخشى) وكما قال في آية الانعام (انما

يستجيب الذين يسمعون) اي الذين أعدوا أنفسهم لسماع الحق وتحري الصواب والحقيقة. وانظر إلى قولهم (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) لتعرف ان هؤلاء عطلوا أسماعهم ومواهبهم وبذلك سدوا على أنفسهم باب الخير والهداية وصاروا صما بكماً كما قال في آية أخرى (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) وانظر إلى اقتصار القرآن الكريم على السمع ولم يقرنه بالعقل ليريك ان السمع مفتاح العقل وطريقه، فاذا أهمل الانسان طريق العقل وهو السمع وما اليه كالبصر فقد أهمل العقل، وليريك من ناحية أخرى أنه يكفي لان يفهم الانسان دلائل الدين أن يكون سميعا يعي الادلة ويسمعها ليكون سمعه بريد عقله، فاذا انضم الى سمعه لآيات الله بصره بالكون ازداد بذلك البصر نوراً الى نوره، ويا ويح من حرم الانتفاع بالحاستين السمع والبصر وعطلهما عن وظيفتهما

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ، كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا، قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا؟ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) الانعام

(سيقول) أي سيعتذر المشركون عن شركهم بمشيئة الله له وانها مجبرة لهم، وقد رد الله اعتذارهم بقوله (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا) أي كهذا التكذيب الذي وقع من هؤلاء المشركين في كونه جهليا غير مبني علي أساس من العلم كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأس الله وعذابه. والآية ترينا أن اعتذار المشركين بالمشيئة نوع من تكذيب الله ورسوله، لان أساس الدعوة إلى الله هو قوله (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) فالاعتذار بمشيئة الله واعتبارها مجبرة على المعاصي تكذيب لله في أن الانسان في استطاعته الطاعة والمعصية، وتكذيب لله في حاجة الناس الى رسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ولا تقوم الحجة مع الجبر والالجاء. وقوله (حتى ذاقوا بأسنا) يريك انه لو كان اعتذار هؤلاء بالمشيئة

مجديا ما عاقب سلفهم على الاعتذار بها. وقوله (قل هل عندكم من علم؟) الخ يريك انهم لم يبنوا اعتذارهم على حجة وبرهان، بل بنوه على الظن والخرص، اقرأ آية الزخرف الآتية في هذا الباب. ولذلك يقول (قل فلله الحجة البالغة) لانه ما كلف الناس إلا ما يستطيعون، ولو شاء أن يفطرهم على الطاعة لهداهم اجمعين، ولكن تفوت حكمة التكاليف وابتلاء الله لهم بها (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً)

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ، كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ، فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ؟ (٣٥) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ، فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ، فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٣٦) إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٣٧) النحل

يريك انهم سبقوا بذلك الاعتذار. وقوله (فهل على الرسل) الخ يلفتك إلى أن مهمة الرسل أن يبلغوا الناس دين الله بلاغا كاملا، وليس عليهم هدايتهم أو مجادلتهم. واقرأ بقية الآية لترى ان الرسل بعثوا لدعوة الناس إلى عبادة الله واجتناب عبادة غيره من الطواغيت، ومن الناس من أقبل على الله فهداه الله، ومنهم من أعرض عنه فحقت عليه الضلالة، اقرأ باب سنة الله في الهداية والاضلال. وقوله (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يؤيد ذلك ما تفيده آية الانعام السابقة من أن الاعتذار بالمشيئة ضرب من تكذيب الله ورسوله

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا، وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ

لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤) إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) السجدة

وَجَعَلُوا الْمَلَـٰٓئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ الرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا، أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ؟ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم، مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ، إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ؟ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) الزخرف

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَـٰلَمِينَ (٢٩) التكوير

(فأين تذهبون) يعني أي مسلك تسلكون وقد قامت عليكم الحجة وأحاط بكم الحق من جميع جوانبكم ؟ و(ذكر) موعظة وقوله (لمن شاء) أي يتذكر به من وجّه إرادته للاستقامة، أما من صرف نفسه عن الحق ولم يرد إلا الاعوجاج، فذلك الذكر لا يؤثر فيه. ولما كان ترتيب الذكر على مشيئة العبد أن يستقيم ربما يوهم ان الانسان منقطع العلاقة في إرادته عن سلطان إلهه استدرك لدفع ذلك الوهم بقوله (وما تشاءون إلا ان يشاء الله) اي ان إرادتكم مخلوقة له، وهو الذي اودعها فيكم ولوشاء لسلبكم اياها وجعلكم من الحيوانات التي ليس لها إرادة العاقل او أحط من ذلك ، وقوله (رب العالمين) مانحهم كل ما يحتاجون من القوى والخصائص

قدرة الله تعالى ومشيئته

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) آل عمران

المراد بالملك السلطة والتصرف في الامور. والله سبحانه صاحب السلطان الأعلى والتصرف المطلق في تدبير الامور، وإقامة ميزان النظام العام في الكائنات، فهو يؤتي الملك في بعض البلاد من يشاء من عباده تبعا لما يخصهم به من النبوة كما وقع لآل ابراهيم أو بسيرهم على سنته الحكيمة الموصلة إلى ذلك بأسبابه الاجتماعية كما وقع لكثير من الناس، وينزعه ممن يشاء من الافراد، ومن الاسر والعشائر والشعوب بسبب تنكبهم سنن الله الحافظة للملك كالعدل وحسن السياسة و إعداد المستطاع من القوة، كما نزعه من بني اسرائيل ومن غيرهم بالظلم والفساد، فان كل شيء عند الله بمقدار، يعطي بقدر ويمنع بقدر، يعطي من يستحق العطاء و يحرم من يستحق المنع ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون﴾ وحسبنا ان الله تعالى يقول في شأن تطورات الامم والشعوب (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) و يقول (فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) وقوله (وتخرج الحي من الميت) الخ كالعالم من الجاهل والصالح من الطالح والمؤمن من الكافر و بالعكس. وقوله ﴿بغير حساب﴾ أي يطلب من الله لانه لا أحد يحاسبه أو بغير تضييق ولا تقتير، ولكنه بحساب وقدر ممن وضع السنن والاسباب.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١) النساء

هذا الوصف ذكر تمهيداً لما يأتي من أحكام اليتامى ونحوها، كأنه يقول يا أيها الناس خافوا الله واتقوا اعتداء ماوضعه لكم من حدود الاعمال، واعلموا انكم أقرباء يجمعكم نسب واحد، وترجعون إلى أصل واحد، فعليكم أن تعطفوا على الضعيف كاليتيم الذي فقد والده وتحافظوا على حقوقه. وقوله (والارحام) بالنصب عطف على لفظ الجلالة، أي اتقوا الله أن تعصوه، والارحام أن تقطعوها، وقريء بالجر عطفا على الضمير، أي اتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضا به وبالرحم بأن يقول: سألتك بالله أن تفعل كذا، والسؤال بالله غير القسم به، والسؤال بالرحم تواصيهم بالخير من طريق الرحم، وذلك أيضا غير القسم بالرحم فانه غير جائز. و(رقيبا) مشرفا على الاعمال ومناشئها من القلوب — من رقبه إذا أشرف عليه من مكان عال

إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ، لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً، رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠) المائدة

وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ، وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨) الانعام

قُلْ أَرَءَيتم إنْ أَخذَ اللهُ (١) سَمْعَكُمْ وَأَبصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ، مَنْ إِلَهٌ غيرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ؟ أنظُرْ كيفَ نُصَرِّفُ الأَيَتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦) قُلْ أَرَءَيتَكُمْ إنْ أَتَـكُمْ عذابُ اللهِ بَغتَةً أَوْ جَهرَةً، هَلْ يُهْلَكُ إلاَّ القومُ الظَّـلِمُونَ؟ (٤٧) الانعام

قُلْ هُوَ القادِرُ (٢) عَلَى أَنْ يَبعَثَ عَلَيْكُمْ عذابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرجُلِكُمْ، أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، أنظُرْ كَيفَ نُصَرِّفُ الأَيَتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥) الانعام

إنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى، يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ، ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ (٩٥) فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ الَّيلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا، ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ، قَدْ فَصَّلْنَا الأَيَتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُم مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ، قَدْ فَصَّلْنَا الأَيَتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ، فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا، وَمِنَ

١) انظر تفسير الآية ص ١٥
٢) انظر تفسير الآية في بحث الوحدة ص ١٦

النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩) الانعام

(فالق) أي فالق ما نزرع من حب الحصيد ونوى الثمرات وشاقه بقدرته وتقديره الذي ربط به أسباب الانبات بمسبباتها ، وقوله (يخرج الحي من الميت) الخ أي يخرج الزرع بسائر أنواعه وهو متغذ نام من الميت وهو ما لا يتغذى ولا ينمى من التراب والحب والنوى وغيرهما من البزور كما يخرج الحيوان من البيضة والنطفة ، واعتبار النطفة والحب والنوى والتراب ميتة مع أن في الحبوب والتراب خاصية تعدها للنمو وفي النطف حيوانات صغيرة بها يكون التلقيح ، لان العرف لا يسمي مثل هذه الخصائص حياة ، على أن حياة الحيوان المنوي تذهب بمجرد عملية التلقيح ثم تخلفها حياة أخرى في الوقت الذي يريده الله تعالى . و(تأفكون) تصرفون عن إله له هذه الآيات ، وهو تعجب من حالهم . و(فالق الاصباح) شاق ظلمة الصبح بالصبح او فالق الصبح عن بياض النهار . و(سكنا) سكونا للجسم من تعب النهار ، وللنفس بالهدوء والطمأنينة . و(حسبانا) بالضم مصدر حسب (كنصر) وهو والحساب بمعنى استعمال العد في الاشياء . و(حسبانا) بالكسر مصدر حسب (كعلم) والمعنى انه جعل الشمس والقمر في تعاقبهما ونظامهما بحساب معين كما قال (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وكما قال (الشمس والقمر بحسبان)

وقوله (ذلك تقدير العزيز العليم) اي ذلك الجعل العالي الشأن ، البعيد المدى في الاتقان ، الناشيء عنه اختلاف الايام والفصول ، وتقدير السنين الشمسية والشهور القمرية ، هو تقدير الغالب على أمره الذي وضع المقادير والانظمة الفلكية وغيرهما بما اقتضاه واسع علمه . وقوله (مستقر ومستودع) أي فلها مستقر حيث تكون في الرحم ، ومستودع حيث تموت كما قال (ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى) او فمنكم مستقر في الدنيا يعمر طويلا ، ومستودع تخترمه المنية طفلا

او يافعا . اولكم مستقر في الاصلاب ومستودع في الارحام والله أعلم . و(من طلعها) بدل من النخل وهو أول ما يطلع و يظهر من زهرها الذي يكون منه ثمرها . و(قنوان) جمع قنو بالكسر وهو العذق الذي يكون فيه الثمر ، وهو من النخل كالعناقيد من العنب ، والسنابل من القمح . و (ينعه) نضجه . يلفتنا الله تعالى إلى آياته في النبات والزرع ، وآياته في الليل والنهار ، وحكمته العالية فيهما ، وآياته في النجوم التي يهتدي بها الساري في ظلم البر والبحر ، وفي النفوس وخلقها من نفس واحدة ، وفي الماء الذي ينزله من السماء ، وما ينبت به من الخضراوات والبقول ، ومن النخيل والاعناب ، والزيتون والرمان . ويلفتنا إلى تطورات الفاكهة عند نضجها ليرينا بذلك قدرته الشاملة ، وحكمته الواسعة ، وان الاله الذي له هذه الآيات لا يصح أن يسوى به غيره ، بل يجب ان يفرد بالعبادة ويختص بكمال المحبة والاكبار

إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوٰتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ، يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ (٥٤) الاعراف

(أيام) هي من ايام الله التي يتحدد اليوم منها بعمل من أعماله يكون فيه ، فان اليوم في اللغة هو الزمن الذي يمتاز بما يحصل فيه من غيره كامتياز ايامنا بما يحددها من النور والظلام ، وأيام العرب بما كان يقع فيها من الحرب والخصام ، وأيام الله التي امر موسى أن يذكر قومه بها هي ازمنة نعمه عليهم ، وقد قال تعالى (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) ووصف يوم القيامة بقوله (في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) والايام هنا لا يعقل ان تكون من ايام ارضنا التي يحد ليل اليوم ونهاره منها بأربع وعشرين ساعة ، لان هذه الايام قد وجدت بعد خلق هذه الارض ، فكيف يكون اصل خلقها في ايام منها؟ وقوله (ثم استوى على العرش) اي انه سبحانه قد استوى بعد تكوين هذا الملك على عرشه كما يليق به ، يدبر أمره ويصرف نظامه حسب تقديره .

الذي اقتضته حكمته فيه كما قال في سورة يونس (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش، يدبر الامر ، ما من شفيع إلا من بعد اذنه) وقوله (يغشي الليل النهار) من غشي بالتخفيف او غشى بالتشديد ، ومعناه يجعل الليل بحيث يغطي النهار ويكون غشاء عليه، أو بحيث يلحقه و يغلب عليه ، أي ان الله تعالى قد جعل الليل الذي هو الظلمة يغشى النهار وهو ضوء الشمس على الارض اي يتبعه و يغلب على المكان الذي كان فيه و يستره حال كونه يطلبه حثيثا مسرعا . و (مسخرات بأمره) خاضعات لتصرفه ، منقادات لمشيئته . و (ألا له الخلق والامر) اي ان الله هو الذي اختص بالخلق والتدبير ، كما اختص بالتشريع ، و إله له ذلك لا ينبغي أن يكفر

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (١٣٥) فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا ، وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) الاعراف

(الرجز) العذاب مطلقا . وقيل الطاعون . وقوله (فانتقمنا منهم) أي لما نكثوا العهد أغرقهم الله في البحر . وقوله (بأنهم كذبوا) الخ يريك الله عدله في ذلك الانتقام والآية تريك ما فعله الله بالظالمين ، وما جزى به المصلحين ، فالظالمون أهلكهم الله بظلمهم ، والمستضعفون أورثهم الارض بصبرهم على أذى فرعون لهم

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ، هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) الانفال

(يخدعوك) من الخدع ، وهو أن يوهم الخادع صاحبه خلاف مايريد به من المكروه ، وطريق خادع مضل لسالكه . و(حسبك) كافيك أمرهم . والمراد ان هؤلاء إذا أرادوا المكر بك بجنوحهم للسلم ، وان يفترصوه لاجل الاستعداد للحرب ، فان الله لا يمكنهم منك . وقوله (لو أنفقت) الخ يريك آية كبرى من آياته هي سلطانه تعالى على القلوب الذي هو فوق السلطان على الاجسام ، وتحويلها من فساد إلى صلاح ، ومن تفرقة إلى وحدة ، فهو يذكره بهذه النعمة الكبرى نعمة تأليف القلوب حوله كما الف بين الاوس والخزرج وقد كان بينهما من بعد الشقة ما كان (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) يرينا الله بهذه الآية أن نعمته على رسوله «ص» وعلى المؤمنين من تأليف القلوب هي نعمة كبرى وآية عظمى ، لا يستطيعها ولي مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولو أنفق في سبيلها ملء الارض ذهبا ، ومن يملك القلوب فيصرفها ، والنفوس فيؤلفها ، كيف ينكر فضله ؟ أم كيف يسوى به غيره ؟ وانظر الى قوله في نهاية الآية (انه عزيز حكيم) لتفهم انه انما ملك القلوب بعزته وغلبته ، وخضعت له بحكمته وعدله ، كما يريك انه انما يؤلف قلوبا مستعدة للتأليف ، أما القلوب التي امتلأت بالحقد ، وتلوثت بمرض الكبر ، فليست أهلا لذلك الخير

فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) براءة

(غير معجزي) كونوا على يقين بأنكم لا تعجزون الله تعالى بسياحتكم في الارض ولن تجدوا منه مهربا إذا أنتم أصررتم على الشرك وتماديتم في الضلال ، لان قدرة

الله تعالى فوق القدر ، وتأكدوا انه مخزيكم في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد ، فتلك سنته في الكافرين ﴿ كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ❊ فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ ﴿ فأرسلنا عليهم ريحا صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴾

ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ، ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ، وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ، يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا ، وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ، صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) الرعد

التدبير النظر في عواقب الامور وغاياتها ، أي أمر السماء والارض كما قال فى آية اخرى (يدبر الامر من السماء الى الارض) وقوله (لعلكم) الخ أي انه يعدكم للايمان بلقائه بما نصب لكم من دلائل قدرته في هذه الحياة . و (مد الارض) بسطها وجعلها صالحة للحياة عليها . و(رواسي) جبال . من رسا الشيء يرسو ثبت وهي الاوتاد . و(زوجين) صنفين ذكر وأنثى ، وقد يكون عضو الذكر مع عضو الانثى في شجرة واحدة ، وقد يكونان في شجرتين . و(متجاورات) مختلفة في صلاحها وفسادها ، ورخاوتها وصلابتها ، وطيبها وسبخها . و(صنوان) نخلات أصلها واحد

(وغير صنوان) متفرقات مختلفة الاحوال. و(الاكل) الثمر، فتختلف شكلا وقدراً ورائحة وطعما وخواص. يرينا الله ان من آياته الكبرى أن مد لنا في الارض و بسطها، وجعل فيها السهل والوعر، والجبال والرمال، لينتفع بكل هذه الاقسام في وجهه. ثم يلفتنا الى حكمته البالغة في الجبال التي يحسبها الجاهل فضلة في الارض لاحاجة اليها، كيف ينزل عليها الثلج فيبقى في قللها حافظا لشراب الناس إلى حين نفاده، وجعل فيها ليذوب بالتدريج فتجيء منه السيول وتسيل منه الانهار والاودية فينبت في المروج والوهاد والربا ضروب النبات والفواكه والادوية التي لا يكون مثلها في السهل والرمل، ولولا الجبال لسقط الثلج على وجه الارض جملة فانحل بسرعة، وعدم وقت الحاجة اليه، وكان في انحلاله جملة هلاك مامر عليه. ويلفتنا إلى مافي حصونها وقللها من المغارات والكهوف والمعاقل التي هي بمنزلة الحصون والقلاع، وإلى ما ينحت من أحجارها للابنية، وما يوجد فيها من معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والزبرجد والزمرد وغير ذلك من أنواع المعادن، وفيها من المنافع انها ترد الرياح العاصفة، وتكسر حدتها عما تحتها، كما ترد عنهم السيول إذا كانت في مجاريها

ومن حكمة الله انه خلقها على ذلك الوضع الذي نعرف، لانها لو طالت واستدقت لتعذر الصعود عليها فلم ينتفعوا بها ومنعت عن الناس الشمس والهواء، ولو بسطت على وجه الارض لضيقت عليهم المزارع والمساكن ولملات السهل وضاع التحصن بها من الرياح والسيول والاعداء، وهي مع هذه القوة والشموخ الذي تراه تسبح بحمد الله وتخشع له، ألا ترى إلى الجبل الذي تجلى له ربه فجعله دكا؟ والى هذه الجبال في الآخرة كيف يقول الله فيها (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا، فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا) فهذه هي الجبال في قوتها وضعفها، وفي تدكدكها من جلال ربها، وهذه قلوب العصاة والمشركين لا تتأثر بهذه الآيات، ولا تستفيد من كتاب الله الذي قال فيه (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) ثم يلفتنا إلى آياته في الانهار التي تنبع من الجبال ومنها نشأتها وإلى البحار نهايتها، ومنها مايجري من الشرق إلى الغرب، ومنها مايجري من الغرب إلى الشرق، ومنها مايجري من الشمال الى الجنوب، ومنها مايجري من الجنوب إلى

الشمال ، وكيف فاوت بينها و بين البحار والمحيطات؟ فجعل ماءها عذبا وماء المحيطات ملحا اجاجا ، وفصل هذه من تلك بكامل حكمته وسعة قدرته ، ولولا ملوحة ماء المحيطات ما تلطف الجو بأبخرتها التي تتموج مع الهواء يمينا وشمالا وشرقا وغربا فتقد بغه وتملحه وتمنعه من الفساد والتعفن . ولولا ذلك لمات الحيوان المستنشق للهواء دفعة، ولولا ملوحة الماء لصار آسنا ومات الحيوان الذي فيه جملة، فاعجب من الملح كيف صار نعمة في البحر كما هو نفحة في البر؟ حكمة بالغة

ثم عبرة العبرة انك تجد في الارض الجنات من الاعناب والزرع والنخيل، والجميع يسقى بماء واحد ، ويفضل الله بعضها على بعض في الثمرة ، فترى فيها الحلو والحامض والحار والبارد ، على اتحاد الماء الذي تسقى به ، وقطعة الارض التي تنبتها، أليس ذلك من أكبر الادلة على أن لها إلها واحداً حكيما، وهب كل نبات من الخصائص مالم يهب غيره ، وأعده لان يأخذ من معادن الارض ما ينمي فيه خاصته ، ويؤهله للغاية التي خلق لها ؟ وقل لي بربك من الذي جعل حبة الحنظل إذا وضعت في جوف الارض تطلب من معادن الارض ما ينمي مرارتها ، وجعل حبة البطيخ تأخذ من بين عناصر الارض ما ينمي حلاوتها ؟ أليس هو ذلك الاله (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى؟) وهنا نلفت القاريء إلى نكتة لطيفة في قول الله تعالى (يسقى بماء واحد) ولم يقل يغذى بماء واحد، هي ان علماء النبات أثبتوا ان من النباتات ما يتغذى بالمواد الارضية ممزوجا بالماء و بالمواد الهوائية ، وقسم منها يتغذى بجسم نبات آخر كما تتغذي البراغيث والحيوانات الضارة من جسم الانسان . وقسم ثالث لا يكون غذاؤه إلا من الحيوان . وجميع هذه الانواع على اختلاف غذائها تسقى بالماء . فهل كان محمد بن عبد الله الناشيء في جزيرة العرب، وفي مكة التي وصفها نبي الله ابراهيم بأنها واد غير ذي زرع — يعلم أنواع النباتات ، وانها جميعها تحتاج إلي الماء وان كانت مختلفة في الغذاء ؟ أو ان هذا كتاب رب الارض وما فيها ، العالم بظاهرها وباطنها ، الخبير بما تنبته من نبات مختلف فى غذائه متحد في شرابه؟ اللهم انها معجزة علمية من معجزاتك ، ودليل واضح على حقية كتابك

إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ

اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣) الرعد

يلفتنا الله تعالى إلى آياته في تحويل الامم والشعوب ، وان سنته جرت بأنه لا يغير ما بها من سعادة إلى شقاء ، ومن قوة إلي ضعف ، ومن سيادة إلى عبودية و بالعكس ، إلا إذا غيروا ما بأنفسهم . فالامة التي تستمرىء الظلم ، وترضى بالجهل والفقر ، وتحللت من امهات الفضائل ، لا تعمر في الارض طويلا ، و يستولى عليها من هو أقوى منها خلقا ، وأوسع علما وأعز نفرا

أما الامة التي تحرص على كرامتها ، وتتألم من سقوط اخلاقها ، ولا ترضى أن تكون حملا على غيرها في هذه الحياة ، بل تريد أن تعيش عزيزة ، أو تعمل لهذه العزة فانها جديرة بأن يمدها الله بمعونته ، و يوفقها لما تحب ، ولعل في ذلك عبرة لاخواننا المسلمين الذين يريدون العزة بدون عمل ، والقوة بدون وسيلة . ولو عرفوا سنة الله في قيام الامم وسقوطها ، وضعفها وقوتها ، ما طمعوا في نتيجة بدون مقدمات ، ولا غاية بدون وسائل ، وتأمل قوله (واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له) لتعرف ان مقدمات سقوط الامة متى وقعت فلا مناص لها من السقوط ، ولتعرف أن عدل الله في عقابه للامم كعدله في عقاب الافراد

وقوله (هو الذي يريكم البرق) الخ يلفتنا إلى دراسة سنن الله في اشتمال كل جسم على نوعين من الكهرباء اصطلحوا على تسمية أحدهما موجبا والاخر سالبا وان هذين النوعين من الكهرباء إذا حصل بينهما تقارب اتحدا وتكونت منهما شرارة كهربائية ، وكان لهذه الشرارة ضوء وصوت ، ومن ذلك اتحاد كهربائية سحابتين مختلفتي النوع عند احتكاك أحدهما بالاخر ، فيتحد موجب إحدى السحابتين بسالب الاخرى ، فيتولد منهما نار عظيمة هي الصاعقة ، وصوت مزعج بسبب تماوج

الهواء هو الرعد، وضوء شديد هو البرق، فهذه الظواهر الثلاثة آثار اتحاد كهربائيتين مختلفتين ايجابا وسلبا ، وكثيراً ما نرى ذلك عند تماس سلكين من سلوك الكهرباء في البيوت . يلفتنا الله تعالى إلى دراسة ذلك كله لنعرف سنن الله تعالى في الاجسام ، واشتمال كل جسم منها على نوعي الكهرباء المولدة لهذه الظواهر الخطيرة ، ونعرف أيضا سنته في اتقاء هذه الصواعق عند اختلاف كهربائية سحابة قريبة من الارض مع كهربائية الارض إيجابا وسلبا ، فنعد لها من المعدات مما يحول دون سقوطها على الارض كالقضب الحديدية والنحاسية التي يصنعونها لمنع الصواعق ، ويالها من نعمة على الناس . وقوله (خوفا وطمعا) أي خوفا من الصواعق التي تصحب البرق ، وطمعا في المطر ، أو خائفين من ضرره، طامعين في منافعه ، فان البرق يهدينا إلى وجود كهربائيتين مختلفتين إيجابا وسلبا . وقد هدى الله الناس للانتفاع بالكهرباء في وجوه شتى ، فتراهم يعالجون بها بعض الامراض ، ويكشفون بها ما في الاجسام من علل ، ويسوون عليها الطعام والشراب ، ويسيرون بها القاطرات والبواخر ، وتنار بها المدن ، وهو فضل من الله على الناس هداهم اليه بما وهبهم من عقول ، وما وضع لهم من دلائل في الكون . ويرينا الله ان في هذه الظواهر التي تنشأ من اتحاد كهربائيتين خيراً وشراً ، وبالعلم نستطيع أن نتقي شرها ، وننتفع بخيرها ، كما يلفتنا إلى مظهر أسمائه وصفاته ، وان نكون دائما خائفين من بطشه ، طامعين في رحمته ، حتى لا يبطرنا العلم فننسى به واهب أسبابه ومقدماته (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون)

و(الثقال) المملوءة بالمطر . و(يسبح الرعد بحمده) أي بلسان حاله كما قال (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء إلا يسبح بحمده) فهو يشهد أن له ربا دبر أسبابه ، وقدر نتائجه وآثاره ، له العلم المحيط ، والقدرة الواسعة . وتأمل قوله (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) لتعلم منه أن تسبيح الرعد هو تسبيح ثناء على الله تعالى ان لم يجعله عذابا للناس شاملا ، وعقوبة عامة ، ولذلك يقول (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) ويريك انها خاضعة لمشيئته ، منقادة لسلطانه ، فهي سنن محكومة له ، وليست حاكمة عليه ، وكيف وهو واضعها ومدبرها؟ وقوله (وهم يجادلون في الله) يريك ان الاله الذي له هذا السلطان ، ومن جنوده المطيعة البرق والرعد والصواعق هو إله ظاهر بآياته ، واضح بآثاره ، فلا ينبغي أن يكون محل جدال . و(المحال) الحول . وقيل النقمة ، وقيل المكر لاعدائه ، يهلكهم بطريق لا يتوقعونه

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ، وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ؟ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١) الرعد

أي لئن اتبعت هؤلاء على دين ماهو إلا أهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة فانك لاتجد من ينصرك من الله ولا من يقيك منه. والغرض إلهاب السامعين وتهييجهم على الثبات في الدين، والتصلب فيه، وان لا يزل أحد عند الشبهة، بعد استمساكه بالحجة. وهو يلفتنا من طرف خفي إلى منزلة العبد من الرب، والمخلوق من الخالق، وان الكل أمام أوامر الله سواء وان تفاوتوا في الرتبة، وتفاضلوا في المنزلة.
وقوله (ولقد أرسلنا) الخ رد على من كان يعيب الرسول (ص) بالزواج والنسل كما كانوا يقولون (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق؟) وقوله (وما كان لرسول)الخ أي ليس من شأن الرسول أن يأتي بآية من آيات الله الكونية التى كانوا يقترحونها للتعجيز إلا باذن الله تعالى كما قال في سورة العنكبوت (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه، قل انما الآيات عند الله) فهي شأن من شئون الله تعالى، وليست من شأن الرسل، ولذلك يقول في سورة الاسراء بعد أن طلبوا منه أن يفجر لهم ينبوعا من الارض أو إسقاط السماء كسفا عليهم أو يأتي لهم بالله والملائكة مواجهة أو يكون له بيت من

زخرف أو يرقى في السماء ويأتي منها بكتاب مقروء (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا؟) اي وهذه الآيات من اعمال الله، فطلبها من الرسول جهل وحمق. وقوله (يمحو الله ما يشاء ويثبت) أي يمحو ما يشاء محوه من الآيات الكونية، ويثبت ما يشاء اثباته منها حسب الحكمة والمصلحة، فالمحو والاثبات له وحده، وليس الكلام في الآجال كما فهمه بعض الناس لان السياق يأبى ذلك (وعنده أم الكتاب) اي علم الله المحيط يعمل على حسب ما سبق فيه كما قال (ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها) وقال (وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) ويصح أن يكون قوله (يمحو الله ما يشاء ويثبت) بيانا لشئون الله تعالى التي لا تقف عند حد، كاحياء قوم واماتة آخرين، واعزاز قوم واذلال آخرين، وانشاء ملك وسلب ملك، وتحويل نعمة من محل إلى محل، واعانة عاجز وانتقام من ظالم، كما قال (كل يوم هو في شان) ويدخل فيه محو آية واثبات آية. وقوله (لكل أجل كتاب) أي لكل اجل مضروب لشيء من الاشياء إثبات وتقدير من الله لا يتخطاه. وقوله (وإما نرينك) الخ اي سواء اريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم، او توفيناك قبل ذلك فما عليك إلا تبليغ الرسالة، وعلينا لا عليك حسابهم على اعمالهم، فلا يهمنك إعراضهم.

وقوله (أولم يروا) الخ قد يؤيد العموم في المحو والاثبات، ويلفتنا إلى التغير فى أطراف الارض بالعمارة والخراب، وبانهيار شاطيء البحر بفعل الماء ثم تزيده فى جهة أخرى، وبانقلاب البحر برأ بطول المدى وبفتح دار الحرب بأيدي المسلمين، ونظرة واحدة فى خرائط العالم تريك ما يطرأ على الارض من تغيير وتبديل، ونقص وزيادة، وخراب وعمارة، وذل وعز، ونقص وكمال، فالله تعالى يلفتنا إلى هذه الآيات الواضحة والدلائل الجلية، ومع أن هذه الدلائل بين ايدينا، وعلى مرأى ومسمع منا، فالناس لا يزالون في غفلة عن ربهم، وانهاك في شهواتهم، وقوله (لا معقب لحكمه) لا راد لحكمه، والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله، فاذا حكم على امة بالشقاء فلا أحد يسعدها، واذا حكم عليها بالسعادة فلا احد يشقيها

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ

يُذهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠) ابراهيم

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ

شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ

(٢٠) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ، وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ

(٢١) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ، فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا

أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ

(٢٣) الحجر

قوله (والارض مددناها) الخ سبق في آية الرعد من هذا الباب الكلام على مد الارض وجعل الرواسي فيها، وبقي أن نتكلم على آية علمية هي قول الله تعالى (وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) وهو مأخوذ من قولهم وزن الشيء عرف قدره سواء كان ذلك بميزان حسي او علمي، وقد اطلقوا على المنطق ميزانا لانه توزن به طرق العلم ووسائل المعرفة، ويقال وزنت كلام فلان عرفت قدره وقيمته، وقد طلب الله إلى الحكام أن يزنوا بين المتقاضين بالقسط كما قال ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ وقال ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ أي نحاسبهم الحساب العادل

والمراد هنا ان الله تعالى أنبت في الارض من كل شيء موزون بميزان الحكمة، مقدر بقدر المصلحة، بحيث لا يقبل زيادة ولا نقصا كما قال ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ وقد كشف لنا علماء النبات عن هذه الآية العلمية الكبرى فأثبتوا أن عناصر النبات التي يتكون منها موزونة، دع أغصانه وأوراقه في هندستها وأشكالها، وضربوا لنا مثلا الذرة والفول والبرسيم والقصب والبطاطس، وهي جميعها تتكون من عناصر البوتاسا والصودا والجير والمغنسيا وحمض الفوسفوريك وحمض الكبريتيك والسلكا والكلور غير انها تتكون بنسب مختلفة، فالبوتاسا مثلا تدخل في الذرة بنسبة ٣٢ في المائة، وفي الفول بنسبة ٤٢ر٥ في المائة، وفي القصب بنسبة ٣٤ر٣ في المائة، وفي البطاطس

بنسبة ٦١ر٥ في المائة ، وفي البرسيم بنسبة ٣٤ر٦ في المائة ، فهذا عنصر واحد من ثمان عناصر داخل في هذه الانواع بنسب مختلفة ، ولولا هذا الاختلاف ماصلح القصب لان يكون سكراً ، والبرسيم لان يكون قوتا للبهائم ، وماصلح الفول لان يكون مشتركا ، والذرة لان يقتات بها ، والبطاطس لان نأكلها ، فهذا وزن اساسه العلم والحكمة روعي في النبات ليقوم بوظيفته التي خلق لها ، وأساسه وزن علمي دقيق يحار له العقل ويذهب له اللب في طريق غذائه من تلك العناصر المبعثرة في جوف الارض

يقول لنا علماء النبات إنه يستخرج غذاءه من الارض بواسطة عروقه الضاربة فيها يمصه ثم يرفعه إلى الساق والاغصان والاوراق والازهار ، فاذا علمت ان انواع النبات تزيد عن مئتي ألف نوع ، وان لكل نوع أصنافا دهشت كيف يكون لكل نوع من أنواع النبات نسبة مئوية في العناصر التي تغذيه لا يستطيع أن يتخطاها ، وبهذه النسب المئوية كانت تلك الانواع والاصناف . فقل لي بربك لماذا لم تخطيء الجذور الضاربة في الارض ؟ ومن الذي وضع لها ميزانا لا يهدم وحداً لا تتخطاه ؟ ولماذا يدخل من البوتاسا في الذرة أكثر مما يدخل في البرسيم ؟ أليست الارض واحدة والنبات يمتص ؟ ولماذا نرى جذور حبة الذرة تأخذ من البوتاسا بنسبة ٣٢ في المائة في جميع أنحاء الارض ولا تزيد عليها ولا تنقص ؟ ان الذي حدد للجذور فتحاتها الدقيقة الشعرية التي تمتص بها غذاءها هو الذي حدد للانسان مسام يتنفس بها ، وهو الذي حال بين الجذور وبين الخطأ ، وهو الذي وضع حداً للثقوب لا تتخطاه ، ومقدارا لا تتجاوزه ، وهو الذي أقام الميزان العلمي في جوف الارض وناط به جنوداً عادلين (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون) وهو الذي وضع ثقوب كل نبات على نحو لا تسع به إلا المقدار اللازم لها وتطرد سواه لانه لا يلائمها (صنع الله الذي أتقن كل شيء) وهو (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وهل تستطيع أيها الانسان أن تعرف بأي وضع صنعت تلك الثقوب التي تأخذ بقدر وتمنع بقدر ؟ وهل تشك بعد هذه الآيات الواضحة ، والدلائل البينة ، في إله للعالم له العلم المحيط ، والتدبير الدقيق ؟ (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم مافي البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)

وقوله (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهي ما يعيش به الانسان من نباتات

مختلفة وأنعام وطير وسمك ومياه صافية ، وأشربة مختلفة الطعوم والروائح. وقوله (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش ، أو عطف على مدخول اللام. أي جعلنا لكم في الارض معايش ومن لا ترزقونه كالطير في الهواء والسمك في البحار والوحوش في الجبال ، وجعلنا لهذه الاجناس معايش كما جعلنا لكم

وقوله (وان من شيء إلا عندنا خزائنه) الخزن حفظ الشيء في الخزانة ثم يعبر به عن كل حفظ ، والخزائن جمع خزانة ، وهو ما يحفظ فيه الشيء ويودع . والمعنى أن مستودع كل شيء هو عند الله تعالى وتحت سلطانه وتصرفه ، فخزائن الارزاق عنده ، وخزائن المدمرات والمهلكات عنده. وقوله (وما ننزله إلا بقدر معلوم) التزول في الاصل انحطاط من علو ، وانزال الله نعمه ونقمه على الخلق إعطاؤهم إياها ، وذلك إما بانزال الشيء نفسه كانزال القرآن ، أو بانزال أسبابه والهداية اليه كانزال الحديد في قوله (وأنزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس) وانزال اللباس في قوله تعالى (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم) أي هدينا كم اليه وسخرنا لكم اسبابه ووسائله . وقوله (بقدر) مقدار مخصوص حسب الحكمة

وما اعظم هذه الآية التي تهز النفوس هزاً ، وتلجئها للاعتراف بالله إلجاء ، تريك ان كل شيء خزائنه عنده ينزل منها للناس بقدر ويسخرها لهم بحسبان ، فهذه معايش الناس في الارض التي بها الغذاء والري ومنها اللباس والدواء ، وهذه معادن الارض ودفائنها بيده سبحانه لا ناخذ منها إلا بقدر ، ولا ننتفع إلا بحساب ، انظر إلى ما خزنه الله في الجو من هواء به حياة هذه الابدان ، نستنشقه بواسطة جهاز التنفس من الداخل ، ويحفظ به الدم بواسطة ضغطه على الجسم من الخارج . ثم انظر الي الرياح تلقح الشجر والنبات بقدر وبها تسير السفن ، ولو ضعفت أو اضطربت لاختل نظامها أو وقف سيرها ، ثم انظر إلى الهواء كيف صلح بتركيبه من عناصر مختلفة لان يبرد به الماء ، وتشعل به النار ، وتجفف به الاشياء ، ولولاه لتعفن الزرع ومات الحيوان وفسد الطعام وعم الوباء في الجو ، ثم انظر كيف يحمل بتموجاته الاصوات ، ويؤديها للقريب والبعيد فهو بريد العالم به يتناجون ، وعلى حسابه يتخاطبون ، أليس الهواء خزانة لهذه المصالح أنزله للناس بقدر ؟ يسلط على الارض أشعة الشمس فيجف الهواء ويعلو ، ثم يخلفه هواء ثقيل فيتولد من ذلك ومن دورة الارض تيارات للهواء مختلفة في مهبها والجهات

التي تنتهي اليها كما تختلف قوة وضعفا، ولينا وشدة، ليؤدي كل قسم منها وظيفة في هذه الحياة، أليست كل هذه المصالح خزائنها الهواء، أنزلها الله للناس بقدر، وسخرها لهم بميزان؟ وحسبنا من المصالح التي خزنها الله تعالى في الهواء أن صار بريداً منظما سريعا لاهل المعمورة، يتخاطب به الامريكي مع المصري بواسطة الجهاز المسمى بالراديو، ولقد كان ذلك مخزونا في الهواء حتي كشفه الله للناس وهداهم اليه بما وهبهم من علم وما وصلوا اليه من بحث وتجاريب

ثم انظر الى البحر كيف خزن الله فيه الماء وسلط عليه أشعة الشمس فبخرته، وبذلك حملته الريح من البحار الملحة كما تحمله من الآجام والمواضع الرطبة، وكان ذلك بقدر، يقول الله للحرارة كما يقول للرياح لا تلحي على البحار إلا بمقدار، حتي يكون بخار على قدر الحاجة، واذا نزل المطر يقول ياجبال احفظيه لعبادي، وياحرارة أذيبيه رويداً رويداً ليزيد في الانهار، ويا ثلوج قفي فوق الجبال، وانتظري الحرارة لتذيبك قليلا قليلا، وياعيون انبعي بقدر ليبقى الماء في الجبال والارض والمجاري تحت الارجل مخزونا ولتكن قريبة ليسهل إخراجه عند الحاجة. واياك يابحر أن تطغى على اليابسة، واياك يا أنهار أن تغمري الارض بالماء

وانظر إلى الارض كيف خزن الله فيها المعادن، ثم أخرجها للناس على ناموس الرقي والتقدم وسنن العلم، فهذا الفحم الحجري الذي استخرج منه العالم ثلاثمائة مادة قد خزنه الله في الارض آلاف السنين، ثم أبرزه في هذه الايام، فأجرى به القاطرات وأنار بغاز الاستصباح منه البيوت والطرقات، ونظف بأحماضه القاذورات، وأجرى بالبنزين المتخذ منه العجلات، ولون به ثياب الغانيات، وأفاد به في الطب صحة المخلوقات، حجبه الله عن الناس بقدر، وأبرزه لهم بقدر، حجبه أيام كانوا جاهلين باستخراجه والحاجة اليه، وأدناه منهم حين علموا كيف يحصلون عليه ويستفيدون منه

وهذه معادن الارض، حديدها ونحاسها، ورصاصها وقصديرها، ذهبها وفضتها، زبرجدها وزمردها وفيروزها، وهذه دفائن البحار لؤلؤها ومرجانها، خزنها الله عن العالم ايام جهله وضعفه، وسخرها لهم أيام علمه وقوته (وكل شيء عنده بمقدار)

(لواقح) من لقحت الناقة تلقح فهي لاقح اي حامل، ويقال ألقحها الفحل إذا ألقى اليها الماء فحملته. والمراد ان من آيات الله أن يرسل الرياح حاملة للماء لتوصله الى

الارض التي يريدها، وحاملة للصوت توصله إلى الآذان ، وحاملة للقاح توصله الى الاشجار من ذكورها إلى إناثها ، يرينا الله بهذه الآية ان الزهور على اختلاف اجناسها يحتاج بعضها الى بعض ، ومنها ماخلق الله فيه الطلع الذي هو أشبه بماء الفحل، ومنها ما يقبله ، وكما ان النخل فيه ذكوره التي تلقح اناثه فكذا جميع الاشجار ذكرانها تلقح إناثها. وقد شوهد في بلاد (اسكوتلاندة) غبار من طلع بعض الاشجار يمر في الهواء كالسحب تسوقها الرياح ، ثم تؤلف بينها ثم تصير ركاما، ويراها الناس تلقح اناث تلك الاشجار . ومن حكمة الله أن جعل ذلك اللقاح كثيراً جدا حتى اذا تبعثر منه أهم اجزائه كان ما بقي يكفي اناث الازهار . وقد ثبت ان بعض الازهار التي لا تحتاج الى الريح في تلقيحها تخرج من ثلاثة ملايين خردلة من اللقاح الى اربعة ملايين ، فما بالك بما يحتاج الى الريح ؟ لابد ان يكون أضعاف هذا. وتأمل حكمة الله في مثل الورد والرمان يلقح بواسطة الحشرات التي تطير في الجو، ثم تأمل كيف صنع الله الزهرة في شكل بديع جذاب ورائحة جميلة ، وجعل في اسفلها عسلا، وفي داخلها سيقانا تحمل الطلع، فترى الحشرات تلك الالوان نهاراً فتسارع اليها ، وتشم رائحتها في الظلام فتبادر الي العسل الذي في اسفلها لتشربه فتلمس ظهورها ظهور الطلع فيرش عليها كالدقيق فتذهب الى الزهرة الاخرى من ذلك النوع، فيحصل تلقيحها ولا علم للزهرة بذلك ولا للنحلة ، وانما هي تسعى لمصلحتها ، وذلك تدبيره تعالى وتمام حكمته في التلقيح . وقوله (بخازنين) اي بحافظين له في الغدران والعيون والآبار وتأمل قوله بعد ذلك (وإنا لنحن نحيي ونميت) الخ اي بما لنا من ذلك السلطان وهذه الخزائن التي لا تمكن منها الا بمقدار

خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ، تَعٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الإِنسٰنَ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤) وَالأَنعٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنٰفِعُ ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا

بالغيه إلا بشق الأنفس، إن ربكم لرءوف رحيم (٧) والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة، ويخلق مالا تعلمون (٨) وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر، ولو شاء لهداكم أجمعين (٩) هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون (١٠) ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (١١) وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر، والنجوم مسخرات بأمره، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (١٢) وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه، إن في ذلك لآية لقوم يذكرون (١٣) وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٤) وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون (١٥) وعلامات، وبالنجم هم يهتدون (١٦) أفمن يخلق كمن لا يخلق؟ أفلا تذكرون؟ (١٧) وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، إن الله لغفور رحيم (١٨) النحل

(خصيم) منطيق يجادل عن نفسه، يذكرنا بنعمته علينا في المنطق، أو خصيم لربه منكر على خالقه. و(دفء) ما يتدفأ به. و(شق الانفس) مشقتها. و(قصد

السبيل) من إضافة الصفة للموصوف ، اي السبيل القصد المستقيم . و (تسيمون) من سامت الماشية رعت ، وأسامها صاحبها ، يذكرنا الله تعالى بآياته في السموات والارض وانه خلقها على حسب ماتقتضيه الحكمة ، ويلفتنا الي آياته في نفوسنا وآياته في الانعام ، ونعمه علينا في الاثاث والملابس وفي نسلها ودرها ، كما يذكرنا بنعمه علينا في التجمل بها عند راحتها وعند تسريحها وحملها لاثقالنا الى البلاد النائية ، ويذكرنا بنعمه علينا في الخيل والبغال والحمير التي خلقها لنركبها وجعلها زينة لنا

وقوله (ويخلق ما لا تعلمون) يلفتنا الى ما سيحدث في العالم من وسائل النقل المختلفة الانواع كالسيارات التي تدار بالبنزين ، وعربات الترام التي تدار بالكهرباء ، وقطارات السكك الحديدية التي تسير على البخار ، والسفن التي تجري في البحر كالجبال المتنقلة بقوة البخار والكهرباء ، وكالسفن الهوائية والمناطيد الجوية ، كل ذلك يلفتنا اليه بقوله (ويخلق مالا تعلمون) كما ارانا العلم كيف تحمل الكهرباء أصوات الناس ونغماتهم من اقصى الارض الي أقصاها ، ويرينا ماهو أعجب من ذلك: يرينا صور الناس على ماهي عليه من حركة وسكون ، وقوة وضعف ، فيستطيع القائد أن يرى جيوش الاعداء ماثلة امامه بواسطة الجهاز الذي بيده ، كما تستطيع الحكومات أن ترقب اعمال اللصوص وحركاتهم من حيث لا يشعرون ، فانظر كيف هدى الله الانسان وسيهديه بما وضعه فيه من استعداد ، وما سخر له من أسباب ووسائل إلى علوم ومعارف لا تقف عند حد (ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون)

وقوله (وعلى الله قصد السبيل) اي كتب الله على نفسه أن يبين للناس السبيل المستقيم (ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة) وقوله (ولو شاء لهداكم اجمعين) اي لو أراد أن يلجئكم الي الطاعة إلجاء ويكرهكم عليها لفعل ، ولكن قضت حكمته بأن يخلق الناس ويمكنهم من طاعته وعصيانه ، ليكون لهم فضل في الطاعة ، وعليهم وزر المعصية . وقوله (وهو الذي سخر البحر) الخ يلفتنا الي فضل الله علينا في البحر وما أودعه فيه من حيوانات . وقوله (طريا) بيان لافضل احوال اللحم . وقوله (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) ينبهنا الى نعم الله في البحر من الاصداف التي نحلي بها ملابسنا ونطعم بها أثاثاتنا ، كما يلفتنا الى مافيه من اللؤلؤ والمرجان ، أما اللؤلؤ فهو من اعجب حيوانات البحر يعوم على وجه الماء ، ثم يهبط في الاعماق ، وهو داخل

صدف ليقيه من الاخطار، والدر يتكون في لحمه، ومن عجيب أمره ان له شبكة عجيبة النسج كشبكة الصياد تكون مصفاة له فتدخل الماء والهواء ومواد الاغذية الى جوفه وتمنع الرمال وغيرها من المضار، وتحت تلك الشبكة افواه لكل فم أربع شفاه، تقبل الملائم من تلك المواد وتدفع غيره، وينشأ اللؤلؤ من تجمع رمل او حيوانات ضارة تدخل الصدف قسراً فيفرز حيوانها مادة لزجة يغطيها بها، ثم تجمد وتتحجر، ومنه ماهو أصغر من العدسة ومنه ماهو أكبر من بيض النعام

(والمرجان) هو صنع حيوانات صغيرة تصنعه من مواد كلسية فتجعله مساكن لها متلاصقة، وهيئة تلك الحيوانات كزهر الاقحوان، ومؤخر الواحدة منها داخل المسكن ومقدمها بارز، وفي وسطه ثقب صغير هو فمها تقبض به على الفريسة حين تمر بها، ومن هذه الحيوانات ما يلمع كالصبح، وهذه الحيوانات لا تبني مساكنها في مكان عمقه أكثر من ثلاثين متراً، وكلما كانت اقرب الى الماء كانت اكثر عملا لتمر بها من ضوء الشمس . ومن غريب امره ان فيه خاصية الحيوان والنبات، لان له معدة وفما وجملة أنابيب تقوم مقام الايدي لتناول الطعام من البحر وتدخله في الفم، واذا أخذت منه قطعة وغرست في شاطيء رملي نبتت كما ينبت الغصن، ولذلك سموه (نباتا حيوانيا) والله تعالى يلفتنا الى هذه الدقائق التي غفل الناس عنها زمنا طويلا، ثم اهتدوا اليها وعرفوا الامكنة التي تربى وتعيش فيها، وكونوا منها ثروة طائلة، ومالا جما بواسطة هذه الحلي التي خلقها الله لنا في البحر

وقوله (أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟) يرينا بعد هذه الآيات الواضحة، والدلائل في البر والبحر والسماء والارض انه من الحمق والسفه ان نسوى بين إله له هذه الآثار وبين من لا يملك شيئا منها

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ؟ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ؟ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ؟ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٤٧) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ

ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠) النحل

تهديد للماكرين بما خزنه الله في جوف الارض من براكين وزلازل وهي حرارة شديدة مستبطنة في الارض ، تصهر المواد وتبخر المياه وتحول الجوامد إلى سوائل والسوائل الى أبخرة وغازات ، فتتمدد هذه المواد بتأثير الحرارة ، فاذا كانت قوية حزقت قشرة الارض واندفعت الى الخارج فتغور بها الجبال وتصير وهاداً ، وتصهر بها الصخور فتصير رمادا ، وتذهب بها المدن في جوف الارض . واذا لم تقو الحرارة على تمزيق قشرة الارض هزتها دفعة او دفعات ، وقد يكون الهز عنيفا فتسقط به بيوت ومنازل . ذلك من آيات الله التي يهددنا بها في كل وقت ، واذا كانت البراكين لا تحدث إلا في اماكن خاصة فان الزلازل قد أعد الله لها جميع بقاع الارض . و(في تقلبهم) اي متقلبين في معايشهم ، والمراد انه يأخذهم فجأة . و(على تخوف) خائفين من العذاب منتظرين له ، أو على تنقص في اموالهم وأنفسهم شيئا فشيئا . وقوله (فان ربكم لرؤف رحيم) أي حيث لم يسلط عليكم شيئا من هذا

وقوله (أولم يروا) الخ يلفتنا الى آياته في الظل ونعمته علينا به فترى للجبال والاشجار والحيوان ظلا في أول النهار يمتد الى المغرب ، ثم يتناقص شيئا فشيئا الى أن يأتي وقت الزوال ثم يأخذ في التحول الى المشرق ولا يزال يزداد حتى تغرب الشمس ، ثم يغمر ظل الارض جميع الناحية التي غابت فيها الشمس — فالظل آية من آيات الله في نظامه وتسخير الله له ، ونعمة من نعمه على الخلق يقيهم به حر الشمس ويمده عليهم ويقبضه شيئا فشيئا . ولو كان ذلك دفعة لفجأ الناس بالحر والبرد (ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا) و (داخرون) صاغرون

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ، نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّـٰرِبِينَ (٦٦) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ، وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ، أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ؟ (٧١) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ؟ (٧٢) النحل

يلفتنا الله تعالى الى بديع صنعه في الانعام وكيف تهضم طعامها وتحوله الى أنواع مختلفة، وكيف خلق الله لنا من بين الدم الذي تعافه النفوس ولا يصلح للغذاء، ومن بين الفرث المنتن الكريه الرائحة لبنا خالصا من أذى الدم والفرث سائغا للشاربين فأي معمل كيمائي حول ذلك الطعام الذي تناولته بهيمة الانعام، من الشجر والزرع

الى اجزاء مختلفة جزء منه يفرز الي الخارج ويصير روثا ، وقسم تمتصه الامعاء ويصير دما تتغذى منه العظام والعضلات والاعصاب، ومن ذلك الدم تتكون السوائل التي يفرزها الجسم كالريق في الفم، وكاللبن الذي يتكون في غدد خاصة ثم يرسله الله الى الضرع فينزل منه . فانظر كيف خلق الله من طعام الانعام عناصر مختلفة وجعل من بين تلك العناصر (لبنا خالصا سائغا للشاربين) ويصح أن تكون البينية على معنى ان الفرث يخرج من الامعاء وهي في مؤخر الجسم ، والدم يجري في الشرايين والاوردة وهي في الجسم كله ، واللبن في الضرع وهو بين الفرث والدم ، فكان اللبن محاط بالفرث والدم، ولا يختلط الفرث باللبن لانه له مكانه، ولا يدخل الدم في اللبن لانه له شرايينه التي لا يفلت منها ، وهي آية من آيات الله . وقوله (سكرا) أي مادة سكرية كالانبذة التي تؤخذ من التمر والزبيب ولم تصل لحد الاسكار ، وهي من نعم الله علينا ولذلك يمتن الله بها ، وتفسيره بالخمر بعيد لان اثمه أكبر من نفعه

وقوله (وأوحى ربك الى النحل) الخ بيان لآية اخرى من آيات الله في حشرة النحل هي إلهامه لها أن تتخذ بيوتا لها في الجبال والشجر والبيوت التي يعرشها الناس ويرفعونها كما ألهمها أن تأكل من جميع الثمرات التي تشتهيها ، فاذا أكلتها سلكت الطرق التي ألهمها الله في عمل العسل ، أو تسلك ما أكلت من الثمرات في مسالكه التي تحيلها فيها إلى عسل، أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الي بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين. و (ذللا) جمع ذلول، وهي حال من السبل لان الله ذللها لها، أو من الضمير الذي يعود إلي النحل ، أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به. وقوله (يخرج من بطونها) الخ بيان للعبرة في النحل كيف ألهمه الله ذلك، وكان من نتيجة ذلك الالهام ذلك الشراب الذي اختلفت ألوانه، وجعل الله فيه الشفاء للناس. فانظر كيف ألهم الله هذه الحشرة التي لا تلقي لها بالا اذا هي مرت بك أن تعمل بيوتا يعجز عنها مهرة المهندسين مع مالديهم من العدد والآلات والادراك والتجارب ، على هيئة مسدسات متساوية الاضلاع ، وكيف اهتدت الي تغطية تلك البيوت بغشاء رقيق حتى لا يصل الهواء الى العسل فيفسده؟ ولو رأيت مملكة النحل وفيها اليعسوب (ام النحل) تحيط بها العمال من النحل وهي أصغرها جثة، والسقاء الذي يمد الكوارة بالماء، والمربي الذي يربي الصغار ، والراعي يجمع غبار الازهار

وعسلها ، والبناء والمعماري والمهندس والجندي والزبال والخدام - لو رأيتهم وهم يحيطون بملكتهم اليعسوب لرأيت نظاما بديعا وملكا عظيما ، فانظر كيف ألهم الله هذا الحيوان الضعيف أن جعل له ملكة مسلطة عليه وقد قسمت عليهن الاعمال فجعلت على نفسها وضع البيض ، تضع في كل ثلاثة أسابيع من ستة آلاف الى اثنتي عشرة بيضة ، وجعلت على الشغالة عندها جميع الاعمال ، والشغالة عندها خناثى النحل التي ليست ذكوراً ولا اناثا ، وعددها يكون في الخلية من عشرين الفا الى ثلاثين فمنها البواب الذي لا يسمح لاجنبي ان يدخل الخلية ، ومنها المنوط بخدمة البيض ، ومنها المنوط بتربية صغار النحل ، ومنها ما يبني الخلايا ، ومنها ما يجني مواد الشمع التي تبنى منها الخلايا ، ومنها ما يجني رحيق الازهار التي تستحيل عسلا تخرجه من فمها لتغذي به صغار النحل متى خرجت من البيض . وكل هذه الطوائف تؤدي ما عهد اليها بنشاط وقوة حسب اوامر الملكة (اليعسوب) وهي أعظمها جثة . ومن عجيب امرها انها تقتل كل ما يقع على نجاسة من رعاياها ، واذا ارادت الحمل ارتفعت في الهواء واختارت ذكرا من غير خليتها ترفعا عما تحت ادارتها ، فان عندها ذكوراً لا شغل لها من خمسمائة الى الف فى الخلية وتبقى فيها الى ان تحمل الملكة وتحبل ، ومتى ظهر حملها قتلت الخناثى هؤلاء الذكور لئلا يضيق المكان و يفنى العسل

وقوله (ومنكم من يرد) الخ يلفتنا الى تطوراتنا من ضعف الى قوة ، ومن قوة إلى ضعف كما قال (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من من بعد قوة ضعفا وشيبة) وقوله (ومنكم) يشير الى أن الرد إلى أرذل العمر الذي يعقبه الخرف وضعف الذاكرة لم يكن عاما لجميع الناس بل هو لطائفة منهم . وتأمل قوله بعد ذلك (ان الله عليم قدير) لتعلم ان هذه الآيات آيات علم الله وقدرته . وقوله (فضل بعضكم) الخ أي قسم بينكم معيشتكم فجعل فيكم الغني والفقير . وقوله (فما الذين فضلوا) الخ يرينا انه إذا كان أغنياؤنا لا يسمحون بأن يردوا رزقهم على مملوكيهم حتى يكونوا مساوين لهم ، فكيف يرضى الله تعالى أن يجعل له شريكا في ملكه من عبيده ومخلوقيه؟ و (حفدة) جمع حافد وهو المسرع في الطاعة ، والمراد البنات ، وقيل اولاد الاولاد ، وقيل الاصهار ، والاولى أن يراد به الاعوان الذين يأتون من قبل الازواج

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ؟ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا، وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ، وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا، وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ، كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣) النحل

رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ، إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ، وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٤) الاسراء

وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ، وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ

ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ، وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) الاسراء

وضع كاد لمقاربة الفعل ، يقال كاد يفعل إذا لم يكن قد فعل ولكنه قاربه . و(يفتنونك) من فتن الصائغ الذهب إذا أذابه بالنار لتميز جيده من رديئه، ثم استعمل في إزالة الشيء عن حده وجهته، أي يصرفونك، والمراد ان أعداء الرسول (ص) حاولوا صرفه عن القرآن ليفتري على الله غيره و بذلك يكون خليلا لهم، ولكنهم لم ينجحوا لان الله ثبته على الحق وشد قلبه عليه ، ولولا ذلك لقارب الركون اليهم، وهي آية من آيات الله في العصمة وتثبيت القلوب ، وأعظم بها من آية ، وانظر الى قوله (لقد كدت تركن اليهم) ولم يقل لركنت اليهم ، ليرينا مقدار ما في نفس الرسول (ص) من محبة للحق وبغض للباطل من شأنهما أن يحولا بينه وبين ما يريدونه، ثم انظر إلى قوله (شيئا قليلا) لترى قيمة ذلك الركون الذي كان معرضا له لولا تثبيت الله تعالى اياه ، فالذي كان من المشركين محاولات من شأنها أن تقربهم من فتنته ، والذي كان من الله تثبيته وعصمته له ، ولولا ذلك التثبيت لقارب أن يركن اليهم، فهو لم يركن اليهم ولم يقارب الركون . وقوله (إذاً لاذقناك) الخ أي لو فرض انك ركنت الى هؤلاء ركونا قليلا لعذبناك في الحياة وفي الممات عذابا مضاعفا، ثم لا تجد لك من ينصرك علينا، والآية ترينا خطر المعصية إذا كانت من قدوة، وترينا ان ذلك كلام الله تعالى الذي يستوي جميع الناس أمام امره ونهيه ، لا فرق بين كبير وصغير، ولا بين رسول ومرسل اليه، ونظيره (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) (ولو تقول علينا بعض الاقاويل * لاخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من احد عنه حاجزين) ولو كان ذلك من كلام محمد كما زعم بعض الناس لاختار لمخاطبته لهجة اخف، وأسلوبا ألين، وقوله (ليستفزونك) يزعجونك بعداوتك ومكرهم. و(خلافك) بعدك . وقوله (سنة من قد أرسلنا) يريك ان تنكيل الله بالعصاة ونصره لرسله وأنصار رسله سنة لا تتخلف

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ؟ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ؟ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ، لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ، وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا وَٱرْعَوْا أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلنُّهَىٰ (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥) طه

قوله (كل شيء) ثاني مفعولي أعطى ، والاول هو (خلقه) أي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه و يرتفقون به ، او مفعول اول ، و(خلقه) مفعول ثان، أي اعطى كل شيء صورته وقدره الذي يطابق المنفعة المنوطة به . وقوله (ثم هدى) أي عرفه كيف يرتفق بما أعطاه ، وكيف يتوصل اليه، سواء كانت الهداية من طريق الفطرة أم من طريق العقل ؟ وتأمل كيف حذف القرآن متعلق الهداية ليشمل اللفظ بعمومه هداية المخلوق والهداية اليه . ولله ما أجمع هذه الجملة على اختصار لفظها ، وما أبين معناها، وما أدلها على قدرة الله تعالى وعظمته وحكمته ، ولو نظر الانسان في هذا الكون : سمائه وأرضه، ونباته وحيوانه ، و يابسه ومائه، لايقن ان الله تعالى أعطى كل شيء من خليقته ما يتطلبه في حياته ، وما يحتاجه لاداء وظيفته (ثم هدى) وهي كقول الله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) فخلق الرحمن يشبه بعضه بعضا في الكمال والاتقان واستيفائه ما يتطلب، وليس المعنى أن لا تفاوت فيه أصلا، والا فبعضه علوي و بعضه سفلي ، والبعض نوراني والبعض ظلماني ، والبعض مادي والبعض الآخر روحي ، بل المعنى أن لا تفاوت فيه من حيث الكمال، فهو متشابه في كماله وقيامه بوظيفته ، فضوء النهار كامل فيه ، وظلمة الليل كامل في الليل ما دام النهار قد أعده الله

المعاش، والليل أعده الله لنسكن فيه، والعقل في الانسان كمال فيه مادام الانسان قد خلقه الله ليسخر له ما في السموات وما في الارض، ولا يتم له هذا التسخير بدون العقل وسلبه العقل من البهائم كمال فيها ما دامت قد خلقت لتكون ذلولا للانسان مسخرة له ، وهذا التشابه الذي نراه في خلق الرحمن آية كبرى من آيات وحدته.

أما قوله (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) فتراه جليا واضحا في كثير من خلقه :
أما الكواكب فأعطاها خلقها ثم هداها كيف تسير وكيف تؤدي وظيفتها في هذا الكون فجعل بعضها مضيئا بذاته كالشمس والبعض الآخر مضيئا بواسطة انعكاس أشعة غيره عليه كالقمر ، وجعلها جميعها خاضعة لنظام الجاذبية وبواسطة ذلك النظام الذي وضعه لها تؤدي وظيفتها في هذه الحياة فتسير على النحو الذي رسمه الله لها (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) ثم تأمل بعد ذلك احوال هذه الشمس في انخفاضها وارتفاعها لاقامة هذه الازمنة والفصول وما فيها من المصالح ، ولو كان الزمان كله فصلا واحداً لفاتت مصالح الفصول الباقية ، فلو كان صيفا كله لفاتت منافع الشتاء ، ولو كان شتاء لفاتت منافع الصيف ، وكذلك لو كان ربيعا أو خريفا كله ، ففي الشتاء تغور الحرارة في الاجواف وبطون الارض فتتولد مواد الثمار وغيرها ، وتبرد الظواهر ويستكثف الهواء فيحصل السحاب والمطر الذي به حياة الارض وأهلها، واشتداد ابدان الحيوان واستخلاف ما حللته حرارة الصيف من الابدان، وفي الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيظهر النبات ويتنور الشجر بالزهر ، ويتحرك الحيوان للتناسل ، وفي الصيف يحتد الهواء ويسخن جداً فتنضج الثمار وتنحل فضلات الابدان والاخلاط التي انعقدت في الشتاء ، وتغور البرودة وتهرب الى الاجواف، ولهذا تبرد العيون والآبار، ولا تهضم المعدة الطعام الذي كانت تهضمه في الشتاء من الاطعمة الغليظة لفقد الحرارة التي سكنت في البطون ، فاذا جاء الخريف اعتدل الزمان وصفا الهواء، وقد جعله الله برزخا بين سموم الصيف وبرد الشتاء ، حتى لا ينقل الحيوان دفعة من الحر الشديد إلى البرد الشديد فيعظم ضرره . ثم تأمل كيف جعل الله للشمس والقمر بروجا

ومنازل ينزلانها مرحلة مرحلة لاقامة دولة السنة وبذلك يعلم حساب الاعمار والآجال (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل ، لتعلموا عدد السنين والحساب * ماخلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون) (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ، ولتعلموا عدد السنين والحساب)

ثم تأمل حكمة الله تعالى في انارة القمر والكواكب في ظلمة الليل ، فان الله خلق الظلمة ليهدأ الحيوان ويبرد الهواء على الابدان والنبات ، فتعادل حرارة الشمس فيقوم النبات والحيوان ، ولما كان ذلك مقتضى حكمته شاب الليل بشيء من الانوار ، ولم يجعله ظلمة داجية لاحتياج الحيوان إلى شيء من الحركة في الليل لم تتهيأ له بالنهار لضيق النهار أو لشدة الحر اولخوفه بالنهار كما هو حال كثير من الحيوان ، فجعل ضوء القمر بالليل معونة للحيوان على هذه الحركات ، وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض مع نقص ضوئه عن الشمس لئلا يستوي الليل والنهار ، فتفوت حكمة الاختلاف بينهما . فسبحان من أتقن ما صنع ، وأحسن كل شيء خلقه

ثم انظر الى الارض كيف أعطاها خلقها ، فجعلها فراشا ومهاداً وجعل فيها الارزاق والاقوات والمعايش ، وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم ، وأرساها بالجبال الحجرية فجعلها أوتاداً لها لئلا تميد بالناس عند حدوث زلازل او براكين ، وجعلها كفاتا للاحياء تضمهم على ظهرها ، وكفاتا للاموات تضمهم في بطنها (والارض فرشناها فنعم الماهدون) وانظر اليها كيف أعدها الله لانبات الاقوات على اختلاف أنواعها ، والفواكه والثمار والادوية ، وكيف أودع هذه الاجنة في بطون الارض وحملها من لقاح واحد وهو الماء ، ومع ذلك أنبتت الحار والبارد ، والحلو والحامض (وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الاكل ، ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

ثم انظر الى الارض كيف أحكم جوانبها بالجبال الراسيات الشوامخ الصلاب ، وجعلها أصلب أجزاء الارض لئلا تضمحل على تطاول الايام والسنين بترادف الامطار والرياح ، وأودعها من المعادن والمنافع والعيون ما أودعها ، ثم هدى الناس

إلى استخراج المعادن منها ، وألهمهم كيف يصنعون منها النقود والحلي والزينة واللباس والسلاح وآلة المعاش على اختلافها

ثم تأمل حكمة الله في أن يسر لعباده ماهم احوج اليه،فكلما كانوا احوج اليه كان اكثر وأوسع،وكل ما استغنوا عنه كان أقل، واذا توسطت الحاجة توسط وجوده فلم يكن بالعام ولا بالنادر . واعتبر بالتراب والماء والهواء والنار،وتأمل سعة ماخلق الله منها وكثرته،فتأمل سعة الهواء وعمومه لان الحيوان لايمكنه الحياة إلا به، ولولا كثرته في العالم لاختنق من الدخان والبخار .فمن الذي جعل في الارض الحاجات على هذه النسب؟ أليس هو (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى؟) ثم تأمل سعة الارض وامتدادها ولولاه لضاقت عن مساكن الانس والحيوان ومزارعهم ومراعيهم ومنابت ثمارهم وأعشابهم . وفي القفار الخالية والفلوات الفارغة من المعايش مالا يحصيه الا الله . ففيها معايش الوحوش والدواب وعليها ارزاقهم وفيها منازلهم - كالمدن والمساكن للانس - وفيها محالهم ومرعاهم ومصيفهم ومشتاهم .ثم فيها بعد ذلك متسع ومتنفس للناس ومضطرب اذا احتاجوا إلى الانتقال في البدو والاستبدال بالاوطان ولولا سعة الارض لكان أهلها كالمحصورين في أماكنهم لايجدون عنها انتقالا إذا فدحهم مايزعجهم . ولولا كثرة الماء في الاودية والانهار لضاق عن حاجة الناس

ثم انظر حكمة الله في العقاقير والادوية التي يخرجها من الارض وماخص به كل واحد منها من النافع: فجعل هذا يحلل الاورام ، وهذا يسكن الهيجان وهذا يجلب النوم ويعيده إذا اعوزه الانسان، وهذا يخفف البدن إذا وجد الثقل،وهذا يفرح القلب إذا تراكمت عليه الهموم ، وهذا يجلو البلغم ، وهذا يحد البصر ، وهذا يطيب النكهة، وهذا يسكن هيجان الباءة، وهذا يهيجها وهذا يبرد الحرارة ويطفئها، وهذا يقتل البرودة. وهذا يدفع ضرر غيره من الادوية والاغذية، وهذا يقاوم كيفية غيره فيعتدلان ، وهذا يسكن العطش، وهذا يصرف الرياح الغليظة، وهذا يعطي اللون إشراقا ونضارة، وهذا يزيد في اجزاء البدن بالسمن وهذا ينقص منها، وهذا يدبغ المعدة وهذا يجلوها ويغسلها — فمن الذي جعل هذه المنافع والقوى في هذه النباتات والحشائش والحبوب والعروق ؟ ومن الذي أعطى كلا منها خاصيته ؟ ومن الذي هدى العباد بل الحيوان الى تناول ما ينتفع منه وترك ما يضر ؟ ومن الذي فطن لها

الناس والحيوان البهيم لولا انعام (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى؟) ومن الذي ألهم الطير أن يحتقن بماء البحر عند الحصر فيسهل عليه الخارج ؟ وألهم بعض الطير أن يتناول عند الاعتلال شيئا من النبات فتعود اليه صحته؟

حكمة الله فى الشجر

علم الله حاجة الاشجار الى الغذاء الدائم كحاجة الناس، ولما لم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء، جعل أصولها مركوزة في الارض لتمتص الغذاء من أسفل الثرى، فتؤديه إلى أغصانها، فتؤديه الاغصان الى الورق والثمر، كل له شرب معلوم لا يتعداه، يصل اليه في مجاري محكمة فتعطي كل جزء مايحتاج اليه لا تظلمه ولا تزيده. فمن الذي أعطاها هذا؟ ومن الذي هداها اليه ؟ وانظر كيف خلق الله الشجرة على هيئة فسطاط، امتد من كل جانب بالاطناب لئلا يسقط فترى الشجرة كلما انتشرت أعاليها امتدت عروقها في الارض، ولولا ذلك ماتثبت النخيل الباسقات الطوال، والدوح العظام على الرياح العواصف

وتأمل حكمة الله في خلق الورق فانك ترى في الورقة الواحدة من العروق المبثوثة فيها مايبهر الناظر، فمنها الغلاظ في الطول والعرض، ومنها الدقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسيجا دقيقا، ولو كان مما يتولى البشر صنع مثله بأيديهم مافرغوا من ورقة في عام كامل، ولاحتاجوا إلى آلات تعجز قدرتهم عن تحصيلها، فبث الخلاق العليم في ايام قلائل مايملأ الارض سهلها وجبالها بلا آلات ولا معين ولا معالجة، وتأمل الحكمة في تلك العروق التي في الورقة بأسرها لتسقيها وتوصل اليها المادة فتحفظ حياتها ونضارتها كالعروق المبثوثة في الابدان. وتأمل مافي العروق الغلاظ من إمساكها الورق بصلابتها لئلا تتخرق كالاعصاب لبدن الحيوان. ثم تأمل حكمته في جعل الورق زينة للشجر ووقاية لها من الآفات التي تمنع كمالها. ثم انظر حكمته في إبداع العجم والنوى في جوف الثمرة كالعظم لبدن الانسان، يمسك بصلابته رخاوة الثمرة ولولا ذلك لتشدخت وأسرع اليها الفساد، وفيه بقاء المادة وحفظها، فربما تعطلت الشجرة أو نوعها، فخلق فيها مايقوم مقامها وهو النوى الذي يغرس فيعود مثلها،

ثم تأمل حكمته في أنه جعل للثمرة الرقيقة اللطيفة التي يفسدها الهواء والشمس غلافا يحفظها وغشاء يواريها كالرمان والجوز واللوز ، وجعل لما لا يفسد إذا كان بارزا في أول خروجه غشاء يواريه لضعفه ، وقلة صبره على الحر ، فاذا اشتد تفتق عند ذلك الغشاء ووضح للشمس والهواء كطلع النخل ، فسبحان (من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)

الفرق بين حبة الرمان وعنقود العنب

تأمل خلقة الرمان فانك ترى داخل الرمانة شحما متراكما في نواحيها ، وترى الحب فيها مرصوفا رصفا لا يمكن الايدي أن ترصفه ، وترى الحب مقسوما أقساما كل قسم ملفوف بلفائف منسوجة أعجب نسج ، ثم ترى الوعاء الصلب اشتمل على ذلك كله . فتأمل الحكمة في ذلك الشحم الذي يمنع الحب أن يتصل بعضه ببعض حتى لايختلط و يصير حبة واحدة ، وليمده بالغذاء ، ولذلك ترى أصول الحب مركوزة في ذلك الشحم ، بخلاف حب العنب ، فانه جعل لكل حبة مجرى تشرب منه فلا تشرب حق اختها ، بل مجرى الغذاء في ذلك العرق مجرى واحد ثم ينقسم في مجاري الحبوب كلها

ثم تأمل ذلك النماء الذي وضعه الله في الزرع حتى صارت الحبة الواحدة ربما أنبتت سبعمائة حبة ، ولو أنبتت حبة واحدة مثلها ما كان في الغلة متسع لما يكفي الناس ويقوت الزارع إلى إدراك زرعه ، وكذلك ثمار الاشجار والنخيل حتى لا تبطل المادة ولا تنقص ، ثم تأمل حكمة الله في الحبوب كالبر والشعير كيف يخرج حبها مدرجا في قشور على رؤسها مثل الاسنة حتى لا يتمكن جند الطير من إفسادها

اليقطين

تأمل حكمة الله في اليقطين والبطيخ ، لما اقتضت حكمة الله أن يكون حمله ثماراً كباراً جعل نباته منبسطا على الارض ، ولو انتصب قائما لضعفت قوته عن حمل هذه الثمار ، فقضت حكمة الله أن تحمله عنه الارض ، فترى العرق الضعيف منبسطا على الارض وثماره مبثوثة حواليه كحيوان قد اكتنفها اجراؤها فهي ترضعهم ، ولما كان

شجر اللوبيا والباذنجان والباقلاء مما يقوى على حمل ثمرته أنبته الله منتصبا قائما على ساقه
ثم تأمل حكمة الله في موافاة أصناف الفواكه والثمار حسب الوقت المشاكل لها كموافاة الماء للظمآن ، فلو كان نبات الصيف يوافي الناس في الشتاء لصادف كراهية واستثقالا بوروده مع ما فيه من المضرة للابدان والاذى ، وكذلك لو وافى ما في ربيعها في الخريف ، أو ما في خريفها في الربيع ، لم يقع من النفوس ذلك الموقع ، وما استلذته ذلك الاستلذاذ ، ولذا تجد المتأخر منها عن وقته مملول الطعم

تربية الثمرة في النخلة

تأمل حكمة الله في ذلك فانك ترى ان النخلة تجذب مارق وماراق من خلاصة العناصر الارضية لتغذي به أجزاءها ، فيرتفع ذلك الغذاء فيغذي جذع النخلة بما غلظ منه ، اما خلاصته فتذهب صاعدة إلى الجريد فيتغذى بها ويبقى ماهو ألطف من تلك الخلاصة فيرتفع الى القنوان ، فيتغذى القنو بتلك اللطائف ، ثم مارق وراق من ذلك يرتفع الى الشماريخ فتغذى به ، وترتفع الخلاصة الى الشجرة فتقابلها في أولها تلك التي على فمها المسماة بالقمع ، وذلك القمع مصفاة تصفي الغذاء وتأخذ ألطفه وتوصله إلى جرم الثمرة فيؤخذ ماغلظ منها فيصير نواة ، وما لطف يكون جرم الثمرة الحلو اللذيذ ، ثم جعل هناك منسوج رقيق فاصل بين النواة والمادة الحلوة لئلا تصل المرارة من النواة إلى ما فوقها فتذهب بالحلاوة ، وجعل في شق النواة ذلك الفتيل الطويل لايصال الغذاء لسائر أجزاء الثمرة . فتأمل كيف صفي الغذاء سبع مرات حتى وصل الى ما يأكله الانسان من التمر والرطب (فتبارك الله أحسن الخالقين)

الحيوان

تأمل آية الله في الحيوان وكيف أعطاه خلقه ، ثم هداه لما سخر له ، فانك ترى بهيمة الانعام أعطاها السمع والبصر ليتم تناولها لمصالحها ، ثم سلبها العقول على كبر اجسامها ليتم تسخير الانسان اياها فيصرفها حيث شاء ، ولو أعطيت العقول لامتنعت من طاعته ولم تكن مسخرة له (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا

أنعامافهم لهاما لكون؟*وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) ثم انظر حكمة الله في أن جعل لكل حيوان ما يناسبه من آلات البطش : فجعل للانسان المهيأ للصناعات كالبناء والخياطة والكتابة كفا مستديرا منبسطا وأصابع بها يتمكن من القبض والبسط ،والطي والنشر، والجمع والتفريق، وضم الشيء إلى مثله ، وجعل للحيوان الذي غذاؤه فريسته كالسباع أكفا ذات براثن ومخالب تصلح للصيد ولا تصلح للصناعة . وجعل للحيوان الذي يتغذى من النبات أظلافا تقيه خشونة الارض إذا جال في طلب المرعى ، ولبعضها حوافر مقعرة كأخمص القدم لتنطبق على الارض وتتهيأ للركوب والحمولة، ولم يخلق لها براثن ولا انيابا لان غذاءها لا يحتاج الى ذلك . ثم تأمل حكمة الله في خلقة الحيوان الذي يأكل اللحم من البهائم كيف جعلت له اسنان حداد وبراثن شداد وأشداق مهروتة وأفواه واسعة ،وأعيذت بأسلحة وأدوات تصلح للصيد والاكل ، ولذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير حداد ومخالب كالكلاليب

ثم تأمل ذوات الاربع من الحيوان كيف تتبع أمهاتها مستقلة بنفسها بدون حمل ولا تربية كما يحتاج اليه أولاد الانس لانها لم يكن عند أمهاتها من الملاطفة والرفق ما عند امهات البشر ، ولذلك نرى أفراخ كثير من الطير كالدجاج والدراج والفتخ يدرج و يلقط حين يخرج من البيض ،وما كان فيها ضعيف النهوض كفراخ الحمام اعطى سبحانه امهاتها من العطف ما تمج به الطعم في أفواه الفرخ من حواصلها ،ولا تزال كذلك حتى ينهض الفرخ و يستقل بنفسه ، و يسترزق لنفسه ، فيقولان له بلسان يفهمه : اتخذ لك وكرا وقوتا فلا وكر لك عندنا ولا قوت ، فمن الذي وضع الرحمة في الطيور على أفراخها الصغيرة ثم سلبها إياها عند استغنائها ؟ أيكون ذلك بلا مدبر حكيم ؟

ثم تأمل الحكمة البالغة في جعل ظهور الدواب مبسوطة كسقف على عمد القوائم لتتهيأ ركوبها وتستقر الحمولة عليها ثم خولف هذا في الابل فجعلت ظهورها مسنمة معقودة كالقبو لما خصت به من فضل القوة وعظم ما تحمل . والاقباء تحمل اكثر مما تحمل السقوف . وتأمل كيف لما طول قوائم البعير طول عنقه موازنا للحمل على ظهره إذا استقل به ولذلك تراه يمد عنقه اذا استقل بالحمل كأنه يوازنه موازنة.

ثم تأمل كيف كسيت أجسام الحيوان البهيمي هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف وكسيت الطيور الريش وكسي بعض الدواب من الجلد ما هو غاية في الصلابة كالسلحفاة و بعضها من الريش ما هو كالاسنة . كل ذلك بحسب حاجتها الى الوقاية من الحر والبرد والعدو ، فلأنها لا تستطيع اتخاذ ملابس ولا آلات حرب أعطيت ملابس وكسوة لا تفارقها وآلات وأسلحة تدفع بها عن نفسها ، ولما عدمت الاحذية والنعال جعل الله لها أظلافا وخفافا وحوافر ، وخص الفرس والبغل والحمار بالحوافر لانها خلقت للركض والجري ، فللانسان عقله وحيلته وصناعته منها يتخذ لباسه في الصيف والشتاء والحرب والسلم ، وللحيوان ما وهبه الله من لباس دائم ، وسلاح مستمر ، ونعل من خلقته

ثم تأمل شفر الفيل الذي يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء لما عدم العنق أخلف عليه مكانه الخرطوم الطويل وجعل قادرا على سدله ورفعه وثنيه والتصرف به كيف شاء وجعل وعاء اجوف لين الملمس يتناول به حاجته ويحبس فيه ما يريد ، ويكيد به إذا شاء ، ويعطي ويتناول إذا أراد — فسل المعطل والجاحد من الذي عوضه مكان العضو الذي منعه ما يقوم مقامه غير الرؤف الرحيم بخلقه ، المتكفل بمصالحهم اللطيف بهم ؟ فان قلت فما باله لم يخلقه ذا عنق كسائر الانعام ؟ قيل والله أعلم لان رأسه وأذنيه أمر هائل ، وحمل ثقيل ، فلو كان ذا عنق لانهدت رقبته بثقله ووهنت بحمله ، فجعل رأسه ملصقا بجسمه لئلا يناله منه شيء من الثقل ، وخلق له مكان العنق هذا المشفر الطويل ، ولما طالت عنق البعير صغر رأسه . فسبحان من فاتت حكمه عد العادين وحصر الحاصرين

وتأمل خلق الزرافة : رأسها رأس فرس وعنقها عنق بعير وأظلافها أظلاف بقرة وجلدها جلد نمر حتى زعم بعض الناس ان نتاجها من فحول شتى ليرينا الله تعالى ان من خلقه ما هو متشابه الخلقة متناسب الاعضاء ومنها المختلف التركيب والشكل والصورة وليري عباده انه خالق اصناف الحيوان كلها كما يشاء وفي اي لون شاء . ثم تأمل جسم الطائر وخلقته فانه حين قدر أن يكون طائرا في الجو خفف جسمه وأدمج خلقه واقتصر به من القوائم الاربع على اثنتين ومن الاصابع الخمس على اربع ومن مخرج البول والزبل على واحد يجمعها جميعا ثم خلقه ذا جؤجؤ محدود

ليسهل عليه اختراق الهواء كما يجعل صدر السفينة بهذه الهيئة ليشق الماء بسرعة . وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران وكسي جسمه كله الريش ليتداخله الهواء فيحمله . ولما عدم الاسنان وكان يزدرد الحب صحيحا واللحم غريضا جعلت له حوصلة يلين فيها الحب ثم قانصة تقوم مقام الاسنان بما يلتقطه الطائر فيها من الحجارة وقد جعل الله تناسله من طريق البيض لئلا يثقل بالحمل عن الطيران . ثم تأمل الحكمة في هذه الحوصلة وما قدرت له فان في مسلك الطعام الى القانصة ضيقا لا ينفذ فيه الطعام الا قليلا فلو كان الطائر لا يلتقط حبة ثانية حتى تصل الاولى الى جوفه لطال ذلك عليه فمتى كان يستوفي طعامه؟ وانما يختلسه اختلاسا لشدة الحذر فجعلت له الحوصلة كالمخلاة ليجمع فيها ما ازدرد من الطعم ثم ينقله الى القانصة على مهل وفي الحوصلة مزية أخرى يتمكن بها من إعطاء افراخه الحب من قرب

ثم تأمل ما في البيضة من المخ الاصفر الخاثر والماء الابيض الرقيق ، فبعضه ينشأ منه الفرخ وبعضه يغتذي منه الى أن يخرج من البيضة. ثم تأمل هذه الالوان والاصباغ والوشي التى تراها في كثير من الطير كالطاووس ولو خطت بدقيق الاقلام ووشيت بالايدي لم يكن هذا ، فمن أين في الطبيعة المجردة هذا التشكيل والتخطيط والتلوين والصبغ العجيب ، البسيط والمركب ، الذي لو اجتمعت الخليقة على أن يحاكوه لتعذر عليهم؟ فتأمل ريش الطاووس كيف هو فانك تراه كنسج الثوب الرفيع من خيوط رفاع جداً قد ألف بعضها الى بعض كتأليف الخيط الى الخيط بل الشعرة إلى الشعرة ثم ترى النسج إذا مددته ينفتح قليلا قليلا ولا ينشق ليتداخله الهواء فينقل الطائر إذا طار ، فترى في وسط الريشة عموداً غليظا متينا قد نسج عليه ذلك الثوب الذي كهيئة الشعر ليمسكه بصلابته وهو القصبة التي تكون في وسط الريشة وهو مع ذلك أجوف يشتمل على الهواء فيحمل الطائر . فأي طبيعة فيها هذه الحكمة والخبرة واللطف ؟ ثم لو كان ذلك في الطبيعة كما يقولون كانت من أدل الدلائل على قدرة مبدعها ومنشئها وعلمه وحكمته ، فانه لم يكن ذلك لها من نفسها ، بل ممن خلقها وأبدعها

ثم تأمل ذلك الطائر الطويل الساقين ، فانه يرعى أكثر مرعاه في ضحضاح من الماء ، فتراه يركز على ساقيه كأنه دست فوق مركب ، ويتأمل مادب في الماء فيخطو

له خطوا رفيقا حتى يتناوله ، ولو كان قصير القائمتين للصق بطنه بالماء فيثيره ويذعر الصيد منه فيفر ، فجعل له هذان العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه ولو طال ساقاه وقصرت عنقه لم يمكنه تناول شيء من الارض ، وربما أعين بطول المناقير لتزداد مطلبه سهولة عليه وامكانا

ثم تأمل العبرة في السمك وكيفية خلقته بدون قوائم لعدم حاجته إلى المشي اذ كان مسكنه الماء ، ولم يخلق له رئة لان منفعة الرئة التنفس والسمك لم يحتج اليه لانه ينغمس في الماء ، وخلق له عوض القوائم أجنحة شداد يقذف بها من جانبيه كما يقذف صاحب المركب بالمقاذيف ، وكسى جلده قشورا متداخلة لتقيه من الآفات ، وأعين بقوة الشم لان بصره ضعيف والماء يحجبه ، وفي بعض كتب الحيوان ان من فيه الى صماخه منافذ ، فهو يصب الماء فيها بفيه ويرسله من صماخيه فيتروح بذلك كما يأخذ الحيوان النسيم البارد بأنفه ، فان الماء للحيوان البحري كالهواء للحيوان البري ، فهما بحران أحدهما ألطف من الآخر : بحر هواء يسبح فيه حيوان البر ، وبحر ماء يسبح فيه حيوان البحر ، فلو فارق كل من الصنفين بحره الى الآخر مات . وتأمل كيف جعل الله له كيسا للهواء إذا شاء أن يعلو تركه فامتلا هواء واذا شاء أن ينزل ضغطه . فسبحان من لا يحصي العادون آياته

الانسان

وكما اعطى الله النبات خلقه وأعطى الحيوان الأعجم خلقه ، أعطى الانسان خلقه ، ووهبه ما يمكنه من القيام بوظيفته ، ومن الذي دبره بألطف التدبير وهو جنين في بطن امه في موضع لا يد تناله ولا بصر يدركه ولا حيلة له في التماس الغذاء؟ ومن الذي أجرى اليه من دم امه ما يغذوه كما يغذو الماء النبات؟ حتى إذا كمل خلقك وقوي اديمك على مباشرة الهواء وبصرك على ملاقاة الضياء ، وعظامك على مباشرة الايدي ، والتقلب في الغبراء هاج الطلق بأمك فركضك الرحم ركضة من مكانك كأنه لم يضمك قط ، فيا بعد ما بين ذلك القبول حين وضعت نطفة ، وبين هذا الدفع والطرد ، فمن الذي فتح لك بابه حتى ولجته ، ثم ضمه عليك حتى حفظت وكملت ، ثم فتح لك ذلك الباب حتى خرجت منه كلمح البصر لم يخنقك ضيقه ، ولم يحبسك صعوبة

طريقك فيه ؟ فمن الذي أوحى اليه أن يتضايق عليك وأنت نطفة حتى لا تفسد ه وأوحى اليه أن يتسع لك حتى تخرج منه سليما ؟ ومن الذي حول ذلك الدم الذي كنت تتغذى به في بطن امك إلى لبن تحمله في خزانتين على صدرها ؟ ومن الذي رققه وصفاه ، وأطاب طعمه وحسن لونه وأحكم طبخه أعدل إحكام ؟ لا بالحار المؤذي ولا بالبارد الردي، ، ولا المر ولا المالح ، ولا الكريه الرائحة ، جمع لك فيه بين الشراب والغذاء ، ومن الذي جعل الثدي المعلق كالاداوة قد تدلى اليك؟ وجعل فى رأسه حلمة بمقدار صغر فمك ، ثم ثقب لك فى رأسها ثقبا لطيفا لم يوسعه فتختنق باللبن ، ولم يضيقه فتمصه بكلفة ، حتى إذا قوي بدنك واتسعت أمعاؤك واحتجت إلى غذاء يشتد به عظمك ويقوى عليه لحمك وضع فى فيك آلة القطع والطحن فمن الذي حبسها عنك أيام رضاعك رحمة بأمك وأعطاكها أيام أكلك رحمة بك ؟

ثم انظر كيف أخرجك من بطن امك لا تعلم شيئا وذلك من رحمته بك وجعل العقل والفهم يتنقل فيك بالتدريج شيئا فشيئا ، واعتبر ذلك بالطفل إذا سبي صغيرا من بلده ومن بين ابويه ولا عقل له فانه لا يؤلمه ذلك وكلما كان أقرب إلى العقل كان أشق وأصعب. ثم لو ولدت عاقلا كحالك فى كبرك تنغصت عليك حياتك لانك ترى نفسك رضيعا معصبا بالخرق مربطا بالقمط عاجزا عما يحاوله الكبير ثم لم يكن يوجد لك من اللطافة والوقع في القلب ما يوجد للمولود الطفل بل يكون أنكد خلق الله وأثقلهم فكان دخولك هذا العالم وأنت غبي لا تعقل شيئا ولا تعلم ما فيه اهله محض الحكمة والرحمة بك فتلتقي الاشياء بذهن ضعيف ثم يتزايد فيك العقل والمعرفة حتى تألف الاشياء وتتمرن عليها . فمن هذا الذي هو قيم عليك بالمرصاد ويوافيك بكل شيء من المنافع في وقت حاجتك لا يقدمها عن وقتها ولا يؤخرها عنه ؟

ثم اعطاك الاظفار وقت حاجتك اليها لتعين الاصابع وتقويها فان اكثر العمل برءوس الاصابع مع ما فيها من منفعة حك الجسم وكشط الاذى . ثم جملك بالشعر زينة ووقاية من الحر والبرد وجمل وجه الذكر باللحية وقارا وهيبة وفصلا له عن سن الصبا وفرقا بينه وبين الاناث وبقيت الانثى على حالها لما خلقت له من استمتاع الذكر بها فبقي وجهها على حالته ونضارته ليكون اهيج للشهوة ، وأكمل اللذة الاستمتاع فالماء واحد والجوهر واحد والوعاء واحد فمن الذي اعطي الذكر الذكورية والانثى الانوثية؟

ثم ارجع إلى نفسك وتأمل أعضاءك وتقدير كل عضو منها للمنفعة المهيأ لها فاليدان للعلاج والبطش والأخذ والعطاء والمحاربة والدفع. والرجلان لحمل البدن والسعي والركوب وانتصاب القامة. والعينان للاهتداء والجمال والزينة ورؤية عجائب السموات والارض، والفم للغذاء والكلام والجمال، والانف للنفس واخراج فضلات الدماغ وزينة للوجه. واللسان للبيان والترجمة عنك. والاذنان صاحبتا الاخبار تؤديانها اليك، واللسان يبلغ عنك، والمعدة خزانة يستقر فيها الغذاء فتنضجه وتطبخه طبخا آخر غير الذي توليته من خارج لا تستطيعه أنت ولا تقدر عليه، فهو يوقد عليه ناراً تذيب الحصى وهي في ألطف موضع منك لا تحرقك. من الذي صنع ذلك كله؟ ومن الذي وزع صفو الغذاء على كل عضو وعظم، وعصب ولحم، وشعر وظفر، وجعل المنازل والابواب لادخال ما ينفعك واخراج ما يضرك، وجعل الخزائن المختلفة تحفظ مادة حياتك؟ فهذه خزانة للطعام، وهذه خزانة للحرارة، وهذه خزائن للسوداء وهذه خزائن للصفراء، فمن ذا الذي تولى ذلك كله وأحكمه ودبره وقدره أحسن تقدير؟ ثم انظر إلى الحواس التي منها تشرف على الاشياء كيف جعلها الله في الرأس كالمصابيح فوق المنارة لتتمكن بها من مطالعة الاشياء، ولم تجعل في الاعضاء التي تمتهن كاليدين والرجلين فتتعرض للآفات، ولم يجعلها في وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر عليك التلفت والاطلاع على الاشياء، فكان الرأس صومعتها. ثم تأمل كيف جعل الحواس خمسا في مقابلة المحسوسات الخمس: فجعل البصر في مقابلة المبصرات، والسمع في مقابلة الاصوات، والشم في مقابلة أنواع الروائح، والذوق في مقابلة الكيفيات المذوقات، واللمس في مقابلة الملموسات، ولو كان في المحسوسات شيء غير هذا لاعطاك له حاسة سادسة، ولما كان ماعداها يدرك بالباطن أعطاك الحواس الباطنة

وتأمل كيف أعينت هذه الحواس بمخلوقات منفصلة عنها: فأعينت حاسة البصر بالضياء ولولاه لم يتمتع الناظر ببصره، وأعينت حاسة السمع بالهواء يحمل الاصوات في الجو ثم يلقيها إلى الاذن فتحويها ثم تنقلها إلى القوة السامعة، وأعينت حاسة الشم بالنسيم اللطيف، يحمل الرائحة ثم يؤديها اليها فتدركها، وأعينت حاسة الذوق بالريق المتخلل في الفم، ولذا لم يكن له طعم لئلا يحيل تلك الطعوم إلى طعمه ولا يحصل به مقصوده، وأعينت حاسة اللمس بقوة جعلها الله فيها تدرك بها الملموسات، ولم تحتج إلى شيء من

خارج لانها تدركها بالاجتماع والملامسة

ثم تأمل ذلك الصوت الخارج من الحلق كيف هيأ له آلاته وأعد له معداته، تجد الحكمة الباهرة في هواء ساذج يخرج من الجوف، فيسلك في انبوبة الحنجرة حتى ينتهي إلى الحلق واللسان، والشفتين والاسنان، فيسمع له مقاطع ونهايات وأجراس، يسمع له عند كل مقطع ونهاية جرس مبين منفصل عن الآخر يحدث بسببه الحرف وينشأ عن ذلك الاختلاف تسعة وعشرون حرفا يدور عليها الكلام كله، أمره ونهيه، وخبره واستخباره نظمه ونثره فمنه المضحك والمبكي، والمؤيس والمطمع والمحزن والقابض. أنشأ الله ذلك كله من هواء ساذج يخرج من الصدر، فترى اللسان جارحة واحدة وكذلك الحلق والاضراس والشفتان، والكلام مختلف متفاوت أعظم تفاوت. فالآية في ذلك كالآية في الارض، تسقى بماء واحد ويفضل الله بعضها على بعض في الاكل. وقد شبه أصحاب التشريح مخرج الصوت بالمزمار والرئة بالزق الذي ينفخ فيه من تحته ليدخل الريح فيه، والعضلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت من الحنجرة بالاكف التي تقبض على الزق حتى يخرج الهواء في القصب والشفتين والاسنان التي تصوغ الصوت حروفا ونغما بالاصابع التي تختلف على المزمار فتصوغه ألحانا، والمقاطع التي ينتهي اليها الصوت بالانخاش التي في القصبة حتى قيل ان المزمار انما اتخذ على مثال ذلك من الانسان

ثم تأمل اختلاف هذه النغمات وتباين هذه الاصوات مع تشابه الحناجر والحلوق والالسنة والشفاه والاسنان (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين) وتأمل كيف أودع هذه الآلات مآرب أخرى ففي الحنجرة مسلك النسيم الذي يروح على الفؤاد بهذا النفس الدائم، وفي اللسان التمييز بين الطعوم ومعونة على اساغة الطعام حتى يسهل مسلكه في الحلق. وفي الاسنان تقطيع الطعام واسناد الشفتين وامساكهما عن الاسترخاء وتشويه الصورة وغطاء للفم يفتحهما متى شاء ويغلقهما متى شاء

وتأمل الدماغ كيف أعطاه الله خلقه؟ خلقه بحجب وأغشية بعضها فوق بعض لتصونه عن الاعراض، وتحفظه عن الاضطراب، ثم أطبقت عليه الجمجمة بمنزلة الخودة وبيضة الحديد لتقيه حد الصدمة التي تصل اليه فتتلقاها تلك البيضة عنه كالخودة على رأس المحارب. ثم جللت تلك الجمجمة بالجلد الذي هو فروة الرأس

يستر العظم من البروز للمؤذيات ثم كسيت الفروة حلة من الشعر الوافر وقاية لها وسترا من الحر والبرد والاذى . فمن الذي حصن الدماغ هذا التحصين وقدره هذا التقدير وجعله خزانة أودع فيها من المنافع والقوى ما أودع ، ثم أحكم سد تلك الخزانة وحصنها وجعلها معدن الحواس والادراك ؟ ومن الذي جعل الاجفان كالغشاء والاشفار كالاشراج والاهداب كالرفوف عليها إذا فتحت؟ ومن الذي ركب طبقاتها المختلفة وجعل لكل طبقة منفعة وفائدة لو اختلت طبقة منها لاختل البصر؟ ومن الذي شقهما في الوجه أحسن شق وجعلهما مرآة للقلب وحارسا للبدن وراشدا يرسله كالجند في مهامه فلا يتعب ولا يعي على كثرة ظعنه وطول سفره؟ ومن الذي أودع النور الباصر فيه في قدر جرم العدسة فيرى فيه السموات والارض والجبال والشمس والقمر والبحار والعجائب من داخل طبقاته الكثيرة؟ ومن الذي جعلهما في أعلى الوجه كالحارس على الرابية العالية؟ ومن الذي حجب الملك في الصدر وأجلسه هناك على كرسي المملكة وأقام جند الجوارح في خدمته؟ فمنها رسوله ومنها بريده ومنها ترجمانه، ومنها أعوانه ، فلو شاهدته في محل ملكه والمراسيم صادرة عنه وواردة، والعساكر في خدمته، والبرد تتردد بينه وبين رعيته، لرأيت له شأنا عجيبا (وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون)

وقل لي بربك من الذي جعل في الحلق منفذاً للصوت والنفس ، وآخر للطعام والشراب ، وجعل بينهما حاجزا؟ ومن الذي جعل لمجرى النفس صمامة تغطيه كلما ابتلع الانسان طعاما أو شرابا؟ ولو وصل الطعام من منفذ النفس إلى الرئة لهلك الحيوان . ومن الذي جعل الرئة مروحة للقلب لا تني ولا تفتر ؟ ومن جعل المنافذ لفضلات الغذاء وجعل لها اشراجا تقبضها لكيلا تجري دائما فتفسد على الانسان عيشه، وتمنع الناس من مجالسة بعضهم بعضا؟ ومن جعل المعدة كأشد مايكون من العصب لانها هيئت لطبخ الاطعمة؟ فلو كانت لحما غضا لا نطبخت ، ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لانها هيئت لقبول الصفو اللطيف من الغذاء ، وعمل هو ألطف من عمل المعدة؟ ومن جعل داخل الاذن مستويا كهيئة الكوكب ليطرد فيه الصوت فينتهي إلى السمع الداخل، وقد انكسرت حدة الهواء؟ ومن جعل ماء العينين ملحا يحفظها من الذوبان ؟ وماء الاذنين مرا يحفظها من الذباب والهوام؟ وماء الفم عذبا يدرك به طعوم الاشياء فلا

يخالطها طعم غيرها؟ ومن الذي جعل باب الخلاء في الانسان في أستر موضع؟ كما ان البناء الحكيم يجعل موضع التخلي في أستر موضع في الدار ومن جعل الاسنان حدادا لقطع الطعام؟ والاضراس عراضا لرضه وطحنه؟ ومن سلب الشعور والاظافر التي في الآدمي الاحساس لانها قد تطول وتدعو الحاجة إلى أخذها ولو أعطاها الحس لآلمته، ومن جعل باطن الكف غير قابل لانبات الشعر لانه لو أشعر لتعذر على الانسان صحة اللمس، ولشق عليه كثير من الاعمال التي تباشر بالكف

ثم تأمل حكمة الله في حفظ الانسان ونسيانه، ولولا الحفظ لدخل عليه الخلل في أموره كلها، ولم يعرف ماله وما عليه، ولا ما أخذ ولا ما أعطى، ولا ما سمع ولا ما رأى، ولا ذكر من أحسن اليه ومن أساء اليه، ومن أعجب النعم عليه نعمة النسيان، فلولا النسيان ما سلا شيئا ولا انقضت له حسرة، ولا تعزى عن مصيبة، ولا مات له حزن، ولا بطل له حقد، ولا تمتع بشيء من الدنيا مع تذكر الآفات، ولا رجا غفلة عدو ولا نعمة من حاسد. فتأمل حكمة الله في الحفظ والنسيان مع اختلافهما وتضادهما وجعله في كل متهما ضربا من المصلحة

وتأمل كيف أعطى الله الخلق من علوم معاشهم ودنياهم بقدر حاجاتهم كعلم الطب والحساب والزراعة وضروب الصنائع واستنباط المياه وعقد الابنية، وصنعة السفن واستخراج المعادن وتهيئتها لما يراد بها، وتركيب الادوية وصنعة الاطعمة، والحيل في صيد الوحش والطير ودواب الماء، والتصرف في وجوه التجارات، ومعرفة وجوه المكاسب وغير ذلك، ثم منعهم علم ما سوى ذلك مما ليس في شأنهم ولا فيه مصلحة لهم، ولا نشأتهم قابلة له كعلم الغيب وعلم ما كان وكل ما يكون، والعلم بعدد القطر وأمواج البحر، وذرات الرمال ومساقط الاوراق، وعدد الكواكب ومقاديرها، وعلم ما فوق السموات وما تحت الثرى، وما في لجج البحار وأقطار العالم، وما يكنه الناس في صدورهم، وما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد، إلى سائر ما عزب عنهم علمه فمن تكلف معرفة ذلك فقد ظلم نفسه، وبخس من التوفيق حظه

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ، أَفَلَا يُؤْمِنُونَ؟ (٣٠)

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ، وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣) الانبياء

(الرتق) الضم والالتحام (الفتق) الفصل بين المتصلين (الفلك) مجرى الكواكب. والمراد من الرؤية هنا العلم والادراك. و (تميد) تضطرب (فجاجا) جمع فج وهو الطريق الواسع

والآية تشير الى طورين تعاقبا: المادة الاولى التي تكونت منها السموات والارض، والى ما أودع في كل منهما من آيات ونعم من شأنها أن تدفع الانسان إلى الاعتراف بقدرة الصانع، والقيام بواجب الانعام

أما الطوران فهما طور الاتصال فيما بين أجزاء المادة، وطور الانفصال لتلك الاجزاء وتفرع العالم منها إلى علوي، مظهره السموات وما حوت من أفلاك وكواكب، وسفلي مظهره الارض وما اشتملت عليه من جبال راسية، وفجاج واسعة، ومياه جارية، وقد أشار القرآن بقوله في سورة السجدة (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) إلى أن تلك المادة التي تولدت منها أنواع المخلوقات المتباينة في خصائصها ومنافعها ومواقعها هي مادة الدخان (الماء) الذي قال فيه (وكان عرشه على الماء) والذي يعرفه علماء الكون باسم (السديم) كما أشار في السورة نفسها إلى أن الجزء السفلي الذي تفتقت عنه المادة الاولى لم يصر أرضا تحمل اليابس والماء وسائر أجناس الاحياء من نبات وحيوان إلا بعد أن مرت به (في أربعة أيام) اطوار متقاربة كل منها معد لما بعده، والى أن الجزء العلوي كذلك لم يصر سماء فيها الكواكب والافلاك إلا بعد أن مر به (في يومين) اقرأ قوله تعالى (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا، ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها، قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات

في يومين وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم)

هذا واذا تنبهنا إلى جزئيات العالم السفلي وكيف تتولد أدركنا انها تخضع في الخلق والتكوين لقانون الرتق والفتق التي تشير اليه هذه الآية ، وانه ما من مخلوق الا كان ذا مادة واحدة متصلة ، و بتقدير العزيز العليم تفتقت تلك المادة بما اودع فيها من ناموس التطور إلى أجزاء متباينة ، لكل جزء مهمته وغناؤه في تكون المخلوق ، وقيامه بما قدر له من نفع وفائدة : انظر إلى النطفة المنوية في وحدتها الاولى وكيف تفتق عنها العظم واللحم والدم ، والى البذرة النباتية كيف انفصل عنها الجذر والساق ، ثم كيف تشعب الساق وتكونت من أغصانه الاوراق ثم الثمار ، انظر إلى أمثال هذه الجزئيات لترى دلائل الصنع الحكيم وقدرة الخالق المهيمن الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى

ولا ريب ان ادراك الرتق والفتق في مادة تلك الجزئيات التي نشاهدها لا يتوقف على اكثر من لفت النظر إلى كيفية توالدها ، واعمال الفكر فيما يشاهد من مظاهر التطور ، ولقد كان في ذلك سبيل واضح لادراك كيف تكونت السموات والارض ، وكيف تفتقت عنهما مادة واحدة هي الماء ؟ لهذا أنحى سبحانه باللائمة الشديدة على هؤلاء الذين أهملوا عقولهم وكفروا بنعمتها عليهم فلم يستعملوها في إدراك ذلك الصنع الدقيق وراحوا يكفرون بالقادر وآياته

ثم اخذ يلفت النظر إلى ما يتضمنه نظام الخلق والتكوين من معاني العظة والاعتبار الماثلة في توليد المخلوقات الحية المتماسكة من هذه المادة المائية السائلة ، فقال (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ؟) هذا وإذا نظرنا إلى أن الماء مادة النمو والحياة والبقاء في جزئيات هذا العالم والى عمومه وكثرته في جميع الاقطار ، علمنا مقدار عظمة النعمة والامتنان المحيطين بالماء

ثم أرشد إلى ما أودع في علوي العالم وسفليه بعد الفتق والانفصال من دلائل القدرة ، ومواطن النعمة التي لا يصح لعاقل أن يعرض عن تدبرها ، والايمان بمبدعها الحكيم القادر . انظر كيف أثبت في الارض جبالا راسيات كانت لها اوتادا تحفظها من الميل والاضطراب ؟ وكيف مهد على سطحها طرقا معبدة للمسير والانتقال من جهة إلى اخرى ، حتى يتيسر لافراد الانسان أن يتصلوا ويتعاونوا على ما ينفعهم ويفيدهم في هذه الحياة ؟ انظر كيف رفع السماء بغير عمد وجعل منها سقفا محيطا بالارض محفوظا من التدهور والانقلاب ؟ وكيف أودع فيها الشمس والقمر وهما الكتلتان العظيمتان اللتان علق بهما حياة العالم الارضي ؟ أفلا يدلك هذا على ان لها مبدعا حكيما وقادرا عليما اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ؟

قُلْ مَنْ (١) يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ، بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا ، لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣) بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ، أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَٰلِبُونَ؟ (٤٤) الانبياء

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ ، وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٦٥) وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، إِنَّ الْإِنْسَٰنَ لَكَفُورٌ (٦٦) الحج

(سخر) ذلله للانتفاع به، فسخر لنا النبات بهدايتنا إلى طريق إنباته، وسخر البحر لنأكل منه لحما طريا ، ونستخرج منه لؤلؤاً ومرجانا ، ونستخرج من أصدافه من أنواع الحلي والزينة ماشاء الله أن نستخرج، وسخر لنا مافي الارض من معادن كالحديد والنحاس والقصدير والذهب والفضة وما إلى ذلك، وسخر لنا مافي الارض لنستخرج منها الفحم الذي ينتفع به العالم، ويستخرج منه أنواعا شتى، وسخر لنا مافي الارض لنأخذ منها عقاقير الادوية ونزرع فيها الاشجار ، وسخر لنا الجبال كما قال(والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون)وسخر لنا مافي الارض من خيل و بغال وحمير لنركبها ولتكون زينة لنا، وسخر لنا الانعام لنأخذ منها لباسا نتدفأ به، ومنها نأكل، وجعل فيها جمالا وتحمل أثقالنا الى البلاد البعيدة، سخر لنا ذلك كله ونحن عن نعمة الله غافلون ، ولفضله جاحدون

١) انظر شرح الآية في بحث وحدة الله ص ٢٨

وقوله (والفلك تجري في البحر بأمره) وسخر لنا الفلك وعلمنا كيف نصطنعها وندرس نظام الماء وقانون الاثقال لنعرف مقدار ما يحمله الماء، كما علمنا كيف ندرس سنة الله في الهواء الذي يسوق الله به السفن، وطبيعة البحر ومافيه من شعاب وعقبات، وكيف نتوقى هذه الشعاب، وكيف نهتدي بالكواكب التي أودعها في السماء في ظلمات البر والبحر، كل ذلك بتسخير الله وهدايته. وقوله (بأمره) أي أمره لها أن تسير، وهو امر تكويني لا أمر لفظي، ولو شاء لاسكن الريح فوقفت السفن (ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام * إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره)، وقوله (ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا باذنه) اي يمسكها بما وضعه فيها وفي أجزاء العالم من نظام الجاذبية العامة وبذلك النظام الذي وضعه أمسكت السماء من السقوط. وقوله (إلا باذنه) يلفتنا إلى أن نظامه هذا خاضع له ولو شاء أن يغير ذلك النظام لفعل ففي الوقت الذي يريد فيه تخريب العالم يسلب الكواكب جاذبيتها والارض تماسكها والنيران نورها، وهنالك يكون انفطار السماء وتناثر الكواكب، وتسيير الجبال وتكوير الشمس وزلزال الارض وخروج مافيها من دفائن، وذلك هو اليوم الآخر

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧) وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ، وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) المؤمنون

(طرائق) جمع طريقة وهي الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها. وقوله (وما كنا عن الخلق غافلين) أي ان الله خلق هذا الكون وما غفل عنه بخلق السموات وما غفل عن حفظها وامساكها أن تقع على الارض وخلق الكواكب وما أهمل أمرها كيف ولو أهملها لحظة لاختلت الموازنة بأن يسير كوكب في غير مداره او يزل نجم عن سنن سيره. وقوله (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) اي بتقدير منا ونظام نشأ عنه نزول ذلك الماء فسلط الله حرارة الشمس على المحيطات والاودية فبخرت الماء نخف فعلا وبتنوع الرياح تتنوع الامطار وتهطل في أماكن مختلفة وباختلاف طبقات الجو في الحرارة والبرودة، نرى الحرارة تفرق والبرودة تجمع، فعلى هذا النظام نظام الحرارة والبرودة التي جعلها الله بواسطة الشمس والهواء واختلاف الجواء

كان نزول المطر ، وقوله (فأسكناه في الارض) أي جعلناه ثابتا فيها ، فمنه ما في الجبال ، ومنه ما يكون في مجار بباطن الارض يجري من خط الاستواء ، ويمر على معادن مختلفة ، فيتشكل بشكلها ، فمنه النوشادري والكبريتي والملحي ، وهكذا من أنواع المياه ، وهناك مياه بعيدة الغور صافية نقية ، لا تأثير لشيء عليها ، تبعد عشرات الامتار من الارض ، وهو نيل باطني غير النيل الذي على وجه الارض ، ومن عجيب أمر الله أن ذلك النيل الباطني صالح للشرب ، والنيل الظاهر صالح للزراعة ، ولا يصلح للشرب إلا بعد عملية التصفية ، وانظر بعد هذا الامتنان إلى قوله (وانا على ذهاب به لقادرون) أي لو شئنا لغيرنا هذه الاسباب ، فنغير مجرى الشمس عن مدارها فيختل ذلك كله ، فلا مطر ولا ماء ، ولو شئنا لجعلنا الماء كله ملحا بحيث نجعل الملح يصعد مع البخار بطرق أخرى ، أو نضاعف الحرارة على الانهار فيصير الماء كله بخاراً ، أو نفتح في الارض فتحات عظيمة فيغور الماء (أفرأيتم الماء الذي تشربون ؟ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ؟ لو نشاء جعلناه اجاجا ، فلولا تشكرون ؟) (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين ؟)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ (٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ (٤٤) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥) النور

(يزجى) يسوق و (يؤلف) يضم بعضه إلى بعض و (ركاما) متراكما بعضه فوق بعض و (الودق) المطر و (السماء) الغمام وكل ما علاك فهو سماء (من جبال) قطع عظام تشبه الجبال في عظمها وألوانها و (فيها من برد) أي فيها بعض البرد فمن تبعيضية ، ومن الاولى ابتدائية ، والآية تريناسنة الله تعالى في تكوين الامطار، فأولا يسوق السحاب ثم يضم بعضه إلى بعض ، ثم يجعله متراكما بعضه فوق بعض فترى المطر يخرج من خلاله ، وانظر كيف جعل الله في السماء جبالا من الثلج في الهواء التي اشتدت برودتها ، وفي هذه الجبال بعض البرد ، والبرد قطع صغيرة من الثلج آت الى الجبال حينما صادفت جواً حاراً فأخذت الجبال تتفتت بواسطة الحرارة، ثم قبل أن يتم ذوبانها صادفت جواً بارداً فبقيت على ما هي عليه حتى نزلت برداً إلى الارض ، وقوله (يكاد سنا برقه يذهب الابصار) أي يكاد ضوء برقه من شدته يذهب بالابصار ، وقوله (يقلب الله الليل والنهار) أي بالمعاقبة بينهما بأن يزيد أحدهما بما ينقص من الآخر ، و بتغيير أحوالهما نورا وظلمة وحرا و بردا، وقوله (ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار) أي للذين انتفعوا بأبصارهم ، وانظر كيف جعل الذين لم ينتفعوا بأبصارهم هم والعمى سواء، وقوله (والله خلق كل دابة من ماء) بعد أن عرفك سنته في الماء أراك أن كل دابة مركبة من مواد أهمها الماء، ومن عجائب الحيوانات أن من الحيوان ما يتكاثر بالانقسام ، فاذا بلغ أشده انفجر فخرج حيوانات صغيرة تنمو وتتناسل و يموت هو ، ومنها ما يتناسل بالبيض كما يحدث في ذوات الفقرات ، فمنه ما تخرج فيه البيضة من الانثى قبل بلوغ الجنين وتتم حضانتها في الخارج كالطيور و بعض السمك ، ومنها ما تبقى البيضة في الرحم و يتكون الجنين فيه ثم يولد كاملا كالانسان وذوات الاربع من البهائم والوحوش والسباع وما أشبه ذلك ، وهذه الحيوانات على اختلافها مكونة من الماء مختلطا بغيره ممتزجا به متحدا معه ، وهي

اما حيوانات فقرية ذات عظام ودم وهي الانسان وذوات الاربع والطيور والسمك والزواحف كالحيات

واما حيوانات حلقية تركب جسمها من حلقات ، وهي الحشرات كالذباب وأبي دقيق من كل ما له ستة أرجل والعناكب وهي ذوات الثمانية أرجل وما له أكثر من أربعين رجلا ، وقارض الخشب والدود

واما حيوانات قشرية ليس لها عظام ولا دم ولا حلقات تركب منها جلدها، بل جسمها هلامي قد يحفظ في قشر يحيط به كالقوقعة

واما حيوانات شعاعية تظهر على شواطىء البحار كالحيوان المسمى (سمك النجم) هذه أقسام الحيوان وكلها خلقت من الماء ، أي إنه داخل في تركيبها، وأ كثرها يتولد من نطفة ، و بعضها يتولد بالنتوء كما علمت

و (الدابة) حيوان يدب على الارض وقوله (فمنهم من يمشي على بطنه) إشارة إلى الزواحف التي هي من ذوات الفقرات كالحيات (ومنهم من يمشي على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع) كالطيور وذوات الاربع كما تقدم (يخلق الله ما يشاء) مما ذكر وما لم يذكر كذوات الحلق وذوات القشر ، والحيوانات الشعاعية وما يمشي على ستة أرجل ، وما يمشي على ثمانية وعلى اربعين رجلا (ان الله على كل شيء قدير) وهو بقدرته نوع الحياة فجعلها سارية عامة لا يحجبها فقد العظم ولا فقد الدم ولا فقد الحلقات ولا فقد القشر ، وترى الدودة العارية التي لا عظم لها ولا جلد عائشة فرحة

وترى نوع الحشرات وحده كالنحل والذباب والبعوض والناموس والجنادب والخنافس والنمل والجعلان ودودة القز ونحوها أصنافا كثيرة ، وقد وجدوا ان الخنافس وحدها نحو (٨٠ر٠٠٠) الف صنف، ولذلك يقدرون الحشرات المعروفة بنحو (٢٠٠ر٠٠٠) ويتوقعون أن تبلغ بما يكشفونه مليون صنف . ومن عجيب أمر الله في هذه الحشرات ماعلم منها وما لم يعلم انها تمر في دور التكوين منها على ثلاث درجات، فتكون دودة لدنة الملمس تنسل بين التراب أو الاعشاب ، ثم تصير جثة بأصلب القشر يثب وثباً، ثم تصير فراشة ذات أجنحة تتلألأ بالالوان الزاهية، وقد تأكل في دورها الاول التراب فتهضمه ،وتصبح في دورها الثاني لاتهضم إلا الورق الندي، ومنها دود الحرير فهو يكون دوداً فشرنقة ففراشة، ثم تبيض الفراشة بزوراً والبزور تصير دوداً والدود يفرز لعابا ، واللعاب يصير خيوطا وهو الحرير يصنع به غلافا يكمن فيه وهي الشرنقة ،ثم يخرج من الشرنقة فراشا بأجنحة يتزاوج ويبيض ومنه الذباب الاعتيادي فهو يلقي بذورا صغيرة بيضاء تصير دودا أبيض ، وهو الدود الذي يشاهد في اللحم المنتن والجبن والمش، ثم يتحول ذلك الدود إلى جنادب

تدب لا أجنحة لها ، ثم إلى فراش يطير ، ومن ذلك الناموس يضع بذورا في الماء تصير دودا ، وذلك الدود يصير شرنقة وهي تصير ناموسة

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ، وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ، ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦) الفرقان

ألم تنظر إلى صنع ربك وعجائبه كيف مد الظل وراء الارض من الناحية المقابلة للشمس ، وكان ذلك المد بنظام دورة الارض حول الشمس ، و بسببه جعل الارض معتمة ولو كانت الارض شفافة كالهواء والزجاج والماس لم يكن لها ظل يستريح به الناس من حر الشمس وكذلك لو كانت الارض واقفة ما امتد الظل من جهة إلى جهة ولا تحول من مكان إلى مكان فلم تكن رحمة بالناس ولاحترقت الجهة المقابلة للشمس من شدة الحر وهلكت الجهة المظلمة من شدة البرد فلم تصلح لان يعيش فيها الناس ـ فالظل في نفسه نعمة وتنقله من مكان إلى آخر نعمة أخرى ولذلك يقول (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) فانه دائما يكون في الجهة المقابلة للشمس فنظامه تابع لنظامها . وقوله (ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا) يلفتنا إلي رحمته بنا في قبضه الظل وتحويله من مكان إلي آخر وهو تحويله من طريق التدريج ولو كان دفعة لفجأ الناس بالحر فيتألمون

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (٥٣) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤) الفرقان

(مرج) خلاهما متجاورين متلاصقين (هذا عذب فرات) قاطع للعطش (وهذا ملح اجاج) شديد الملوحة لا يصلح للشرب (وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرة الله تعالي (وحجرا محجورا) أي سترا ممنوعا فلا يبغي أحدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب. وقوله (نسبا وصهرا) اي ذا نسب وذا صهر والنسب ما لا يحل نكاحه

والصهر ما يحل نكاحه. والمراد انه خلق من النطفة القريب والبعيد . يمتن الله تعالي علينا بكلا البحرين العذب والملح : أما العذب فالامتنان فيه ظاهر فمنه ينبت الزرع ويعيش الحيوان والانسان ، وأما الملح فهو أصل العذب يرسل عليه أشعة الشمس فتأخذ منه المطر وتدع الملح راسبا في المحيطات . ولما كان أكثر أجزاء الارض الماء قضت حكمة الله أن يجعله ملحا فانه بهذه الملوحة يحفظ ما فيه من جثث الحيوانات المائية من ظهور الفساد ولولا الملح لانتن الماء وفسد الجو ولم تصلح الارض للسكنى فالملوحة في البحر كالملوحة في ماء العين لولاها لانتنت الحدقة

ومن عجب انك ترى المطر ينزل على الارض ويجري ينابيع تحتها، منه العذب ومنه الماء المعدني ولا يختلط أحدهما بالآخر، واذا جلست بجانب البحر الملح وحفرت قليلا في بعض المواضع ألفيت هناك ماء حلواً . فاعجب : ماء حلو تحت سطح البحر مر فوقه، حلو في البخار الطائر منه في الجو ، فالحلو يحيط بالمالح من سائر الجهات ، فلا ماء البحر الملح يختلط بما تحت القاع للمانع الطبيعي ، ولا بما فوقه في الجو لانه هرب منه وترك له ملحه

وترى الانهار كالنيل والفرات ودجلة تصب في البحار كالبحر الابيض المتوسط والخليج الفارسي ونحوها ومع ذلك لايطغى البحر الملح عليها فيجعل ماءها ملحا ، ولا الانهار الصابة في البحر تجعله حلواً ، تلك هي الحواجز التي دبرها الله لحفظ البحرين المتجاورين فلا يبغي أحدهما على الآخر . وقوله في سورة الرحمن (مرج البحرين يلتقيان) إشارة الى التقاء البحرين في النهاية كالتقاء النيل والفرات ودجلة بالمحيطات وصبها فيها

وقوله (فجعله نسبا وصهراً) يلفتنا الى آياته في الانسان الذي خلقه من نطفة وعمر به الارض وسخر له الكون. وقد سبق الكلام على الانسان وخلقه في بحث وجود الله ووحدته مطولا فارجع اليه

اَللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤) الروم

(من ضعف) أي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم، ثم جعل من بعد ضعف قوة إذا أنتم بلغتم الحلم، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة. وقوله (يخلق ما يشاء) أي من الضعف والقوة والشباب والشيبة. وانظر الى قوله في آخر الآية (وهو العليم القدير) لتعرف انها سنن أساسها العلم والقدرة. ولعل في الآية عبرة للجبابرة الذين يظلمون الضعفاء وينسون ماضيهم ومستقبلهم فانهم خلقوا ضعفاء ومصيرهم إلى الضعف.

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ، إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١) فاطر

(رسلا) فمنها رسول الوحي ومنها رسول الموت ومنها رسول المطر وغير ذلك، والملائكة جند من جنود الله مغيب عنا لا نعرف من تفاصيل احوالهم الا ما أخبرنا الله به، وقد عرفنا في هذه الآية انه جعل الملائكة رسلا اصحاب أجنحة فيها الثنائي والثلاثي والرباعي. وانظر كيف مهد لان يخبرنا عن ذلك الخلق العجيب بقوله (فاطر السموات والارض) ومن فطرهما على النحو الذي نعرف فهو قادر أن يرسل رسلا من الملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، فالذي يؤمن بخلق الله للسموات والارض من حقه أن يؤمن بالملائكة، ولذلك ختم الآية بقوله (ان الله على كل شيء قدير)

إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا [١] وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ، إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١) فاطر

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا

---

١) أي بما وضعه لهما من سنن ومارسمه من نظم، و(إن) حرف نفي أي ما أمسكهما من أحد من بعده، وإمساك السموات والارض من السقوط من أكبر آيات الله

ثَمَرِهِ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَءَايَةٌ لَهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (٣٨) وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ (٣٩) لَا ٱلشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) وَءَايَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ (٤٤) يس

(وآية) وعبرة عظمى : الارض اليابسة أنزل الله عليها الماء فنبت زرعا وشجراً فكان الحب والثمر والجنات والاعناب ، وفجرت الارض عيونا ، وفي الارض أزواج النبات والحيوان والانسان ، فمنها الذكران والاناث وما من نبات الا وفيه ذكر وأنثى كما يرى في الذرة والقمح . ومن عجب تفجير العيون من الجبال فهي مخازن للماء ، والعين بز بازها ، والوادي مجراها والاشجار والنبات والحيوان منتهاها وانظر الشمس والقمر والليل والنهار وكيف نظم الله بها الميقات وحفظ الحساب وإذا سلخنا النهار عن الليل بدا الليل عاريا ، وظهر أسود قاتما ، وترى الشمس جارية إلى مدار السرطان والجدي وهما منتهاها ، والقمر يجري في ثمان وعشرين منزلة لا يتقدم عن وقته ، ولا يتأخر عما رسم له ، فهو ابداً مسخر مطيع بجريه السريع ،

فالناس يعيشون ولاينظرون وإن نظروا لايدركون وإن أدركوا لايدرسون وإن درسوا لايحسبون ،وإن حسبوا لايتغلغلون . الشمس طالعة غاربة والقمر في ذهاب وإياب ، الشمس لاتدرك القمر في دورانه ، ولا يسبق الليل أوانه، فالليل والنهار بحسبان، والشمس والقمر يسجدان .و(العرجون القديم) العود الذي عليه الشماريخ إذا أتى عليه الحول فتقوس واصفر

وقوله (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) الخ اي إذا لم تقو بصائركم على الادكار بكواكب السماء وسياراتها ،وشموسها وأقمارها ،فانظروا إلي السفن كيف اقدرناكم على صنعها وجرت كما يجري السمك في البحر ،وعلمناكم كيف وزنتموها (بالدفة) فقامت مقام ذيل السمكة حتى تسير يمينا وشمالا، وكيف عرفتم القاعدة التي بها تحملون السفن ماتطيق حتى لاتزيد جرمها وحملها عما أزاحت من الماء في جريها ،ولولا تلك الهداية لغرقتم ، ولكننا نجيناكم في أسفاركم كما نجينا آباءكم الاولين ، وهكذا فعلنا معكم في طياراتكم أفلا تعقلون ؟

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ، وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ (٥) خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٦) الزمر

(بالحق) اي لحكمة عليا لا عبثا ولعبا (يكور) التكوير اللف واللي كتكوير العمامة بعضها على بعض ،ألا ترى ان الارض وقد دارت حول نفسها وهي مكورة فأخذ النهار الناشيء من مقابلتها للشمس يسير من الشرق إلى الغرب يلف حولها طاويا الليل ، وأخذ الليل من الجهة الاخرى يلتف حولها طاويا النهار ، فالارض كالرأس ، والظلام والضياء يتتابعان تتابع اكوار العمامة و يلتفان متتابعين حولها ، وهذا التعبير من أعجب مايعلم به ان القرآن يرشدنا إلى كروية الارض (اولا) ويرمز إلى دورانها حول نفسها (ثانيا)

وقوله (لاجل مسمى) ذلك هو منتهى دوره. وتأمل قوله (الا هو العزيز الغفار) لتعرف ان المسخر لهذه الكواكب إله غالب. وقوله (الغفار) يشير إلى رحمته بنا في غفلتنا عن هذه الآيات وجهلنا بها. وقوله (وأنزل لكم من الانعام) اي وهبكم منها ثمانية اصناف. وقوله (في ظلمات ثلاث) أي ظلمة البطن والرحم والمشيمة. وقوله (خلقا من بعد خلق) أي خلقكم نطفة ثم علقة ثم مضغة، وإله هذا حاله، وتلك آثاره كيف نصرف عن عبادته وكيف نعدل به سواه؟

ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا، إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣) ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ، فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦٤) غافر

(مبصراً) يبصر فيه أو به. و (تؤفكون) تصرفون عن عبادته إلي عبادة غيره.

وتأمل كيف جعل الله الليل بارداً مظلما لانه أعده لسكنى الناس فيستريحون فيه، وتهدأ حواسهم وأعصابهم، ولا يكون معداً لذلك الا ببرودته وظلمته، وجعل النهار مبصراً لانه محل العمل وابتغاء الرزق، وذلك من فضل الله على الناس في أن فاوت بين الليل والنهار في الظلمة والنور. وقوله (وصوركم فأحسن صوركم) أي خلقكم فأحسن خلقكم كما قال في آية اخرى (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) أي في احسن اعتدال وأفضل قوام، فقومه افضل تقويم، وركبه احسن تركيب، ومن احسان الله لتصويره أن خلقه على نحو يصلح به لان يسخر هذا الكون حيوانه ونباته ومعادنه لخلق فيه من آلات العمل ما يصلح به للصناعة والزراعة، ومن العقل والتفكير ما يستطيع به ذلك التسخير. انظر شرح الآية (قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) من هذا الباب لترى فيها من احسان تصوير الله للانسان

مامملأ قلبك من الله خشية، ويجعلك تخر لعظمة الله ساجداً ، وانظر كيف جعل الله الأرض مقراً للانسان، والسماء سقفا له محفوظا، وجعله الملك في هذه الارض ومكنه من خيراتها وفتح كنوزها بعلمه وقوته ، ولذلك يقول بعد قوله (وصوركم فأحسن صوركم) ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ ليريك ان هذه هي ثمرة ذلك الملك وتلك الهيمنة، ولا ينبغي لمخلوق صوره الله فأحسن تصويره وأعده لتلك المنزلة العظمى أن يبدل نعمة الله كفراً وطاعته عصيانا

قُلْ أَئِنَّكُمْ (١) لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) فصلت

أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ (٢) فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) الشورى

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ

---

(١) انظر شرح الآية في بحث (وحدة الله) ص ٣٨

(٢) من يتولى أمرهم ويدبر مصالحهم

ٱلْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ (٢٨) وَمِنْ ءَايَٰتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) الشورى

(لبغوا) من البغي وهو الظلم كما قال (ان الانسان ليطغى * أن رآه استغنى) وقوله (بقدر) أي بتقدير . وتأمل قوله بعد ذلك (انه بعباده خبير بصير) لتعرف ان قسمة الله الرزق بين النّاس تقسيم أساسه الحكمة ، فهو خبير بأحوالهم بصير بأعمالهم ، فيفقر و يغني، و يمنع و يعطي ، و يقبض و يبسط ، بقدر وحكمة . و يصح أن يراد بالقدر سنته تعالى في الغنى والفقر وهو ان الذي يعمل للدنيا وأعد لها معداتها حصل عليها أيا كانت نحلته ومذهبه ، ومن عمل للآخرة آتاه الله ثوابها ، ومن عمل لهما معا حصل عليهما كما قال (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد * ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحوراً * ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا) و يكون معنى الآية لو بسط الله الرزق لعباده بدون كد وتعب لبغى بعضهم على بعض ، ولكن قضت حكمته بأن يجعل ذلك البسط بقدر ، فيعطي الله الدنيا من صلح لتسخير الكون بعلمه وجده ، و يحرمها من لم يستعد لها لجهله وكسله ولعل المسلمين يفيقون من غفلتهم فيزاحموا الاجانب في الحصول على الدنيا من طريق شريف فيحيون الحياة الطيبة

لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَٰثًا ، وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ ٱلذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ، إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) الشورى

ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ، يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) الطلاق

كل سماء بالنسبة إلى ما فوقها ارض وما تحتها سماء ، لان السماء ماعلاك ، وهذا العدد لا يفيد الحصر ، فاذا قلت عندي جوادان تركب عليهما أنت وأخوك فليس يمنع أن يكون عندك ألف جواد وجواد ، فقد قال علماء الفلك ان اقل عدد ممكن من الارضين الدائرة حول الشموس العظيمة التي نسميها نجوما لا يقل عن ثلاثمائة مليون ارض ، هذا فيما عرفه الناس ، وهذا القول من هؤلاء ظني . وقوله (يتنزل الامر بينهن أي يجري أمر الله وقضاؤه وينفذ بينهن . وقوله (لتعلموا ان الله على كل شيء قدير) الخ فان من هذه آثاره ، وتلك آياته قدير على كل شيء ، محيط علمه بكل شيء

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ (٢) ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ، مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ، فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ؟ (٣) ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) الملك

(بيده الملك) اي فله الامر والنهي والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء . وقوله (ليبلوكم) اي يختبركم ، اما الاختبار بالحياة فظاهر ، وأما الاختبار بالموت فهو الاعتبار به . و (طباقا) بعضها فوق بعض . وقوله (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) اي اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض بل هي مستوية مستقيمة ، وذلك برهان وحدة الصانع ، فان تشابه صنعته في الكمال والاتقان دليل وحدته ، والآية تتفق وقول الله تعالى (اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقوله (الذي أحسن كل شيء خلقه) و (فطور) شقوق ، والمقصود الخلل والنقص . و (خاسئا) ذليلا و (حسير) كليل لم يدرك ما طلب

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ، مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا

ٱلرَّحْمَـٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) الملك

(لجوا) تمادوا ،و(عتو) عناد. و (نفور) شراد عن الحق. يلفتنا الله تعالى بهذه الآية الى الطير (صافات) أجنحتهن في الجو عند طيرانها ،و (يقبضن) اي يضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار بذلك القبض على التحريك ، فالبسط هو الاصل ، والقبض يكون آنا بعد آن (ما يمسكهن الا الرحمن) اي ما يمسكهن في الجو حال القبض والبسط أن تقع على الارض بالجاذبية الا الرحمن الذي خلقهن على شكل خاص أدهش علماء العصر الحاضر حينما شرعوا في فن الطيران فأدركوا بعض تلك الحكم التي قاومت طبع الجاذبية وجعلت الهواء مسرحا للطير كما تسرح الانعام في البرية

ان هذه الخلقة دقيقة الصنع حتى ان الطائر في خلقه مختصر من الانعام فوق الارض ،فلكل عضو كثيف في الانعام عضو يقابله في الطير غاية في الخفة او الصغر أو اللطف ، فكيف ترى الجناحين قد خف حملها وقد كسيا بالريش الخفيف المكون من انابيب مجوفة وشعرات حريرية، وجعل لها المنقار مدببا كيلا تصادم الهواء في طيرانها فيعيق جريها ،بخلاف ذوات الاربع فان وجوهها عريضة وأرجلها المقدمة القائمة مقام الجناحين ثقيلة منتهية بما تعتمد عليه عند سيرها في الارض من

حافر اوخف أوظلف، لذلك أعقبه بقوله (انه بكل شيء بصير) يعلم كيف يخلق لكل شيء ما يناسبه ولا يقف بينه و بين أداء وظيفته في هذه الحياة. وقوله (أمن هذا الذي هو جند لكم؟) الخ يريك أن إلها تلك آياته هل تجد احدا ينصرك من دونه؟ وهل تجد من يرزقك اذا هو أمسك رزقه؟ وقوله (بل لجوا في عتو ونفور) يلفتنا الى ان الكفار لم ينصرفوا عن الله لاعتقادهم كفاية غيره او رزقا من سواه، وانما هو لجاج في العتو والنفور من الحق، ثم عاد فذكرهم بأن الذي أنشأهم ور باهم ووهبهم السمع والابصار والافئدة، وهي من اجل نعم الله عليهم هو الذي ذرأهم في الارض و بثهم فيها حتى عمروها وكان عليهم أن لا يكفروا هذه النعم بل يقابلوها بالشكر

كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) المعارج

(كلا) ردع وزجر لهم عن طمعهم في الجنة وقد خلقوا مما (يعلمون) وقبل الآية (أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم؟) اي كيف يطمعون ان يدخلوا عالم القدس والارواح الطاهرة ونحن خلقناهم من النطفة التي نقرها في الارحام وننقلها من حال إلى حال؟ ولا مناسبة بين هذه الحياة و بين الحال القدسية فلابد من الاستكمال بالعلم والعمل. وقوله (فلا أقسم) الخ هذا ضرب من ضروب التأكيد أي فان الامر أوضح من أن يقسم عليه. و (مسبوقين) مغلوبين

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ؟ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ؟ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ

نجعل الارض كفاتا (٢٥) أحياء وأمواتا (٢٦) وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا (٢٧) ويل يومئذ للمكذبين (٢٨) المرسلات

(ألم نهلك) الخ . يقررهم الله تعالى بما فعله بالاولين المكذبين. وقوله (ثم نتبعهم الآخرين) اي نفعل بأمثالهم من الآخرين مافعلنا بالاولين لانهم كذبوا مثل تكذيبهم وقوله (كذلك نفعل بالمجرمين) يرينا ان سنة الله في العصاة لاتتخلف. و (مكين) مقر يتمكن فيه وهو الرحم (إلى قدر معلوم) وقت مقدر يخرج بعده. وقوله (فقدرنا) من القدر وهو التقدير او من القدرة . و (كفاتا) كافتة تضم الاموات في بطنها ، والاحياء على ظهرها

ألم نجعل الارض مهادا (٦) والجبال أوتادا (٧) وخلقناكم أزواجا (٨) وجعلنا نومكم سباتا (٩) وجعلنا الليل لباسا (١٠) وجعلنا النهار معاشا (١١) وبنينا فوقكم سبعا شدادا (١٢) وجعلنا سراجا وهاجا (١٣) وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا (١٤) لنخرج به حبا ونباتا (١٥) وجنات ألفافا (١٦) النبأ

(مهاداً) فراشا. و (اوتادا) جمع وتد لانها تمنع الارض من الاضطراب كالاوتاد في حفظ الخيمة . ولولا الجبال لكانت الارض دائمة الاضطراب بما في جوفها من المواد الملتهبة وهي بمعنى (رواسي) و (سباتا) بضم السين الموت، والمسبوت الميت من السبت وهو القطع . ونعمة الله في النوم كبيرة فانه موت بضع ساعات في اليوم يريح القوى من تعبها، وينشطها من كسلها ، ويعيد اليها مافقد منها، ولو لم يكن النوم موتا واليقظة بعثا لم يتم هذا التجديد . و (لباسا) يستر الاشخاص بظلمته كما يستر اللباس صاحبه. و (سبعا شدادا) السموات السبع ، وشداد قوية متينة لا يؤثر فيها مرور الزمان

و (سراجا وهاجا) متلألئا وقاداً وهو الشمس . و (المعصرات) السحائب والغيوم، و(ثجاجا) ينصب بكثرة. و (ألفافا) ملتفة الشجر

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا (٢٩) وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا (٣١) وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا (٣٢) مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ (٣٣) النازعات

(سمكها) قامتها (فسواها) عدلها بوضع كل جرم في موضعه. و(أغطش ليلها) أظلمه .و(ضحاها) نورها. و (دحاها) مهدها وجعلها قابلة للسكنى. و(أخرج منها ماءها) بتفجير الينابيع والعيون. (ومرعاها) النبات. و(الجبال أرساها) ثبتها

قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣) فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ (٣٢) عبس

(قتل الانسان) دعاء عليه بأشنع دعواتهم على ما هو المعروف في لسانهم، وهو كناية عن قبح حاله وكثرة كفرانه للنعم (فقدره) أي بمقداره في أطوار مختلفة (ثم السبيل يسره) أي هداه بما وهبه من الحواس والفطرة وبما بعث له من الرسل.

وقوله (فأقبره) اي لم يتركه يموت كما يموت سائر الحيوان ، بل هداه الى ان جعل له قبراً يوارى فيه تكرمة له. و(أنشره) بعثه. و(كلا لما يقض ما أمره) اي لم يفعل ما أمره الله به سواء كان بالالهام وهداية الفطر او كان بالوحي على ألسنة الانبياء والمرسلين وقوله (إنا صببنا الماء صبا) اي من المزن (ثم شققنا الارض شقا) اي بعد أن كانت متماسكة شققناها بالماء. و(قضبا) ما أكل من النبات غضا لانه يقضب اي يقطع مرة بعد أخرى. و(غلبا) جمع غلباء اي ضخمة عظيمة لكثرة شجرها والتفافها. و(أبا) مرعى لانه يؤب اي يؤم

فَلْيَنْظُرِ (١) الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) الطارق

---

(١) انظر الآية في بحث وجود الله ص ٩

حياة الله تعالى وعلمه

اللهُ (١) لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ؟ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) البقرة

الم (١) اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) آل عمران

إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦) آل عمران

يلفتنا الى آيات الله في تصويره في الرحم وما يمر به من الاطوار التي اشار اليها في قوله (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين) ولو رأيت صورة النطفة في اطوار تخليقها في الرحم لرأيتها اولا كالجراثيم النقاعية وهي الطبقات الدنيا من الحيوان ثم تكون علقة ملتفة شبه ثلاثة ارباع الدائرة ثم تصير مثل الضفدع، ثم يظهر فيها العمود الفقري له منقار طائر وجسم حشرة، ثم يصير كذوات الاربع، ثم ينمو الرأس ويرسم الذراعان وتتهيأ مواضع الاعضاء للنمو وترسم العينان والمنخران والفم، ثم يفرق بين

(١) تقدم شرح الآية في بحث وحدة الله ص ١٠

الذكر والانثى ثم تفتح العينان ويكسى جلد الرأس بالشعر — لو تأملت ذلك كله وعرفت كيف يتكون من تلك النطفة اجزاء الجسم على تفاوت بينها في الوظائف، واختلاف بينها في اللين والصلابة، والغلظة واللطف، لرأيت العجب، يتكون من هذه النطفة رأس للانسان وفيها المخ وجزء من النخاع، وعضو الابصار والسمع والتكلم والتذوق ومنافذ جهاز الهضم والتنفس. وتكون من هذه النطفة عنق وفيه الحنجرة عضو الصوت، وفتحة القصبة الهوائية وفتحة المريء لتوصيل الغذاء، وفيه العروق التي يصعد فيها الدم الى الرأس، وتكون من هذه النطفة الجذع المركب من جزئين علوي وسفلي، فالعلوي هو الصدر المحتوي على القلب والشرايين الكبيرة، وعلى الرئتين وينتهي من أسفل بالحجاب الحاجز بين جزئي الجذع ويخترق هذا الحجاب شريان عظيم (الاورطي) والمريء والوريد الاجوف السفلي، والجزء السفلي هو البطن وفيه الكبد والمعدة والامعاء الدقيقة والغليظة والبنكرياس والطحال والكليتان والمثانة، ويتكون من النطفة الاطراف وهما الذراعان، والطرفان السفليان

وانظر كيف جعل الله لذلك الجسم أجهزة ولكل جهاز أعضاء فجعل فيه (جهازا للحركة، ويدخل تحته العظام والمفاصل والعضلات الادارية وأوتارها و (جهازاً دوريا) وأعضاؤه القلب والاوعية الكبيرة والاوعية الشعرية و (جهازا للتنفس) وأعضاؤه الحنجرة والقصبة والشعب والرئتان و (جهازا هضميا) وأعضاؤه الفم والاسنان وغدد اللعاب والبلعوم والمريء والمعدة والبنكرياس والكبد والامعاء، و (جهازا لنفاويا) وأعضاؤه عروق الدم الابيض والاوعية اللبنية والطحال وبعض الغدد و (جهازا بوليا) وأعضاؤه الكلى والحالبان والمثانة ومجرى البول و (جهازا جلديا) وأعضاؤه غدد العرق والغدد الدهنية والشعر والاظافر وطبقات الجلد، و (جهازا عصبيا) وأعضاؤه المخ والنخاع والاعصاب بأنواعها وأعصاب الحواس الخمس — كل هذا صوره الله من النطفة، وخلقه من الماء المهين، على اختلاف بينه في القوة، وتفاوت في الوظيفة (فتبارك الله احسن الخالقين)

قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ، وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) آل عمران

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) النساء

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ (١) يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ؟ قَالَ سُبْحَانَكَ ، مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) المائدة

وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) الانعام

اي هو الله المعروف بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، في السموات وفي الارض كما نقول - ولله المثل الاعلى - ان فلانا هو الخليفة في مملكته وفي جميع البلاد الاسلامية ، أو ضمن الله معنى معبود كما ورد في آية الزخرف (وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله وهو الحكيم العليم)

وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ

---

١) انظر شرح الآية في بحث وحدة الله ص ١٤

وَالْبَحْرِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ، وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُبِينٍ (٥٩) الانعام

المفاتح جمع مفتاح أوجمع مفتح وهوالخزانة .و(الغيب) ماوراء المحسوس وليس في استطاعة البشر الوصول اليه من طريق كسبهم العادي كذات الاله والملائكة والجن واليوم الآخر وما اشتمل عليه من نعيم وعذاب . ومنـه (الذين يؤمنون بالغيب) فالغيب موكول الى الله تعالى لا يستطيع أن يعلمه مخلوق إلا من طريق إخبار الله له وهو يعم الموجود الذي لا طريق الى معرفة حقيقته كذات الله والملائكة وتحديد مافي الرحم على سبيل اليقين من ذكر أوأنثى ، ويعم المستقبل الذي لم يحوه الوجود كاليوم الآخر ، والوقت الذي ينزل فيه المطر ، وماذا تكسب النفس غدا وفي أي ارض تموت

أما ما يستطيع الانسان الوصول اليه من طريق كسبه العادي مثل كسوف الشمس وخسوف القمر فليس من الغيب لابتنائه على قواعد رياضية طريقها سنة الله في نظام الشمس والقمر

ومايخبر به بعض البحارة وعلماء الطبيعيات من نزول المطر بعد كذا من الزمن لأمارات تسبقه ليس من الغيب ، أما نزول المطر الذي لم تسبقه هذه الامارات فهو غيب ، ولذا لا يستطيع الطبيعي آن يقطع بنزوله بعد ايام او شهور على سبيل الحزر والتخمين كالذي يخبر به بعض الاطباء من ذكورة الحمل وأنوثته ،وكذلك الالهام الذي يختص الله تعالى به بعض أصفيائه لم تصل عندهم إلى حد العلم اليقيني بل هو خاطر يجوز صاحبه أن يكون خطأ وأن يكون صوابا وإن كان يرجح انه صواب

و(الكتاب المبين) علم الله المحيط او هو كتاب سجل الله فيه الحوادث التي ستكون كما قال (ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير)

بَدِيعُ السَّمَٰوَٰتِ (١) وَالْأَرْضِ ، أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ

---

١) انظر شرح الآية في بحث وحدة الله ص ١٨ وفي بحث تنزهه عن مشابهة الحوادث ص ٤٣

لَهُ صَـٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ، وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ
وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٠٣) الانعام

وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ
وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ (١٠٥) التوبة

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ
مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ، وَمَا يَعْزُبُ عَن
رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ، وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ (٦١) يونس

أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ، أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ
ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٥)
وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ (٦) هود

(يثنون) يقال ثنى الشيء اذا لواه عن جهته، والآية تمثل لك تنكر المشركين للحق
وإعراضهم عنه، فان من شأن مريد الفرار أن يثني صدره ليتوارى عن الناس، يتمثل

تلك ذلك التواري عن الحق في قوله في سورة التوبة (لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون) وقوله (الا حين يستغشون ثيابهم) يريك ان هؤلاء يجعلون ثيابهم أغطية على آذانهم لتحول بينهم و بين القرآن وانهم لم يغفلتوا بذلك العمل من مولاهم وخالقهم وعالم سرهم ونجواهم ، وتلك شنشنة عرفناها لاعداء الحق، اقرأ قول الله تعالى عن نبي الله نوح (واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا) و (مستقرها) المكان الذي تستقر فيه من الارض. و (مستودعها) حيث كانت قبل استقرارها على الارض من صلب او رحم او بيضة

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلأَمْرُ كُلُّهُ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ، وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣) هود

ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ (٩) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌ بِٱلنَّهَارِ (١٠) الرعد

(ماتحمل) اي من ذكورة وأنوثة ، وحسن وقبح، وطول وقصر ، وغير ذلك من الاحوال. و (تغيض) من غاض الماء نقص .أي يعلم ماتنقصه الارحام وماتزيده من عدد الولد ، فقد يكون واحداً وقد يكون اكثر من واحد ، ومن جسده فقد يكون تام الخلق وقد يكون ناقص الخلق ، ومن دم الحيض ، فاذا حاضت المرأة نقص غذاء الولد واذا لم تحض يتم الولد ولا ينقص. و (كل شيء عنده بمقدار) أي كل شيء في هذا الوجود يسير على نظام معين وقدر محدود، ومنه تخليق الولد في رحم امه وهو كقوله (إنا كل شيء خلقناه بقدر) اي بسنة ونظام لايتخطاه حتى نقص الولد وتمامه ، ووحدته وكثرته ، وذكورته وأنوثته ، وصحته ومرضه ، كل ذلك بقدر ونظام و (سارب بالنهار) بارز ، من سرب سروبا برز، او ذاهب في سربه ظاهر

قَالَ فَمَنْ[1] رَبُّكُمَا يَا مُوسَى؟ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى؟ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى (٥٢) طه

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ، وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨) الفرقان

قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ ، وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ؟ (٦٥) النمل

إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ؛ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤) لقمان

يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) السجدة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ ، قُلْ بَلَى وَرَبِّى

---

(١) انظر شرح الآية مطولا في بحث قدرة الله ومشيئته ص ٩٧

لتأتينكم ؛ علم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموت ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتب مبين (٣) سبأ

والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزوجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ، وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتب ، إن ذلك على الله يسير (١١) فاطر

اقتصر في هذه الآية على الاصل الاول للانسان وهو التراب ثم الاصل الثاني وهو النطفة لنرى الفرق الكبير بين التراب الذي لم يكن فيه شيء من لوازم الحياة و بين الانسان المفكر العاقل الذي سخر له الكون كما قال في آية أخرى (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) وكذلك اشار بطور النطفة إلي مكان الفرق بين نطفة قذرة وماء مهين و بين الانسان القوي الجبار الذي نسي ر به وتنكر خالقه كما قال (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) وقوله (ثم جعلكم ازواجا) اي اصنافا مختلفة فيكم الشقي والسعيد والعالم والجاهل والسمين والهزيل. او (أزواجا) ذكرانا وإناثا أو يزوج بعضهم بعضا ليتناسلوا و يلدوا . وقوله (وما يعمر من معمر) الخ اي ما يبقى اليه بعض الناس من الآجال الطبيعية التي يعيش اليها أمثالهم ، وآجالهم الاخترامية التي تحصل بسبب من الاسباب العارضة كالغرق والحرق ولدغ الحشرات كل ذلك في كتاب عند الله يعلمه ويحيط به

هو الحي (١) لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العلمين (٦٥) غافر

---

١) ومادام الله حيا لا يموت فهو الاولى بأن يعبد باخلاص

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ، إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ الْمَغْفِرَةِ، هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢) النجم

(اللمم) مايلم بهم أحيانا على غير إصرار كما قال (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا اللهفاستغفروا لذنوبهم ومن يغفرالذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) وكما قال (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب،فأولئك يتوب الله عليهم وكان اللهعليما حكيما) فهؤلاء هم الذين وسعتهم مغفرة الله ولذلك يقول بعد ذلك(ان ربكواسع المغفرة) وهذا شأن المؤمن إذا وقع في معصية يرجع الى ربهمن قريب، ولايقبل على المعصية الا عند طرو أسباب لم يكن مصراً عليها من قبل

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوٰتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ (١) أَيْنَ مَا كُنتُمْ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) الحديد

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ؟ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَـٰثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ، وَلاَ

---

١) سياق الآية يعطي انها معية علم وإحاطة

أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) المجادلة

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) الملك

(بذات الصدور) اي بضمائرها قبل أن تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تتكلم به كما قال (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) او ذات الصدور حقيقتها وما انطوت عليه من خير أو شر وقوله (ألا يعلم من خلق؟) يلفتنا الى انه الخالق لها الباري، ومن خلق شيئا لابد أن يعلمه ويحيط به ، وهو كالدليل على علم الله لها وإحاطته بكل ما يتعلق بها . وقوله (وهو اللطيف الخبير) إشارة الى ان عالم ذات الصدور وما تكنه يحتاج الى لطف وخبرة دقيقة تنفذ الى باطن الاشياء ، وتتغلغل فيها ، ولذلك ختم به الآية

سمع الله وبصره وكلامه

تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، مِنْهُم مَنْ كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ (٢٥٢) البقرة

(منهم من كلم الله) كنبي الله موسى عليه السلام كما قال في آية النساء (وكلم الله موسى تكليما) وقال في آية الاعراف (اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) والكلام شأن من شئونه تعالى قديم بقدمه وهو صفة ذاتية بها يعلم من يشاء من عباده بما شاء من علمه متى شاء، وهذا الاعلام هو التكليم والوحي

لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (١٨١) آل عمران

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ (١) عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) النساء

وَلَهُۥ مَا سَكَنَ (٢) فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٣) الانعام

وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ، قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ

---

١) القص تتبع الاثر. يقال: قصصت اثره ومنه (وقالت لاخته قصيه) والمراد تتبعنا أخبارهم فأعلمناك بهم

٢) انظر شرح الآية في بحث وحدة الله ص ١٥

فَسَوْفَ تَرَانِي، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) الاعراف

(تجلى) انكشف وظهر (دكا) من دككته دققته. ويقال جمل أدك وناقة دكاء لاسنام لها. و(خر) سقط من علو. و(صعقا) مغشيا عليه. وخلاصة الآية ان موسى عليه السلام لما نال فضيلة تكليم الله تعالى له بدون واسطة فسمع مالم يكن قد سمع قبل ذلك من الغيب الذي لا شبيه له ولا نظير في هذا العالم — طلب من الرب تبارك وتعالى أن يمنحه شرف رؤيته، وهو يعلم حتما انه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته التي منها كلامه عز وجل، فلم يكن عقل موسى وهو في الذروة العليا من العقول البشرية مانعا له من هذا الطلب، ولم يكن دينه وعلمه بالله وهما في الذروة العليا أيضا مانعين له منه، ولكن الله تعالى قال له (لن تراني) ولكي يخفف عليه ألم الرد وهو كليمه الذي قال له في اول العهد بالوحي اليه (واصطنعتك لنفسي) أراه بعينيه ومجموع إدراكه من تجليه للجبل بما لا يعلمه سواه، ان المانع من جهته هو لا من جانب الجود الرباني؛ فنزه الله وسبحه وتاب اليه من هذا الطلب، فبشره الله تعالى بأنه اصطفاه على الناس برسالاته و بكلامه اي دون رؤيته، وأمره بأن يأخذ ما اعطاه ويكون من الشاكرين له

وقد أطال المتكلمون في الكلام على رؤية الاله من جهة جوازها ووقوعها، ومن عجيب الامر ان كلا من المانعين والمجيزين يستدل بالآية، وقد علمت ان الآية منعت الرؤية في الدنيا؛ أما في الآخرة المخالفة لهذه الحياة، وتغلب فيها الروحيات على الماديات فلا مانع من رؤية الله تعالى فيها على وجه يليق به، وهو المتبادر من قول الله تعالي (وجوه يومئذ ناضرة * الى ربها ناظرة) ومن قوله (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) دع ما ورد من الاحاديث الصريحة في رؤية المؤمنين لربهم

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ

كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦) التوبة

(كلام الله) وحيه الذي أنزله على نبيه (ص) ومن له كلام مع رسله لا بد أن يكون مستطيعا للكلام متى شاء. والآية ترينا انه اذا طلب احد من المشركين من رسول الله جواره وحمايته فعليه ان يجيره حتى يسمع كلام الله ويعلم منه حقيقة ما يدعو اليه، فاذا اهتدى به وآمن فتلك، وإلا فليبلغه المكان الذي يأمن به على نفسه وعقيدته حتى لا يكون للمسلمين عليه سلطان قهر ولا اكراه. وقوله (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) اي ذلك الامر باجارة المستجير من المشركين إلى أن يسمع كلام الله بسبب انهم قوم جاهلون لا يدرون ما الكتاب ولا الايمان؟ و بذلك تعلم ان دعوة الرسول (ص) إلى الله تعالى قاعدتها السلم لا الحرب، وان الحرب ما شرع إلا لمنع الاعتداء وحماية الدعوة وتأمين المسلم على دينه وعقيدته

قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦) الاسراء

وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ، إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا؟ (٤٢) مريم

تريك الآية ان العقول تستقبح أن يعبد الانسان إلها لا يسمعه اذا ناداه، ولا يبصره إذا حل به مكروه، فسمع الاله و بصره مقتضى الفطرة، وكذلك يقول الله تعالى في آية الاعراف (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار، ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا، اتخذوه وكانوا ظالمين) فأنكر ان يكون الاله أبكم لا يتكلم وليس له رسل تنوب عنه في هداية الناس بكلامه ووحيه، وبذلك كان قوم موسى ظالمين باتخاذ العجل من الحلي إله لهم. ويقول في سورة طه (فأخرج لهم عجلا جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضراً ولا نفعا)

وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ، إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٦٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١) الحج

اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ، إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) الحج

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ؟ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ [1] إِذْ تَدْعُونَ؟ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ؟ (٧٣) الشعراء

ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ، وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ [2] (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ، وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) فاطر

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ

---

١) استقباح من نبي الله ابراهيم ان يعبد هؤلاء آلهة لا يسمعونهم إذا دعوهم ولا ينفعونهم إذا طلبوهم ولا يضرونهم إذا خالفوهم

٢) لفافة النواة الرقيقة او الاثر في ظهر النواة، وذلك مثل للشيء الطفيف، انظر الآية في بحث وحدة الله ص ٣٦

دَابَّةٍ وَلَـكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥) فاطر

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ[1] وَالأَرْضِ، جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (١١) الشورى

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ، إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) الشوري

(وما كان لبشر) الخ اي الشأن في تكليم الله تعالى للبشر أن يكون باحدى هذه الطرق . والوحي هنا هو الالهام كما قال (وأوحى ربك الى النحل) اي ألهمها. وقوله (او من وراء حجاب) كتكليم الله لنبيه موسى عليه السلام. وقوله (أو يرسل رسولا) اي ملكا يكون طريقا لتوصيل الوحي كما كان مع نبينا محمد (ص) فهذه هي انواع تكليم الله تعالى للبشر واعلامه لهم بما يريد إعلامهم به . وانظر إلى ختم الآية بقوله (انه علي حكيم) لترى انه علي عن صفات البشر فلا يكلمهم كما يكلم بعضهم بعضا ، وحكيم تجري أعماله على وفق الحكمة فيكلم احيانا بواسطة وأحيانا بغير واسطة

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَـٰفِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ (٦) الاحقاف

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ

---

١) انظر شرح الآية في بحث تنزيه الله عن مشابهة الحوادث ص ٤٥

مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) الفتح

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) المجادلة

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ (١) كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) التغابن

---

(١) تأمل قوله (فمنكم كافر ومنكم مؤمن) لترى ان الكفر لم يكن طبيعيا في الكافر وانما كان منه باختياره وكسبه

حاجة الناس الى الرسالة (١)

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) البقرة

شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ (٢) مِنَ ٱلْهُدَىٰ وَالفُرْقَانِ (١٨٥) البقرة

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ، وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، فَهَدَى اللهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ، وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣) البقرة

(كان الناس امة واحدة) اي واحدة في مصالحها وارتباط بعضها ببعض في شؤونها المعيشية، وذلك معنى قولهم «الانسان مدني بطبعه» وما دامت المصالح تربط بعضهم ببعض فلابد ان يختلفوا على تحديد مصالحهم، فبعث الله الرسل ليرسموا للناس طريقا يعيشون على أساسه، ولذلك يقول في آية يونس (وما كان الناس إلا أمة

---

١) اي منذ بدء الخليقة

٢) آيات واضحات (من الهدى) اي من الكتب المنزلة. و(الفرقان) الذي يفرق الله به بين الحق والباطل

واحدة فاختلفوا) فـ«كان » في الآية لبيان الشأن في الناس ، اي ان الشأن في الناس ان يكونوا امة واحدة في حاجة بعضهم إلى البعض، وذلك مدعاة للخلاف ، لذلك ارسل الله لهم الرسل

نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى [1] لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ، إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ (٤) آل عمران

لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (١٦٤) آل عمران

إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ، وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ [2] خَصِيمًا (١٠٥) وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦) النساء

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ، وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ [3] لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ، وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) النساء

---

١) فالتوراة والانجيل وجميع الكتب السماوية انزلها الله هداية للبشر (٢) اي لا تخاصم من اجلهم لانهم ليسوا اهلا لذلك (٣) حتى لا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦) المائدة

(تخفون من الكتاب) قيل هو التوراة أخفوا منها حكم رجم الزاني ، وقيل المراد جنس الكتاب وقوله (ويعفو عن كثير) اي مما كنتم تخفونه فلا يفضحكم ببيانه وهذا النص القرآني يرينا انهم أخفوا كثيراً من كتابهم، وأخبرنا انهم نسوا حظا مما ذكروا به، وانهم يحرفون الكلم عن مواضعه : فقسم أخفوه ، وقسم حرفوه بالتأويل حسب الاهواء والشهوات ، فجاء القرآن ليبين كثيراً مما أخفوه ، وقد سماه الله نوراً لانه للبصيرة كالنور للبصر، وقد سماه الله نورا في آيات أخر (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا * فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما) وقوله (يهدي به الله) الخ بيان للصنف الذي يهديه الله بالقرآن وهو الذي اتبع رضوان الله وهي السبل التي يسلم بها في الدنيا والآخرة . وقوله (باذنه) اي بتوفيقه، وانما يوفق الله من أقبل عليه وطلب منه المعونة أما من أعرض عنه فهو محروم من ذلك التوفيق، اقرأ سنة الله في الهداية والاضلال

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ (١) مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩) المائدة

١) أي طول عهد على الوحي وانقطاع عن الرسل. وقوله (أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير) اي جاء لقطع المعذرة وان تقولوا ذلك يوم القيامة

إِنَّا أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ، يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ (١) ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ، فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِـَٔايَـٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا، وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ (٤٤) المائدة

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) المائدة

وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ، فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ، لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ، إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ

---

(١) موسى ومن بعده من أنبياء بني اسرائيل . وقوله (الذين أسلموا) اي وجههم لله تعالى . و(الربانيون) المتخلقون بأخلاق الرب في هداية الناس والصبر عليهم و(الاحبار) جمع حبر بفتح الحاء وكسرها العالم. وقوله (بما استحفظوا) اي بما ائتمنوا عليه وطلب منهم حفظه

أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) المائدة

(الكتاب) القرآن . والمراد بالكتاب الثاني جنس الكتب الصادق بالتوراة والانجيل. وقوله (ومهيمنا عليه) أي رقيبا وشهيدا بما كان ممن خوطبوا به من نسيان حظ منه وإضاعته وتحريف كثير مما بقي منه وتأويله فهو حاكم على هذه الكتب ، لانه جاء بعدها وفيه دليل على وجوب اتباعه وانه شرع دائم. وقوله (عما جاءك) اي مائلا عما جاءك. و(الشرعة) الطريق إلى الماء و(منهاجا) طريقا بينا واضحا، اي لكل رسول اوكل امة منكم ايها المسلمون والكتابيون جعلنا شريعة أوجبنا عليهم إقامة أحكامها ، وطريقا للهداية فرضنا سلوكه لتزكية انفسهم وإصلاحها ، لان الشرائع العملية وطرق التزكية تختلف باختلاف أحوال الاجتماع واستعداد البشر، فاليهودية شريعة مبنية على الشدة في تربية أقوام ألفوا العبودية وفقدوا الاستقلال في الارادة والرأي ، فهي مادية جسدية شديدة ، ليس لاهلها فيها رأي ولا اجتهاد ، فالقائم بتنفيذها كالمربي للطفل العارم الشكس

والمسيحية يهودية من جهة وروحانية شديدة من جهة أخرى، فهي تأمر أهلها بأن يسلموا امورهم الجسدية والاجتماعية للمتغلبين من اهل السلطة والحكم مهما كانوا عليه من الفساد والظلم ، وأن يجعلوا عنايتهم كلها بالامور الروحية وتربية العواطف والوجدانات النفسية، فهي تربية للنوع في طور التمييز عندما كان كالغلام اليافع الذي تؤثر في نفسه الخطابيات والشعريات

وأما الاسلامية فهي القائمة على أساس العقل والاستقلال المحققة لمعنى الانسانية بالجمع بين مصالح الروح والجسد ، وبذلك يصدق عليها (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وقوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس) فهي مبنية على أساس الاستقلال البشري اللائق بسن الرشد ، وطور ارتقاء العقل ، ولذلك كانت الاحكام الدنيوية في كتابها قليلة ، وفرض فيها الاجتهاد لان الراشد يفوض اليه أمر نفسه، فلا يقيد إلا بما يمكن أن يعقله من الاصول القطعية . وقوله (ولو شاء الله لجعلكم

أمة واحدة) اي ذات شريعة واحدة ومنهاج واحد في سلوكها والعمل بها - لفعل بأن خلقكم على استعداد واحد، وألزمكم حالة واحدة في أخلاقكم وأطوار معيشتكم، بحيث تصلح لها شريعة واحدة في كل زمن، وحينئذ تكونون كسائر أنواع الخلق التي يقف استعدادها عند حد معين كالطير أو النحل او النمل. وقوله (ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) اي لم يشأ ذلك ولكن شاء أن يعاملكم معاملة المختبر لاستعدادكم. و (فيما آتاكم) اي من الشرائع والمناهج ، فتظهر حكمته في تمييزكم على غيركم من أنواع الخلق بشريعة تتفق وبلوغكم سن الرشد

قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ (١) مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) الانعام

وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَن تَقُولُوا (٢) إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَٰبُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ، فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَٰتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَٰتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧) الانعام

---

١) آيات تبصركم وفيها من الحجج العقلية والكونية ما يثبت لكم العقائد الحقة التي تتوقف عليها سعادتكم (فمن أبصر) بها الحق والهدى فآمن وعمل صالحا فلنفسه أبصر، ومن عمي عن الحق باعراضه عنه فعليها جنى

٢) اي لئلا تقولوا . والطائفتان اليهود والنصارى. و (دراستهم) تعليمهم، لجهلنا بلغتهم وغلبة الامية علينا. و (صدف) أعرض. و (يصدفون عن آياتنا) يصدون الناس عنها كما قال (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون)

وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ [١] هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) الاعراف

وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤) الاعراف

اقرأ قبل ذلك قوله تعالى (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم؟ وألقى الالواح وأخذ برأس اخيه يجره اليه، قال ابن أمّ ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين * قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين) لتعلم انه غضب لان قومه اتخذوا من حليهم عجلا عبدوه، وقد اشتد به الغضب فألقى الالواح وأخذ برأس اخيه هارون يجره اليه، وقد اعتذر له اخوه بما ترى. وانظر إلي البلاغة في قوله (ولما سكت عن موسى الغضب) لتعرف ان الله تعالى يصور الغضب بشخص ذي قوة ورياسة يأمر وينهى فيطاع. قال الزمخشري: هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل، ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر برأس اخيك اليك، وانظر كيف عذر الله نبيه موسى في إلقاء ألواح التوراة لانه غضبان قد سد عليه باب التفكير. ومن ذلك أهدر العلماء ما يحدث عند الغضب كالطلاق لانه أغلق عليه باب الاختيار، وهو استنتاج حسن

وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ، قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ

---

١) اي على علم منا بما يحتاجه المكلفون من العلم والعمل لتزكية انفسهم، وتكميل فطرتهم وسعادتهم في معاشهم ومعادهم

مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) الاعراف

(هدنا) رجعنا اليك، من هاد يهود هوداً تاب ورجع. وقوله (وسعت كل شيء) تلك هي الرحمة العامة التي يتمتع بها الكافر والمؤمن كما قال (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) فغمرهم بنعمته ولم يعاقبهم بعصيانهم (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة) وقوله (فسأكتبها للذين يتقون) الخ أي سأكتب الرحمة الخاصة لقوم هذه صفتهم وهو التزام من الله تعالى بمحض فضله كما قال (كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) وانظر الى قوله (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) لتعرف انه يأمر بما تعرف العقول السليمة حسنه، وينهاهم عما تنكره وتأباه. وقوله (ويحل لهم الطيبات) ماتستطيبه الاذواق من الاطعمة، وتفيد منه التغذية النافعة، والطيب من الاموال ماتأخذه بحق وتراض في المعاملة. و(الخبائث) من الاطعمة ماتستخبثه الطباع السليمة وتستقذره كالميتة والدم المسفوح، او تصد عنه العقول الراجحة لضرره في البدن كالخنزير الذي تتولد من أكله الدودة الوحيدة، او لضرره في الدين كالذى يذبح للتقرب به إلي غير الله تعالى، والخبيث من الاموال مايؤخذ بغير حق كالرشوة والسرقة والخيانة والغصب والسحت

والآية ترينا ان الله تعالى لايحل لنا الا الطيب ولا يحرم علينا إلا الخبيث، فاذا تبين لنا خبث ماحرمه الله تعالى فذاك والا فندعه للايام تكشف خبثه وسوء اثره، أما ماحرمه الله على بني اسرائيل من الطيبات فعقوبة لهم على ظلمهم (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) الآية. ويقول الله في هذا الباب (ياايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين) ويقول

(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) فما نص الشارع على حرمته يتبين من التنصيص عليه انه خبيث ،وما نص على حله هو طيب ،وما سكت عنه إن كان ضاراً بالبدن أو الروح او الخلق فهو خبيث، وان كان نافعا غير ضار فطيب. و(إصرهم) ثقلهم في التكاليف و(الاغلال) جمع غل وهو ما يوضع في العنق من الطوق، والمراد ان شريعته جاءت سمحة سهلة (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)و(عزروه) وقروه وعظموه ، وما أشد هذه الآية في حصرها الفلاح في الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا كتابه وما اشد غفلة من يقف عند قوله (ورحمتي وسعت كل شيء) ولا يتم الآية. ومثله مثل من يقف عند قوله (نبىء عبادي اني أنا الغفور الرحيم)وينسى قوله عقبها (وان عذابي هو العذاب الاليم)

يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ[1] لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) يونس

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥) ابراهيم

(بلسان قومه) من ذلك تعلم ان محمداً (ص) أرسل بلسان قريش، لان ذلك هو مقتضى الحكمة، أما ما يزعمه بعض الناس من انه علم ألسنة كثيرة فغير صحيح. وقوله (ليبين لهم) بيان للغاية من إرسال الرسول بلسان قومه . وقوله (فيضل الله من يشاء) الخ

---

١) من الامراض التي تسكون بها كالنفاق والشرك والجزع والهلع وما إلى ذلك

اي بعد هذا البيان كما قال (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون)، و(أيام الله) وقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود فيكون التذكير للانذار . وعن ابن عباس: ايام الله نعماؤه وبلاؤه، ويناسبه قوله (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور)

وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِي وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةَ (١) مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) الاسراء

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠) الاسراء

وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) الاسراء

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) الكهف

---

١) منصوب على الاختصاص وقيل على النداء اي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح ، او مفعول اول اي لا تجعلوهم أربابا

(عوجا) العوج في المعاني والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه عن الحكمة كما قال (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) وهي آية من آيات إعجازه. و(قيما) مستقيما فيكون تأكيداً لما قبله، او قيم على غيره من الكتب فهو بمعنى مهيمن

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ؛ وَيُجَدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا ءَايَتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا (٥٦) الكهف

طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى (٢) إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣) طه

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا (١) الفرقان

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى (١) وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧) الشورى

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا(٢) مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَبُ وَلاَ الْإِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَطِ

---

١) مكة المكرمة وقوله (ومن حولها) أي من البلاد. و (يوم الجمع) يوم القيامة الذي يجمع فيه الخلائق للحساب

٢) يريد به الوحي لان نفوس الناس تحيي به كما يحيي الجسد بالروح

﴿اللهِ الذى لهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ؛ أَلاَ إِلى اللهِ تَصِيرُ الأمورُ﴾ (٥٣) الشورى

﴿هوَ الذِى يُنزِّلُ عَلى عَبْدِهِ ءايٰتٍ بَيِّنٰتٍ لِيخرِجَكمْ مِنَ الظُّلُمٰتِ إلى النُّورِ، وَإنَّ اللهَ بِكمْ لرَءوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٩) الحديد

﴿لقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلنَا بِالبَيِّنٰتِ وَأَنْزلنَا مَعهُمُ الكِتٰبَ وَالميزَانَ لِيقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ، وَأَنْزَلنَا الحَدِيدَ فيهِ بَأس شَدِيدٌ وَمَنٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالغَيْبِ، إنَّ اللهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢٥) الحديد

﴿بالبينات﴾ الحجج البينة الواضحة. و(الميزان) ما يوزن به الحق من الباطل كالقياس فيما لا نص فيه، وإنزال الكتاب ظاهر، أما إنزال الميزان فهو الهداية اليه وتسهيل أسبابه، وقوله (ليقوم الناس بالقسط) بيان للغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب عليهم، وقوله (وأنزلنا الحديد) الخ اي هدينا اليه، وعرفنا الناس كيف يستخرجونه من الارض وينتفعون به في هذه الحياة، وانظر كيف عقب إنزال الكتاب بانزال الحديد، وقال (فيه بأس شديد) لتعرف منه انه لا غنى لمن يقيم دين الله في الارض عن الحديد ليقيم به حدود الله، وليدفع به عن دينه، وانه لا يكفي الناس في إقامة دينهم ان يبلغوا الناس كتاب الله، بل لابد مع ذلك أن يكون لهم شوكة وقوة يحفظون بها بلادهم، ويعتزون على خصومهم، ولذلك يقول الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) وما ضعف المسلمون إلا من وقت أن اضاعوا تلك القوة، وأهملوا هذه النصيحة، فدين الله يقوم بأمرين: بيان الكتاب للناس وتبليغهم إياه وإعدادهم ما استطاعوا من قوة لحماية هذه الدعوة، والدفاع عن القائمين بها والمعتنقين لها

الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله

لا فرق بين رسول ورسول

الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) البقرة

﴿الم﴾ هو وأمثاله أسماء للسور المبتدأة به، ولا يضر وضع الاسم الواحد كـ(الم) لعدة سور، لانه من المشترك الذي يعين معناه اتصاله بمسماه، وحكمة التسمية والاختلاف في (الم) و(المص) تفوض الامر فيها إلى المسمي سبحانه وتعالى، و يسعنا ما وسع صحابة رسول الله «ص» وتابعيهم. و(المتقين) الذين سلمت فطرتهم، ووجد في أنفسهم الاستعداد لتلقي نور الحق يحملهم على توقي سخط الله تعالى والسعي في مرضاته. والايمان بالغيب هو الاعتقاد بموجود وراء المحسوس كالايمان بالله والملائكة والجن. والمراد (بما انزل اليك) القرآن (وبما انزل من قبلك) الكتب السابقة عليه. وانظر كيف شرط في الهدى والفلاح: الايمان بكل ذلك

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَٰلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَٰفِرِينَ (٩٨) البقرة

أي قل لهم من كان عدواً لجبريل فان شأن جبريل كذا، فهو إذاً عدو لوحي الله كله الذي يشمل التوراة وغيرها. وقوله (باذن الله) أي لا من عند نفسه. و (مصدقا

لما بين يديه) اي من الكتب السماوية التي سبقته . و(هدى) اي هاديا من الضلالات والبدع التي طرأت على الاديان (من كان عدواً لله) بكفره بما ينزل من الهداية و(ملائكته) برفض الحق الذي جاءوا به وفطروا عليه. و(جبريل وميكال) بكراهة القيام بما عهد به اليهم ربهم. وقوله (فان الله عدو للكافرين) اي عدو لهم. ووضع الظاهر موضع المضمر لبيان علة العداوة وهي كفرهم

تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ، مِنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ، وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ (٢٥٣) البقرة

(بروح القدس) هو روح الوحي الذي يؤيد الله تعالى به أنبياءه في عقولهم ومعارفهم ،وأطلق عليه روح القدس لان التعليم الذي يكون به مقدس او لانه يقدس النفوس كما يطلق عليه «الروح الامين» لان النبي الموحى اليه يكون على بينة من ربه فيه، يأمن فيها التلبيس فيما يلقى اليه. وقيل «روح القدس» جبريل عليه السلام

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ، كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ، لَا نُفَرِّقُ (١) بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (٢٨٥) البقرة

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا (٢) بَيْنَ

---

(١) اي في الرسالة واختيار الله تعالى لهم وان كان الله تعالى فضل بعضهم على بعض بما شاء من الخصائص

(٢) تفسير لتفرقتهم بين الله ورسله اي يؤمنون بالله ولا يؤمنون بالرسل وهم فريقان: فريق يؤمن بالله ولا يؤمن بأحد من رسله، وفريق يفرق في الايمان بين رسول ورسول وقوله (سبيلا) اي طريقا بين الايمان بالله ورسله يفصل أحدهما عن الآخر

ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٥٢) النساء

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ(١) وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ، وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ، وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيماً (١٦٥) النساء

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَٰهَا إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ، نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّنْ نَّشَاءُ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُۥ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ، كُلاً هَدَيْنَا، وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ، وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٤)

(١) جمع سبط وهو ولد الولد

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ، كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا، وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٨٦) وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ، وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٨٨) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ، فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ (٨٩) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ، قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ (٩٠) الانعام

﴿وتلك﴾ إشارة إلى المحاجة التي وقعت من ابراهيم مع قومه من قوله (وإذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ؟ اني أراك وقومك في ضلال مبين) الآيات وقوله (نرفع درجات من نشاء) اي نفضل بعض الرسل على بعض في كمال الحجاج وقوة العارضة .وانظر الى قوله (ان ربك حكيم عليم) بعد ذلك لتعرف انه انما يفضل بعض الرسل على بعض تفضيلا اساسه الحكمة والعلم. وقوله (واجتبيناهم) عطف على (فضلنا)اي فضلناهم واخترناهم. واجتباء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي يتحصل له منه انواع من النعم بلا سعي من العبد . وقوله (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)اي لو فرض ان أشرك بالله اولئك المهديون لسقط ثواب عملهم، فكيف بمن دونهم. والآية مظهر من مظاهر سخط الله على المشركين . وقوله (اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) الاشارة لاولئك الرسل، أنزل الله عليهم كتابا سماويا ، وأعطاهم الحكم بين الناس كما أعطاهم النبوة ،فان يكفر بهذه الثلاث المشركون من أهل مكة فقد وكلنا بأمر رعايتها قوما ليسوا بها بكافرين. وقوله

(فبهداهم اقتده) اي تأس بهم في تبليغ الدعوة واقامة الحجة والصبر على التكذيب والجحود وايذاء اهل العناد منهم ، وإعطاء كل حال حقها من مكارم الاخلاق ، وأحاسن الاعمال ، كالصبر والشكر والشجاعة والحلم ، والايثار والزهد والسخاء والبذل (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين ـ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك)

دلائل صدق الرسول (ص)

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ، فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) البقرة

(من مثله) اي مثل محمد في كونه أميا ، و(شهداءكم) من يشهدون لكم انكم أتيتم بسورة من مثله ، وقوله (فان لم تفعلوا) اي تأتوا بسورة من مثله ، وقوله (ولن تفعلوا) جملة اعتراضية بين الشرط والجزاء تيئيس لهم من عملهم هذا ، وقوله (فاتقوا النار) اي بطاعة الله وترك العناد والجحود ، وقد تحدى الله خصوم الدعوة مرة بأن يأتوا بسورة ومرة بأن يأتوا بعشر سور ، وأخبر على سبيل القطع ان الانس والجن لو اجتمعوا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وأحكام تشريعه ، واشتماله على مصالح الناس وحاجاتهم ـ لعجزوا

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) آل عمران

دليل آخر على صدق الرسول «ص» وهو اشتمال كتابه على امور غيبية مضى عليها من السنين والاجيال ما لا يعلمه إلا الله ، والآية تشير الى قصة عمران وامرأته والسيدة مريم وطريق تربيتها، وقصة نبي الله زكريا وابنه يحيي عليهما السلام، وكيف وهبه يحيي مع كبره ومع كون زوجه عاقراً، كيف يتسنى لمحمد «ص» معرفة شيء من ذلك مع كونه أميا الا بتعليم من الله تعالى له ؟

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ، قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ، إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ، فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ (١٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ؟ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ (١٧) يونس

﴿لبثت﴾ أي مكثت معكم زمنا طويلا لم أتصل فيه بمعلم، ولم ادخل فيه مدرسة (أفلا تعقلون) قيمة هذه الحجة ، واني ما قلت القرآن من قبل نفسي ، وانما قلته اتباعا لما يوحى إلي ، فكيف تقترحون علي الاتيان بقرآن غيره ؟ ثم عقب على تذكيرهم بتاريخ حياته معهم ، وانهم يعلمون من أمره انه أمي بقوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون) ليريهم انه لا أحد أظلم ممن اختلق على الله الكذب فادعى انه أوحي اليه ولم يوح اليه شيء ، ولا أحد أظلم ممن تقوم عليه الحجة ثم يكابر ويكذب بآيات الله ، وفريق هذا حاله هو فريق مجرم ولا يمكن أن يفلح

وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ

الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (٣٧) أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين (٣٨) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين (٣٩) يونس

﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى ﴾ اي لم يكن الشأن في هذا القرآن البليغ المعجز الذي يحمل دلائل صدقه أن يفترى من دون الله، ولكنه مصدق لما بين يديه من الكتب، وتفصيل لما كتبه الله وأنزله، وهو كتاب لا ريب فيه منزل من رب العالمين، ثم رجع إلى تحديهم وتكليفهم أن يأتوا بسورة مثله، وأن يدعوا من استطاعوا دعوته من دون الله ليعاونوهم، فلم يكن منهم سوى العجز، ثم بين انهم ما كذبوا عن شبهة وانما كذبوا عن جهل وتقليد، وستكون عاقبتهم عاقبة كل ظالم لنفسه، معاند للحق

أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين (١٣) فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون (١٤) هود

﴿مثله﴾ لعله يريد نوعا خاصا من أنواع الاعجاز وهو الاتيان بالخبر الواحد بأساليب متعددة متساوية في البلاغة وحسن الاسلوب، وقوله (فان لم يستجيبوا لكم) الخ اي فان عجزوا ـ وهم لا بد عاجزون ـ فاعلموا انهم مبطلون في عنادهم، وان القرآن أنزل بعلم الله، فهو كتابه لا كتاب محمد (ص) وان لا إله إلا هو، فهل هم مسلمون بعد قيام الحجة عليهم ؟

ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) هود

تشير الآية إلى قصة نبي الله نوح مع قومه وما فعل الله بهم من الغرق، وكيف نجى الله نوحا ومن في السفينة، وإلى قصة نبي الله هود وقومه عاد وما قاساه معهم وكيف نجى الله هوداً ومن معه، وإلى قصة نبي الله صالح مع قومه ثمود، وقصة الناقة وعقرهم لها، وأخذ الله لهم بالصيحة، وقصة نبي الله ابراهيم ونبي الله لوط، وبشارة امرأة ابراهيم باسحاق، وقصة نبي الله شعيب واستهزاء قومه بدعوته، وإنجاء الله تعالى له، فمن اي طريق كان يعلم محمد الامي تلك الاخبار، وقوله (منها قائم وحصيد) الضمير للقرى، أي بعضها باق كالزرع القائم على ساقه، وبعضها عافي الاثر كالزرع الذي حصد

ذَٰلِكَ [1] مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) يوسف

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ، وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦) القصص

أي ما كنت يا محمد بجانب المكان الواقع في شق الغرب، وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور، وقوله (من الشاهدين) اي للوحي او على الوحي

---

(١) الاشارة إلى قصة نبي الله يوسف، اقرأ السورة لتراها مفصلة، فمن الذي علم محمدا ما كان من اخوة يوسف مع أخيهم، وما كان من نصر الله له ومكافأته على الصبر

اليه ، و(ثاويا) مقيما في اهل مدين الذين أرسل اليهم شعيب ، و(تتلو عليهم آياتنا) تقرؤها عليهم لتعلم منه قصصهم وأخبارهم ، لم يكن هذا ولا ذاك (ولكنا كنا مرسلين) ولذلك علمناك من أمرهم مالم تكن تعلم (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) اي لم تكن بجانب الطور اذ نادينا موسى ولكن علمناك (رحمة من ربك)

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ، فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ، وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ، وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ (٤٧) وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ، إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ، وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ (٤٩) وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ، قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) العنكبوت

(وما كنت تتلوا) أي حتى يتعلل أعداء الدعوة بأنك قرأت كتبا للسابقين، ولم تكن كاتبا فتتهم بأنك نسخت القرآن، ولذلك يقول (إذاً لارتاب المبطلون) اي لو كنت كذلك لشكوا في صدقك ، وكان لهم العذر في ذلك الشك، ولكن الله تعالى قطع أعذارهم فجعلك أميا لا تقرأ ولا تكتب . وقوله (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) اي كان من حقهم أن يكفيهم القرآن عن الآيات التي يقترحونها ، لانه يحمل دلائل الصدق ، وبراهين الاعجاز في بلاغته ، وعدم اختلافه ، وانطباقه على مصالح البشر ، وعدم مصادمته للعلم الذي اتفق عليه اهله ، وملاءمته لسنن الرشد الذي وصل اليه العالم في عهده ، ونزوله على يد نبي أمي في أميين يتلو عليهم آيات الله تلاوة صحيحة فصيحة ، ويزكيهم بذلك الكتاب ويرفع نفوسهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وهي العلم النافع وان كانوا قبل بعثته لفي ضلال مبين

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ (٣٤) الطور

هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢) وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣) الجمعة

عموم رسالة النبي (ص)

قل أي شيء أكبر شهدة ؟ قل الله شهيد بيني وبينكم ، وأوحي الي هذا القرءان لأنذركم به ومن بلغ ، أئنكم لتشهدون أن مع الله ءالهة أخري ؟ قل لا أشهد ، قل إنما هو إله وحد وإنني بريء مما تشركون (١٩) الانعام

أي سلهم يامحمد أي شيء شهادته أكبر شهادة وأعظمها وأصدق؟ثم أمره بأن يجيب عن هذا السؤال بأن أكبرالاشياء شهادة هو الله تعالى،وهو شهيد بيني وبينكم وشهادة الله هي شهادة آياته في القرآن ،وآياته في الاكوان وآياته في العقل والوجدان، وهذه الآيات بينها القرآن ،وأرشد اليها،فهو الدعوى والبينة والشاهد والمشهود له. وقوله (ومن بلغ) أي وأنذر من بلغه القرآن. و(من) من صيغ العموم ،وهو نص على عموم بعثة خاتم الرسل لجميع من بلغته الدعوة من العرب والعجم في كل مكان وزمان إلى يوم القيامة.

وهذا كتب أنزلنه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القري ومن حولها،والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون (٩٢) الانعام

(مبارك) من البركة وهي النماء والسعة النافعة كبركة الماء . ومن معاني المادة الثبات والاستقرار كبرك البعير ، ومعناه انه كثير الخير دائمه . وقوله (ولتنذر ام القرى ومن حولها) عطف على مادل عليه صفة الكتاب اي أنزله الله للبركات وتصديق ماتقدمه وللانذار. و(ام القرى) مكة ،كنيت بهذه الكنية لان فيها اول بيت وضع للناس،أو لانها حجهم ومجتمعهم، او لانها أعظم شأنا في الدين،أو لانهم يعظمونها كالام. والمراد بقوله (ومن حولها) اهل الارض كافة كماروي عن ابن عباس ويقويه

تسميتها بأم القرى. ونحن نعلم الآن علم اليقين ان الناس يصلون متوجهين إلى بيت الله فيها في جميع اقطار الارض ، فهذا مصداق كونهم حولها . فبعثته «ص» لاهل الارض جميعا ، ولذلك يقول في سورة الفرقان (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)

ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ، أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) الاعراف

انظر شرح الآية في بحث دلائل صدق الرسول «ص» ثم تأمل حصر الفلاح في الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه ـ لتفهم من ذلك الحصر ان شريعته عامة دائمة .وقوله (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) هو خطاب عام لجميع البشر من العرب والعجم، وتجه اليهم محمد بن عبد الله بأمر الله تعالى ينبئهم به انه رسول الله تعالى اليهم كافة، لا إلى قومه العرب خاصة ، فهو كقوله (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) وقوله (الذي يؤمن بالله) اي يؤمن بما يدعوكم للايمان به من توحيد الله تعالى (وكلماته) التشريعية التي أنزلها لهداية خلقه، وهي مظهر علمه وحكمته ورحمته، وكلماته التكوينية التي هي مظهر إرادته وقدرته

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) التوبة

(نور الله) هو القرآن . وقوله (بأفواههم) اي بكلمات تصدر من أفواههم. وقوله (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) لاشتماله على عقائد يطمئن لها الوجدان، وعبادات تتزكى بها النفس، وتشريع سياسي وقضائي جامع بين العدل والرحمة، ويقرر المساواة بين جميع الناس في الحق، مع تعظيم شأن العلم والعقل، واحترام حرية الارادة والرأي والوجدان، ومنع الاكراه على الاديان، والتوحيد المصلح للاجتماع البشري في العقائد والتعبد والتشريع ـ أتم الله ذلك كله على لسان خاتم النبيين، الذي أرسله رحمة للعالمين، وجعل آيته الكبرى علمية عقلية، وهي هذا القرآن، وكفل حفظها الى آخر الزمان (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) قرآن هذا حاله، وتلك غايته، كيف يقضون عليه بكلمة تخرج من أفواههم؟ وكيف يحولون بينه و بين النفوس . وقوله (ليظهره على الدين كله) يقال أظهره على الشيء جعله فوقه مستعليا عليه، والاستعلاء هنا بالعلم والحجة والسيادة والغلبة والشرف والمنزلة، ولا يكون كذلك إلا حيث كان خاتما للاديان، عاما لجميع الناس، وهو وعد من الله تعالى لهذا الدين بالظهور والغلبة، ونحن نؤمن بأن وعد الله حق لا يتخلف

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ (١) النَّبِيِّينَ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠) الاحزاب

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

«١» يطلق الخاتم على حلي الاصبع، وهو بفتح التاء وكسرها، و يطلق الخاتم بالكسر على آخر القوم. وقد قريء بفتح التاء وكسرها، ولا مانع من إرادة المعنيين معا لانهما غير متنافيين

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨) سبأ

اي وما أرسلناك إلا رسالة عامة لجميع الخلق لتبشرهم وتنذرهم. وقوله (كافة) اي رسالة محيطة بهم لانها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها واحد منهم. وتلفتنا الآية إلى أن ما في الكتاب الذي جاء به من تشريع هو كافل لجميع مصالح الناس في دينهم ودنياهم، فهو كاف لهم أن ينزل عليهم كتاب آخر. وتأمل قوله بعد ذلك (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) لتعرف ان كثيراً من الناس لا يعلم كفاية القرآن بمصالح الناس، ولو تأملوه لعرفوا منه ذلك

وَإِذْ صَرَفْنَا[1] إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَبًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ، أُولَئِكَ فِي ضَلَلٍ مُبِينٍ (٣٢) الاحقاف

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) الفتح

---

(١) الآيات المذكورة كآيات سورة الجن تريك عموم دعوة النبي «ص» للانس والجن كما تريك الآيات السابقة عموم دعوته لجميع اهل الارض عربيهم وأعجميهم، وتاريخ حياة الرسول «ص» يشهد بذلك فقد أرسل كتبا بالدعوة إلى الاسلام الى قيصر ملك الروم وكسرى أنوشروان والى المقوقس عظيم القبط وغيرهم

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) الصف

وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ، فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ، وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) الجن

(الهدى) هو القرآن، انظر إلى قوله في أول السورة (قل أوحي إلي انه استمع نفر من الجن) وقوله (فلا يخاف بخسا ولا رهقا) البخس نقص الشيء على سبيل الظلم و(رهقا) من رهقه الامر غشيه بقهر. والمعنى فلا يخاف جزاء ظالما أو مرهقا له، وإنما ينتظر الجزاء العادل. و(القاسطون) من قسط الرجل إذا جار، وأقسط إذا عدل، فألفها للازالة. و(غدقا) غزيراً. و(نفتنهم فيه) نختبرهم به لننظر أتقابل هذه بالشكر أم بالكفران؟ و(صعداً) شاقا. يقال: تصعدني كذا اي شق علي. ومنه (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) اي كأنما يطلب أمرا شاقا هو الصعود إلى السماء، فان صعود السماء يضرب به المثل فيما لا يستطاع

الاعتبار بالماضين

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (٩٥) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالارْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ؟ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ؟ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ ؟ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ (١٠٠) الاعراف

(البأساء) الشدة والمشقة كالحرب والجدب (الضراء) مايضر الانسان في بدنه او معيشته . و(عفوا) كثروا ونموا ، و(بياتا) وقت بياتهم ، و(مكرالله) تدبيره الخفي ، و(يهد) يتبين ، و(نطبع) نختم ، والآية بيان لسنة من سنن الله تعالى مع القرى التي ترسل فيها الرسل يبلوهم بالشدائد ليرجعوا اليه ، ثم يبدل نقمه بنعمه ، فان من الناس من تملكه النعمة ، ومنهم من تؤثر عليه الشدة ، فاذا لم تنفع معهم شدة ولا رخاء أهلكهم

والآية ترينا ان الطاعة سبب لمرضاة الله تعالى ونزول البركات من السماء والارض وان عصيان الله سبب لانتقامه ، وتلفتنا إلى مافعله الله تعالى بمن ورثنا الارض منهم وما حل بهم بسبب عصيان الله ، والخروج على أوامره

وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ، أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَاءِيلَ بِمَا صَبَرُوا ، وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) الاعراف

(السنين) جمع سنة وهي الحول ، والمراد حول فيه جدب وضيق ، وقوله (قالوا لنا

هذه) اي نحن المستحقون لها ،و (يطيروا) يتشاءموا، وقوله (ألا انما طائرهم عند الله) أي الشؤم الذي نسبوه إلى موسى وجعلوه من آثاره هو عند الله ومقتضى سنته، وهو الذي جعل لكل شيء قدرا من حسنة وسيئة ،ووضع لنظام الكون سننا تكون فيها المسببات على قدر الاسباب، و(القمل) صغار الذباب ،و(الدم) فسره زيد بن أسلم بالرعاف ،و(الرجز) العذاب، و(دمرنا) خربنا، و(يعرشون) يرفعون من عروش، وفي الآية وعد للمصلحين بأن يورثهم الله الارض، ووعيد للمفسدين بأن يدمر الله عليهم

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ (١) فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا، أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠) التوبة

فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ (٢) الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ؟ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (١٠٢) يونس

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ

---

(١) حظهم الدنيوي من الاموال والاولاد، و(خضتم كالذي خاضوا) اي في حمأة الباطل كالخوض الذي خاضوه، و(المؤتفكات) جمع مؤتفكة من الائتفاك وهو الانقلاب والخسف ،وهي قرى قوم لوط

(٢) وقائع الله تعالى فيهم، كما يقال ايام العرب لوقائعها

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ (١٠٩) حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْـَٔسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) يوسف

قَدْ مَكَرَ (١) الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَـٰهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٦) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰقُّونَ فِيهِمْ، قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ (٢٧) النحل

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّـٰغُوتَ، فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّـٰلَـٰلَةُ، فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) النحل

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ (٢)

(١) دبروا السوء للرسل، وقوله (فأتى الله بنيانهم من القواعد) تمثيل لاهلاك الله لهم، وهدم ما بنوه من أساسه

(٢) اي متقلبين في نعائهم، متنقلين في متاجرهم وأسباب دنياهم. وقوله (على تخوف) اي متخوفين بأن يهلك قوما قبلهم فيأخذهم العذاب وهم يتوقعونه، وهو قسم يخالف قوله (من حيث لا يشعرون)

فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٤٧) النحل

وَكَمْ قَصَمْنَا (١) مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥) الانبياء

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ (٢) لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ

---

(١) القصم أفظع أنواع الكسر ، وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم . و (يركضون) من الركض وهو ضرب الدابة بالرجل ، ومنه (اركض برجلك) والمراد انهم يفرون هاربين ، مسرعين في هربهم . و (حصيدا) كالزرع المحصود

(٢) أمهلتهم . و (نكير) انكار وتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا و (خاوية) ساقطة ، و (عروشها) سقوفها ، و (معطلة) متروكة لا يستقى منها مع وجود الماء فيها وآلاته ، لهلاك اهلها ، و (مشيد) مجصص أو مرفوع البناء ، والمعنى كم قرية أهلكنا ، وكم بئر عطلنا عن سقائها ، وكم قصر مشيد أخليناه عن ساكنيه

قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) الحج

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ (١) يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) النمل

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَٰرِثِينَ (٥٨) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ (٥٩) القصص

---

(١) (الرهط) النفر والجماعة، وقوله (لنبيتنه) من البيات وهو مباغتة العدو ليلا، وقوله (وإنا لصادقون) اي فيما أخبرنا، حيث أخبرنا اننا ماشهدنا مهلك أهله، بل شهدنا مهلكه ومهلك اهله جميعا، وما أشبه هذه بالاحتيال على الله تعالى، وانظر الى قوله بعد ذلك (ومكروا مكرا) الخ والتدبير كان لنبي الله صالح وشيعته من أولئك الرهط التسعة الذين يفسدون ولا يصلحون، فدمرهم الله وقومهم

فَكُلًّا(١) أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ، فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا، وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ، وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ، وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا، وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) العنكبوت

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ؟ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا(٢) الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالبَيِّنَٰتِ، فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) الروم

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا، وَهَلْ نُجَٰزِي إِلَّا الكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى الَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ

---

(١) من الامم السابقة، و(حاصبا) ريحا عاصفا فيها حصباء لقوم لوط، و(الصيحة) الصاعقة لمدين وثمود، والخسف لقارون، والغرق لقوم نوح

(٢) حرثوها، ومنه ﴿انها بقرة لاذلول تثير الارض﴾

فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) سبأ

﴿آية﴾ عبرة وفسرها بما بعدها ، و﴿سيل العرم﴾ قيل العرم المطر الشديد ، فهومن إضافة الموصوف لصفته ،وقيل سد يعترض به الوادي،وأصل الحرف من العرامة وهي شراسة وصعوبة في الخلق ، فأطلق على السيل الشديد ، وعلى السد القوي الذى مزقه السيل لانه أقوى منه ،و﴿خمط﴾ شجر ذوشوك ، أو كل نبت فيه مرارة ، و﴿السدر﴾ ورق النبق ، و﴿ظاهرة﴾ متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها ،او راكبة متن الطريق فهي ظاهرة للمارة ، و﴿أحاديث﴾ يتحدث الناس بهم و يعجبون من احوالهم

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ،فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّءِ ، وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، فَهَلْ يَنظُرُونَ[1] إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ؟ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ، وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤) فاطر

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ

﴿١﴾ ينتظرون،وسنة الاولين هلاك الظالمين ونجاة المصلحين

كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ (٢١) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ، إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٢٢) غافر

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ، سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨٥) غافر

﴿فرحوا﴾ الخ اغتروا بما عندهم من علم الحياة ، واعتقدوا أنه يغنيهم عن العلم بالله ورسله وسننه ، وعن الهدى الذي جاءت به الرسل ، وقد فرح بذلك العلم قبلهم قارون الذي قال ﴿انما أوتيته على علم عندي﴾ وما أجدر شبان زماننا أن يعتبروا بهذه الآية حتى لا يغتروا بما أوتوا من العلم ، ويعرفوا انهم في حاجة إلى العلم الذي جاءت به الرسل فهو الذي يزكي نفوسهم ، ويرفع من فطرهم ، و يحول بين الناس و بين هذه الشرور . ولماذا نذهب بعيداً فهذه اوربا وأميركا اغترتا بما عندهما من العلم ، وفرحتا بما أوتيتا من علوم الكيمياء والطبيعة ، وتسخير المخترعات الحديثة — فرحتا بذلك العلم ، واستغنتا به عن وحي الله وهديه ، فكان عاقبة امرهما ان سخرتاه لاذلال الانسان

والتخريب في الارض، واستغلال حاجة الضعيف، وكان مثل ذلك العلم فيهما كالثور الهائج، لا عقل يردعه، ولا خلق ينظمه. وما احسن تعبير الاستاذ الامام عن الوحي السماوي وتصويره بالعقل العام لجماعة البشر فهو منها بمثابة العقل للفرد يردعها و ينظمها و يكون مهيمنا على مخترعاتها ومحدثاتها، ولو أن العلم في اوربا كان خاضعا للدين الذي يأمر بالعدل والاحسان، وأن يعيش الضعيف بجوار القوي، والفقير مع الغني، لكان حال الناس اليوم احسن بكثير مما هم عليه

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ؟ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ؟ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ[1] (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥) الفيل

---

(١) جماعات و(سجيل) طين مطبوخ، والعصف حطام النبت المتكسر

وعد الله لا يتخلف

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ؟[١] (٨٧) النساء

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ؟[٢] (١٢٢) النساء

وَنَادَىٰ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالُوا نَعَمْ ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤) الاعراف

الوعد يكون في الخير والشر، يقال وعدته بنفع وضر وعداً، ولذلك يقول (أفمن وعدناه وعداً حسنا؟) فدل على أن هناك وعداً سيئا. والوعيد في الشر خاصة يقال منه أوعدته، ومن استعمال وعد في الشر (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده) وقوله (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم) وجملة الآيات تعطي أن وعد الله لا يتخلف سواء أكان بخير او بشر، وانظر الى سؤال أصحاب الجنة أصحاب النار وقولهم (نعم) لتعرف حقية وعد الله، وهل الوعد إلا إخبار بشيء يكون في المستقبل؟ واذا كان كذلك فكيف يخلفه الله؟ واذا أخلفه ألا يكون ذلك الاخلاف كذبا؟ والكذب قبيح من المخلوق فكيف بالخالق؟ وكيف يتفق وقوله (ومن أصدق من الله حديثا؟ — ومن أصدق من الله قيلا)؟

---

(١) الكلام الذي يبلغ الانسان من جهة السمع أو الوحي في يقظة أو منام. اي لا أحد أصدق من الله في حديثه، فاذا وعد فوعده حق

(٢) القيل والقول واحد

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ، هِيَ حَسْبُهُمْ ، وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨) التوبة

أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٥) يونس

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي ، وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ (٤٥) هود

وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ، فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم ، مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ، إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) ابراهيم

﴿قضي الامر﴾ اي قطع الامر وفرغ منه بدخول أحد الفريقين الجنة والآخر النار . وقوله (وعد الحق) هو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعد (ووعدتكم) خلاف ذلك (فأخلفتكم) وقوله (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي) يرينا مقدار سلطة الشيطان على النفوس ، وانها لا تعدو حد التزيين للمعصية ، والدعوة اليها . وقوله (ما أنا بمصرخكم) أي مغيثكم في ذلك الظرف العصيب (وما أنتم بمصرخي) بمغيثين لي . وانظر الى قوله (اني كفرت بما أشركتمون من قبل) لترى انهم أشركوا بالشيطان بطاعتهم له ، وانقيادهم اليه كلما أمرهم أو نهاهم ، فسمى الله طاعة الشيطان التي بينها في أول الآية شركا كما قال نبي الله ابراهيم لابيه ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان ﴾ اي لا تطعه

فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ، إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ابراهيم

وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ ، بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ النحل

الجهد بفتح الجيم المشقة، والجهد بالضم الوسع، والمعنى انهم أقسموا بالله واجتهدوا في الحلف أن يأتوا به على أبلغ مافي وسعهم من التأكيد لايبعث الله من يموت فهؤلاء لم يكتفوا بالكذب على الله تعالى بل اضافوا اليه قسما مبالغا فيه مؤكدا. وقوله بلى اثبات لما بعد النفي ، اي يبعثهم . وقوله ﴿وعداً﴾ أي وعد بذلك وعدا وأكده بقوله ﴿عليه حقا﴾

إِلاَّ مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُولَـٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ التِي وَعَدَ الرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُ بِالغَيْبِ ، إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ مريم

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي (١) الذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ مريم

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ ؛ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ الحج

---

(١) اي من الورود لقوله (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ۞ لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) و﴿جثيا﴾ من جثى على ركبتيه يجثو إذا جلس عليهما فهو جاث والجمع جثي

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ، يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ؟ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٢) الحج

﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ الفظيع من التجهم والبسور أو الانكار عليك ، اي تقرأ ذلك في وجوههم ، لان ذلك شأن الجاحد الذي امتلا قلبه حقدا وحسدا. وقوله (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) اي يبطشون بهم ، يمثل سخط هؤلاء على التالين لكتاب الله الذي يزلزل عقائدهم وماهم عليه من باطل. وترى هذه الآية ممثلة واضحة في كل زمن ، ترى ان كراهة بعض الناس للحق وأهله بادية على وجوههم ، وترى حقدهم على حفاظ كتاب الله الداعين اليه يجعلهم متوثبين للتنكيل بهم

أَفَمَنْ حَقَّ (١) عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ؟ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ؟ (١٩) لَـٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ ، وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠) الزمر

وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ (٢) لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ ؟ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢)

---

(١) اي أأنت مالك امرهم فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه ؟ يريك ان من حقت عليه كلمة العذاب واستحق عذاب الله وسخطه لا أحد يستطيع إنقاذه ولو كان نبيا ولو كان أفضل الانبياء فكيف بمن دونه ، ولذلك عقب ذلك بجزاء المتقين وختم الآية بقوله وعد الله لايخلف الله الميعاد

(٢) اي والساعة حق. وقوله (وبدا لهم سيئات ماعملوا) اي عقوبات اعمالهم السيئات وحل بهم جزاء ما استهزؤا به ، وتبين لهم ان وعد الله حق لا يتخلف

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلوا وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٣) الجاثية

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ الرَّسِّ[1] وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَٰبُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ، كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤) ق

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الوِلْدَٰنَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ، كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (١٨) المزمل

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ[2] (١١) وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) الطارق

---

(١) قيل هم قوم شعيب ، والرس واد نسبوا اليه ، والايك شجر ملتف ، وقوله فحق وعيد اي استحقوا ماتوعدتهم به من الجزاء

(٢) المطر (والصدع) الشق (وفصل) فاصل للنزاع و بين الحق والباطل

البعث

وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا؟ (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ، فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا؟ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ؟ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) الاسراء

﴿ورفاتا﴾ فتاتا، استبعدوا الاعادة بعد ان يكونوا عظاما ورفاتا، وقوله (قل كونوا حجارة اوحديدا اوخلقا مما يكبر في صدوركم) اي كونوا أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحي بأن تكونوا حجارة يابسة اوحديدا طبعه الصلابة مما يكبر في صدوركم عن قبول الحياة فانه قادر على أن يردكم اليها، فكيف إذا كنتم عظاما هي بعض اجزاء الحي بل عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره؟ وقوله (قل الذى فطركم أول مرة) اى الذى فطركم اول مرة هو الذى يعيدكم، ومن قدر على البدء قدر على الاعادة. وقوله فسينغضون اليك رءوسهم يحركونها تحرك تعجب واستهزاء

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ (١) زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ

(١) سكنت، وانظر تعليل العذاب بالكفر، وانكار البعث. وقوله (أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم) اى كان عليهم أن يفكروا فيما أمامهم من سموات وأرضين ليعرفوا أن من خلقها لا يستبعد منه ان يخلق مثلهم

بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَـٰتِنَا وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩) الاسراء

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ (٧) الحج

(ريب) شك، (ومخلقة) مسواة ملساء من النقصان والعيب (وغير مخلقة) غير مسواة وقوله (لنبين لكم) اي بذلك التدريج قدرتنا وحكمتنا، وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا، ولا تناسب بين الماء والتراب، وقدر على أن يجعل النطفة علقة، وبينهما تباين ظاهر، ثم يجعل العلقة مضغة، والمضغة عظاما قادر على إعادة ما أبداه بل هذا أدخل في القدرة من تلك وأهون في القياس، وورود الفعل غير

معدى إلى ما بينه إعلام بأن افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يحيط به الوصف ولا يكتنهه الذكر . وقوله (إلى اجل مسمى) هو وقت الوضع ، و (أرذل العمر) الهرم والخرف يعود فيه كهيئته الاولى في اوان طفولته ضعيف البنية ، سخيف العقل ، قليل الفهم وهو المراد بقوله في الآية الاخرى (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) وقوله (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) اي لتكون عاقبته ان يصير نساء بحيث إذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ، بيان لشأن الكبر وعادته ، و (هامدة) ميتة يابسة ، و (اهتزت وربت) تحركت بالنبات وانتفخت ، و (بهيج) حسن سار للناظر . وقوله (ذلك بأن الله هو الحق) الخ اى ذلك الذى ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الارض بأن الله هو الحق الثابت الموجود ، وانه قادر على إحياء الموتى ، وحكيم لا يخلف ميعاده ، وقد وعد الساعة والبعث فلابد ان يفي بما وعد

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَاقَالَ ٱلأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ؟ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَـٰذَا مِنْ قَبْلُ ، إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ أَسَـٰطِيرُ (١) ٱلأَوَّلِينَ (٨٣) قُلْ لِمَنِ ٱلأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ؟ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ؟ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ؟ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَـٰكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ فَأَنَّىٰ

(١) جمع اسطورة اى كتبه الاولون ولا حقيقة له ، ويجير يغيث من يشاء ، ولا يجار عليه ولا يغيث احد منه أحدا و (تسحرون) تخدعون عن توحيده وطاعته ، أنكروا البعث كما انكر غيرهم ، فذكرهم الله بآياته وقررهم بها ، والشأن في المقر بهذه الآيات ان لا ينكر البعث

تُسْحَرُونَ؟ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (٩٠) المؤمنون

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ؟ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ، إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ [١] (٦٩) النمل

وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ، وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ، وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٧) الروم

﴿اهون﴾ اى إذا نسب إلى المتعارف عندكم فهو اهون عليه من البدء، لان من اعاد منكم صنع شيء كان اهون عليه وأسهل من إنشائه، ولانكم تعتذرون للصانع اذا أخطأ في بعض ماينشئه بقولكم ﴿أول الغزو أخرق﴾ وتسمون الماهر في صناعته «معاودا» تعنون انه عاودها كرة بعد أخرى حتى مرن عليها. وقيل (أهون) بمعنى هين. وقوله (وله المثل الاعلى) اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره، فهو القادر الذي لا يعجز عن شيء. وانظر إلى الاحتراس الذي تفيده هذه الجملة بعد قوله (وهو أهون عليه) ليريك أن مثله لم يكن مثل المخلوقين في أن يلحقهم عي أو كلال، ولا تفهم من كلمة (اهون) أن في غيره مشقة، ولذلك أكده بقوله (وهو العزيز الحكيم)

ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ

﴿١﴾ هم الكفار الذين كذبوا بالبعث، يدعو الله تعالى المكذبين بالبعث ان يسيروا في الارض لينظروا مافعله الله باخوانهم في الجحود، وسلفهم في الاجرام، لعلهم يجدون في سيرتهم العبرة

كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا؟ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠) الروم

(فيبسطه) أي يبسطه تارة، ويجعله قطعا تارة . و(الودق) المطر . و(مبلسين) من الابلاس وهو الحزن المعترض من شدة اليأس، وقوله (فانظر الى آثار رحمة الله) الخ يلفتك الى برهان البعث ودليله ، وهو دليل حاضر بين يديك من وقت لآخر وهو إحياء الله الارض بعد موتها ، فعملية البعث في الارض ماثلة أمامك في الارض: تموت اليوم وتحيي غدا فلا معنى لانكاره

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ؟ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥) لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦) وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) لقمان

اي لو ثبت ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر ، وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلماته ، ونفد المداد كما قال (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) وكلمات الله هي كلمات التكوين كالاحياء والاماتة والاعزاز والاذلال والنفع والضر

وما الى ذلك من شئون الله تعالى فهي لا تقف عند حد كما قال (كل يوم هو في شأن) ويدل على ان الكلمات هنا كلمات تكون سابق الآية ولاحقها. انظر الى قوله في سابق الآية (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وقوله بعدها (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) وتأمل قوله (الا كنفس واحدة) لتعلم أن بعث الخلائق هين على الله تعالى ، وانظر إلى التقدمة التي سبقت الكلام على البعث يريك الله فيها ان شئونه لا تقف عند حد، وان أعماله اجل من ان تحصى، وإله له هذه الآيات لا يعجز ان يعيد الناس كما بدأهم مع ان خلقهم وبعثهم كخلق نفس واحدة ، وهو في كل آن يخلق نفوسا لا يحصيها غيره ، ولا يحيط بها سواه، وقوله (ان الله سميع بصير) اي يسمع كل صوت، ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله إدراك بعضها عن ادراك بعض، فكذلك يخلق

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ؟ (٧) أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ؟ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (٨) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٩) سبأ

(رجل) يريدون محمدا ﴿ص﴾ وقوله (بل الذين لا يؤمنون) الخ اي لم يكن محمد افترى الكذب على الله ولا مجنونا كما يزعمون بل الذين كفروا بالبعث في عذاب الله وسخطه، وفي الضلال البعيد عن الحق، وقوله (أفلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم؟) الخ يلفتهم الى آيات الله المحيطة بهم: من سماء رفعها ، وأرض بسطها ، وأنهار اجراها، وجبال ارساها ، فاذا كانت له هذه الآيات كيف يعجز عن بعث الناس. وقوله (إن نشأ نخسف بهم الارض) الخ اي عقوبة لهم على ذلك الانكار مع قيام الادلة، ووضوح البراهين ، و(كسفا) قطعا، و﴿منيب﴾ راجع الى الله

وَٱللَّهُ ٱلَّذِي أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، كَذَٰلِكَ (١) ٱلنُّشُورُ (٩) فاطر

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا؟ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ؟ (١٦) أَوَءَابَاؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ؟ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ (١٩) الصافات

﴿فاستفتهم﴾ اي استفت يامحمد هؤلاء المنكرين اهم اشد خلقا ام من خلقنا من سموات وأرضين وما بينهما ؟ ولاشك انهم سيعترفون بأن ما خلقناه اشد من خلقهم، وقوله ﴿انا خلقناهم من طين لازب﴾ بيان لاصل خلقتهم ، و«لازب» لزج، وقوله ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ اي عجبت من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة ، وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله ، أو عجبت من انكارهم البعث لوضوح دلائله وهم يسخرون من امر البعث ، و ﴿يستسخرون﴾ يبالغون في السخرية، وقوله ﴿قل نعم وأنتم داخرون﴾ اي نعم تبعثون وأنتم صاغرون، و ﴿زجرة﴾ صيحة ﴿فاذا هم ينظرون﴾ فاذا هم احياء ينظرون

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ (٩) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا

﴿١﴾ اي كذلك بعث الناس يشبه حياة الارض بعد موتها

سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ (١) فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) الزخرف

وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً (٢) مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ (١١) ق

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ؟ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ؟ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ؟ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) القيامة

(لا أقسم) الخ لان امر البعث اوضح من ان يقسم عليه، و(اللوامة) التي تلوم صاحبها على التقصير، وقوله (بلى) اي سنجمعها، وقوله (نسوي بنانه) اي نسوي سلامياته على صغرها ودقتها و نؤلف بينها حتى تستوي البنان، فمن يقدر على جمع العظام الصغار فهو على غيرها اقدر، ولعل الآية تشير الى ما في كل اصبع من خطوط وتعاريج لا تشتبه بخطوط اصبع شخص آخر، وهي آية من آيات الله في الانسان، وقد اعتمدوا في تحقيق الشخصيات الآن على بصمة الاصبع لان كل واحد له من خطوط الاصبع وتعاريجها ما ليس لغيره. وقوله (بل يريد الانسان ليفجر امامه) اي يريد أن يدوم

﴿١﴾ بمقدار يسلم معه العباد والبلاد (فأنشرنا) احيينا. وقوله (كذلك تخرجون) اي مثل ذلك الاحياء الذي صنعه الله بالارض تكون حياة الناس وإخراجهم من القبور

﴿٢﴾ كثير المنافع. و (الحصيد) الزرع الذي من شأنه ان يحصد، و﴿باسقات﴾ طوالا في السماء، و﴿نضيد﴾ منضود بعضه فوق بعض

فجوره فيما يستقبل من الزمان ،وقد بين ذلك الفجور بقوله (يسأل أيان يوم القيامة)؟ استبعادا وتهكما ،و (برق البصر) تحير وفزع من هول القيامة ، و(خسف القمر) ذهب ضوؤه .و (جمع الشمس والقمر) أي مكور ين اسودين ، و(وزر) ملجأ ،

أَيَحْسَبُ الإِنْسَنُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى[1]؟ (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّنْ مَّنِيٍّ يُمْنَى ؟(٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى؟ (٤٠) القيامة

(١) مهملا بدون امر ولا نهي ولا بعث ولا جزاء

الحساب

لِلّهِ مَا فِي السَّمٰوات وَمَا فِي الأَرْضِ، وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفسكمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ، فَيَغْفِرِ لِمَنْ يَشَآءِ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) البقرة!

فَلَنَسْئَلَنَّ الذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ المرسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ (٧) وَالوَزْنُ يَوْمَئذٍ الحَقُّ؟ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوٰزِينُه فَأُولٰئِكَ هُمُ المفلِحونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوٰزِينُه فَأُولٰئِكَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِئَايٰتِنَا يَظْلِمُونَ (٩) الاعراف

(الذين أرسل اليهم) وهم جميع الامم الذين بلغتهم دعوة الرسل كما قال (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين؟) ويسأل المرسلين عن التبليغ منهم والاجابة من قومهم. والآية تثبت السؤال العام يوم القيامة — أما قوله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) وقوله (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان) فيفسره قوله (يعرف المجرمون بسيماهم) فهو لا يسئل عن ذنبه ليعرف انه مجرم وإن كان يسئل عن إجرامه وقوله (فلنقصن عليهم بعلم) أي فلنقصن على الرسل وعلى اقوامهم كل ماوقع من الفريقين قصصا بعلم منا يحيط بكل ما كان منهم، لا يعزب عنه مثقال ذرة، و(ما كنا غائبين) عنهم في حال من الاحوال، بل كنا معهم نسمع مايقولون، ونبصر ما يعملون، ونحيط علما بما يسرون ويعلنون كما قال (وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا) وقوله (والوزن يومئذ الحق) الوزن تعرف مقدار الشيء، وقوله (الحق) اي العدل في محاسبة الناس. وقوله (فمن ثقلت موازينه) الخ قال الاستاذ الامام في تفسير سورة القارعة عند قوله (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية) الخ ثقل

ميزانك كان لك قدر وقيمة ، كأنك إذا وضعت في كفة ميزان كان لها بك رجحان وانما يكون المقدار والقيمة لاهل الاعمال الصالحة ، ويقال «خف ميزانك» سقطت قيمتك ، فكأنك لست بشيء حتى لو وضعت في كفة ميزان لم ترجح بك عن أختها ، ومن كان في هذه الحياة كثير الشر قليل الخير لم يبلغ بنفسه منازل الاخلاص لله في القول والعمل ، ولم يرتفع عن دنايا الامور وسفسافها ، ولم ينزه عقله عن الاشراك ، ولم يطهر قلبه عن رذائل الاخلاق ، فذلك كان في الناس أخا للعدم والفناء ، فماذا يكون في الآخرة ؟ لا ريب أنه لا يكون شيئا فلا وزن له ولا ترجح به كفة ميزان إذا وضع فيها ، وهذا معنى قوله (فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) وبهذا صح نسبة الثقل والخفة الى الموازين بأجمعها . ولو كان المعنى على ما قالوه فهو ما لا تدل عليه العبارة وكان من حق التعبير من رجحت كفة اعماله وخفت كفة أعماله

وتقدير الله الاعمال وما تستحقه من الجزاء على حسب ما يعلم ، لا على طريقة ما نعلم . فعلينا أن نفوض الامر اليه سبحانه مع الايمان به . ومن عجيب ما قاله بعض المفسرين «انه ميزان بلسان وكفتين كأطباق السموات والارض ، ولا يعلم ماهيته الا الله!!» فماذا بقي من ماهيته بعد لسانه وكفتيه حتى يفوض العلم فيه إلى الله؟ والكلام فيه جرأة على غيب الله بغير نص صريح متواتر عن المعصوم ، ولم يرد في الكتاب الا كلمة الميزان ، وقد عرفت ما يمكننا أن نفهم منها لننتفع بما نعتقد ، وما عدا ذلك فعلمه إلى الله سبحانه . وقد قالوا ان منكر الميزان المعروف لا يكفر خصوصا اذا كان القائل به يحدد له لسانا وكفتين ، مع أن البشر قد اخترعوا من الموازين ما هو أتقن من ذلك وأضبط وأوفى ببيان الموزون أفيأبى الحكيم الخبير الا استعمال ذلك الميزان الخشن الناقص الذي هدى العلم عقول البشر الى ما هو ادق منه؟ أيأبى عالم الغيب والشهادة أن يستعمل في وزن المعاني والمعقولات إلا ذلك الميزان الذي اخترعه بعض البشر قبل ان يبلغ بهم العلم ما بلغ بأهل العصر الحاضر وما سيبلغ بأهل العصور المقبلة؟ على أن جميع ما اخترع البشر وما يخترعون مهما دق ولطف انما هو معيار للاثقال الجسمانية والاوزان المحسوسة ، وهلا يكون الاليق بالمقام الالهي أن يكون ميزان المعاني المعقولة لديه أسمى وأعلى من أن يكون على نمط ما يستعمله البشر مهما ارتقت المعارف وسمت بهم العلوم؟ وهل يليق بمن يخاف مقام ربه أن يجرأ على القول بوجوب

الاعتقاد بأن الميزان الذي يزن الله به الاعمال يوم القيامة هو الميزان الذي تستعمله القبائل التي لم تزل في مهد الانسانية الاولى، ميزان ضعفاء العقول قصار الانظار، الذين لا يعرفون قيمة للايمان بالغيب، ولا لحياء العقل من الله وإطراقه عن أن ينظر الى ما تشامخ من غيوب الله الذي تعالى علمه وتعاظمت قدرته؟

عليك أيها المؤمن المطمئن الى ما يخبر الله به أن توقن ان الله يزن الاعمال ويجزي لكل عمل مقداره، ولا تسل كيف يزن ولا كيف يقدر فهو أعلم بغيبه والله يعلم وأنتم لا تعلمون اه ببعض تصرف

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا، إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ بِالْقِسْطِ(١) وَالذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤) يونس

وَإِنْ مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ(٢) لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١) الرعد

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ(٣) فِي الأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ

(١) العدل، والحميم الماء الشديد الحرارة (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم)

(٢) لا راد لحكمه، والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله، فأحكام الله نافذة لا استئناف لها، و(هو سريع الحساب) لا يشغله محاسبة أمة عن أمة أخرى

(٣) قرن بعضهم إلى بعض او قرنت أيديهم الى أرجلهم مغللين. و(الاصفاد) القيود، و(سرابيلهم) قمصهم

نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ، إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٥١) ابراهيم

وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُ (١) فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا (١٣) ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) الاسراء

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ (٢) ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا، وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) الكهف

وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ (٣) أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا

---

(١) عمله اي ان عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه

(٢) أي في الجو او يذهب بها بأن تجعل هباء منبثا (وحشرناهم) جمعناهم للحساب. و(نغادر) نترك ، و(صفا) مصطفين ظاهرين لا يحجب احد أحداً. وقوله (كما خلقناكم أول مرة) اي لا شيء معكم من مال وخدم ومناصب ، و(الكتاب) كتاب الاعمال و (مشفقين) خائفين

(٣) مثل في الصغر وهو تمثيل لعدل الله تعالى ، فقوله (أتينا بها) كافأنا عليها وقوله (وكفى بنا حاسبين) الغرض منه التحذير فان المحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتبه عليه شيء ، وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء ، حقيق بالعاقل أن يكون في أشد الخوف منه.

حَـٰسِبِينَ (٤٧) الانبياء

يَـٰبُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) لقمان

وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) غافر

وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً (١) كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ، إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) الجاثية

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَـٰهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦) المجادلة

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ (٢) اقْرَأُوا كِتَـٰبِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا

---

(١) اي على ركبها من شدة الهول ومستوفزة . و(ينطق عليكم) يشهد عليكم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان. و(نستنسخ) نستكتب الملائكة

(٢) خذوا . والهاء في «كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه» للسكت ، والاصل كتابي وحسابي ومالي وسلطاني

أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) الحاقة

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا[1] (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) النبأ

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) الانشقاق

قال الاستاذ الامام ماملخصه: ان الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم الصالحون أهل

---

(١) الحد الذي يكون فيه الرصد، اي حداً لهم يرصدون فيه للعذاب. و(مئابا) مرجعا و(أحقابا) مدداً متطاولة. و(حميما) الماء الشديد الحرارة، و(غساقا) القيح والصديد الدائم السيلان من اجساد اهل النار. وانظر الي تعليل العذاب بقوله (انهم كانوا لا يرجون حسابا) و(كذابا) تكذيبا

البر . اما الذي يؤتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ويقول واثبوراه ، اي واهلاكاه اي يتمنى ان يهلك ويفقد الشعور بما يلقاه كقوله (ياليتني كنت ترابا) وقوله (انه كان في اهله مسرورا) اي بما كان فيه من الترف والنعيم ومعاقرة اللذات، ومداعبة الشهوات، فاليوم ينعكس عليه حاله ويجد حزنا مكان سرور ، وألما بدل لذة - والحساب اليسير السهل تعرض عليه اعماله فيعرف منها ما يسر نسبته اليه ، ثم لا يناقش ولا يعترض بما يسوؤه ويشق عليه

أما الكلام في إيتاء الكتاب باليمين أو وراء الظهر فاليك ما يليق منه بكتاب الله ، وحكمته الباهرة :

اليمين تذكر في كتاب الله عبارة عن القوة أو اليُمن او الخير (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) قال صاحب الكشاف اي من قبل الخير وناحيته . وقال البيضاوي عن اقوى الوجوه وأيمنها او عن الدين او الخير . وجاء في بعض التفاسير من أتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق، ومن اتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات ، ومن اتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ، ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف، فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة . وقال في سورة الحاقة (ولو تقول علينا بعض الاقاويل * لأخذنا منه باليمين) اي لو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبراً . وقال البيضاوي وهو تصوير لاهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه . وقيل اليمين بمعنى القوة. وقال البيضاوي في تفسير قوله (فراغ عليهم ضربا باليمين) تقييده باليمين للدلالة على قوته لان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل - فاذا استعملت اليمين لتمثيل القوة قابلتها الشمال أو اليسار في تصوير الضعف، وكذلك يقال في الخير أو الشر وما يقابلهما.

ثم اليمين هنا آلة الاخذ لا آلة الاعطاء لانها مضافة الى ضمير العبد ، فيكون المعنى فأما من عرض عليه كتابه وقدم اليه سجل اعماله فتناوله بيمينه فأمره كيت وكيت ، ومن يتناول شيئا بيمينه يكون قد توجه اليه بعزمه، واندفع اليه بقوة نفسه ، بخلاف من يتناول ما يعطاه بيساره فان مد اليسار له دليل كراهته له، وأظهر في الدلالة على الكراهة والنفور مما يعرض عليه أن يستدبره ويعرض عنه فيكون وراء ظهره . فايتاء الكتاب باليمين او باليسار او وراء الظهر تمثيل وتصوير لحالة المطلع على اعماله في ذلك اليوم، فمن الناس من اذا كشف له عمله ابتهج واستبشر وهو التناول باليمين ، ومنهم

من اذا تكشفت له سوابق أعماله عبس وبسر، وأعرض عنها وأدبر، وتمنى لولم تكشف له، وهذا هو التناول باليسار او وراء الظهر، وبهذا اتفق المعنيان في الآيتين وقوله (انه ظن أن لن يحور) تعليل لسوء حاله في ذلك اليوم بظنه انه لا يرجع الى ربه فيحاسبه على ما قدم. وقوله (بلى) اي سيرجع الى ربه فيحاسبه .وقوله(ان ربه كان به بصيراً) ولذلك لم يتركه سدى بل جعل له حياة وراء هذه الحياة يحصد فيها ما زرع، ويحاسب فيها على ما قدم

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) القارعة

تقدم شرح الآية في أول البحث. وقوله(فأمه هاوية) اي مرجعه الذي يأوي اليه كما يأوي الولد الى أمه (هاوية) أي مهواة سحيقة يهوي فيها ، وسميت هاوية لانه يهوي فيها كما سميت العيشة راضية مع انه يرضى بها

صفة اليوم الآخر

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ، إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ[1] فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ، أَوَلَمْ تَكُونُوٓا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ؟ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ، إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ، إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٥١) هَٰذَا

(١) لا تقر في اماكنها من هول ما ترى (مهطعين) مديمي النظر . و (مقنعي رءوسهم) رافعيها ، و (أفئدتهم هواء) خالية عن القوة والجرأة . و (عند الله مكرهم) فيجازيهم عليه و (إن كان مكرهم) الخ اي وان عظم و (الاصفاد) القيود

بَلَٰغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ (٥٢) ابراهيم

وَمَنْ يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ، وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ، كُلَّمَا خَبَتْ(١) زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ؟ (٩٨) الاسراء

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ، وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا ، مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَىٰهَا ؟ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) الكهف

---

(١) سكنت

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (١) (٦٨) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠) وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا، كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) مريم

يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا (٢) (٨٥) وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦) لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا (٨٧) وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَـٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا (٩٥) مريم

---

(١) أي على ركبهم جمع جاث. وقوله (أيهم اشد على الرحمن عتيا) اى الذين هم اشد، والمراد بهم أئمة الكفر ورءوس الضلال ،وهم أشد الناس استكباراً عن الحق

٢) جماعة كوفود الملوك الذين ينتظرون الكرامة عندهم . و (وردا) عطاشا، وحقيقة الورود المسير إلي الماء. وقوله (لا يملكون الشفاعة) اي أن يشفع لهم، والاستثناء لتيئيس المجرم لانه لم يأخذ عهداً على ربه بالشفاعة له (وإدا) عجبا ومنكرا. وقوله (فردا) اي بعيدا عما خوله الله له في الدنيا من مال وأولاد وغير ذلك

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤) وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا (١١٠) وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢) طه

(زرقا) لان الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون الى العرب ، وقيل المراد بها العمى و (يتخافتون) يتهامسون لما يملأ قلوبهم من الرعب (فيذرها) اي يدع مقرها. و (قاعا صفصفا) مكانا مستويا. و (عوجا) اعوجاجا (ولا امتا) نتوءا يسيرا. وقوله (لا عوج له) اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته . و (عنت) خشعت وذلت ، والمراد وجوه العصاة

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ

(٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ (١) وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ، كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ، وَعْدًا عَلَيْنَآ ، إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ (١٠٤) الانبياء

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ (٢) الحج

بَلْ كَذَّبُوا بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا (٢) (١١) إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَآ أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَّا تَدْعُوا

---

(١) إدخال النفس. و(حسيسها) صوتها ، و(السجل) الصحيفة، وقوله (للكتب) أي ليكتب فيه أولما يكتب فيه

(٢) نارا شديدة الاستعار ، وقوله (تغيظا وزفيرا) اي سمعوا صوت غليانها شبيها بصوت المتغيظ الزافر ، و (مقرنين) مقيدين بالسلاسل، و (ثبورا) اي طلبوا الثبور والهلاك اي تعال ياثبور فهذا حينك وأوانك

ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤) الفرقان

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا؟ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ، وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (٢٢) وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا (٢٣) أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤) وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا (٢٦) ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ، وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا (٢٦) الفرقان

(لولا أنزل علينا الملائكة) أي لتخبرهم ان محمدا صادق او يروا ربهم جهرة وقوله (يوم يرون الملائكة) الخ يريد انهم لايرونهم الا في الآخرة، و(حجرا محجورا) كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم نازلة، يضعونها موضع الاستعاذة، من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه، فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا، و(مقيلا) المكان الذي يأوون اليه للراحة

وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَأُزْلِفَتِ[1] ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ؟ (٩٢)

---

(١) قربت، و(كبكبوا) اي أكبوا فيها مرة بعد أخرى، و(الغاوون) عبدتهم اي ألقي في النار مرة بعد اخرى الاصنام وعبدتها

مِنْ دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ؟ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) الشعراء

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ ٱللَّهُ، وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ (٨٧) وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ، صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ، إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) النمل

(داخرين) صاغرين، و(جامدة) ساكنة واقفة في مكانها، و(صنع الله) من المصادر المؤكدة كقوله (وعد الله ـ وصبغة الله) يريد ان الاثابة والمعاقبة هي صنع الله الذي أتقن كل شيء فهي اثابة على وجه الحكمة والصواب، ومنهم من قطع الآية عن سابقها ولاحقها وجعلها بيانا لسير الارض وجبالها في هذه الحياة، وانما خص الجبال لانها العلامة الظاهرة أمام الرائي فيخيل اليه ان الجبال جامدة غير متحركة تبعا للارض مع انها تمر بسرعة شديدة وأيد ذلك قوله (صنع الله الذى أتقن كل شيء) فاذا كان الموضع للتخريب لا للعمارة فلم يقول (اتقن كل شيء)؟ والله أعلم

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ، كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ[1] (٥٥) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ، فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا

---

(١) يصرفون عن الحق، وقوله (في كتاب الله) اى متمتعين به يتلى عليكم وعده ووعيده، وقامت عليكم حجته، و(يستعتبون) من قولك استعتبني فلان فأعتبته ـ اى استرضاني فأرضيته

مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧) الروم

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْءَانِ وَلَا بِالَّذِي (١) بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ ، يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ؟ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا ، وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَٰلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ، هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ؟ (٣٣) سبأ

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ ، وَالسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَٰبُ

---

(١) ماتقدمه من الكتب ، وقوله (مكر الليل والنهار) اى سبب ذلك مكركم بنا بالليل والنهار

وَجِاْىءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ؟ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) الزمر

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ أَنَّى(١) يُصْرَفُونَ ؟ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) غافر

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ، ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا

---

(١) اى كيف يخدعون عن الحق ، وقوله (ثم في النار يسجرون) من سجر التنور إذا ملأه بالوقود

عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَـٰذَا مَا لَدَيَّ
عَتِيدٌ (١) (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ
مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي
الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَـٰكِن كَانَ فِي
ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم
بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّـٰمٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ
نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ؟ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَزِيدٍ؟ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ
الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ
حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَـٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ق

يَوْمَ تَمُورُ (٢) السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠)
فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢)
يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَـٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا
تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَـٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا

---

(١) حاضر، و(أواب) رجاع إلى الله، كلما وقع في معصية تاب منها، و(حفيظ) حافظ لحدود الله، وقوله ﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ اى خافه وهو غائب عنه بذاته وان عرفه بدلائل قدرته وآثاره، و﴿منيب﴾ راجع إلى الله تعالى

(٢) تضطرب تجيء وتذهب، و(خوض) اندفاع في الباطل، و(يدعون) يدفعون بعنف، و(اصلوها) احترقوا بها

فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ، إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦) الطور

فَتَوَلَّ (١) عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ، يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨) القمر

فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً (٢) كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ (٤٠) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ، فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ (٤٢) الرحمن

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (٣) (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ

---

(١) انصرف عنهم اعلمك ان الانذار لايجديهم ، و (يوم) نصب بيخرجون و (نكر) منكر فظيع تنكره النفوس لهوله ، و (خشعا ابصارهم) ذليلة ، و (الاجداث) القبور ، و (مهطعين) مسرعين

(٢) حمراء كدهن الزيت ، و (آلاء) جمع ألىً وهو النعمة . وقوله (لا يسئل عن ذنبه) اي لانهم يعرفون بدون سؤال بدليل ما بعده . وقوله (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) تسحبهم الملائكة مرة بنواصيهم ومرة بأقدامهم

(٣) القيامة ، وتسمى القارعة لقرعها النفوس ، والصاخة ، والطامة ، وقوله (كاذبة) اي نفس تكذبها ، و (خافضة رافعة) تخفض اقواما وترفع آخرين . و (رجت الارض) حركت تحريكا شديداً حتى يتهدم كل شيء فوقها من جبل و بناء و (بست الجبال) فتتت

رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنۢبَثًّا (٦) الواقعة

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم، بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا، ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا (١) نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ، قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا، فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ، بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ؟ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (١٤) فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا، مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (١٥) الحديد

يَٰٓأَيُّهَا الذينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ، عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ

---

(١) انتظرونا، و(قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً) طرد لهم وتهكم بهم، و(فتنتم أنفسكم) أهلكتموها. (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر، و﴿الاماني﴾ طول الآمال والطمع، و(أمر الله) الموت، و(فدية) مايفتدى به

أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يَا أَيُّهَا الذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ، إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا، عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ، يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ، يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) التحريم

وَلِلذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا (١) وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ؟ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ (٩) الملك

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (٢) (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا

«١» هو شهيق اهلها كما قال (لهم فيها زفير وشهيق) او صوتها من الغليان. وقوله «وهي تفور» اي يسمع لها ذلك الصوت وهي تغلي بهم غليان المرجل. وقوله «تكاد تميز من الغيظ» اي تتشقق من شدة الغيظ، و«فوج» طائفة

«٢» مسترخية ساقطة القوة بعد ما كانت محكمة مستمسكة، و«ارجائها» جمع رجا مقصورا جوانبها

وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) الحاقة

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَٰحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ (١٣) وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ (١٨) المعارج

(سأل) اي عنى واهتم سائل ولذلك عداه بالباء، اي سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل؟ وبمن يقع؟ و«للكافرين» متعلق بواقع أي بعذاب نازل لاجلهم، و«المعارج» جمع معرج. وقوله «تعرج الملائكة والروح اليه» الخ بيان لبعد مدى هذه المعارج في العلو والارتفاع، واليوم هنا من أيام الله التي يدير فيها شئون الامم وعقوبتهم. وقوله «فاصبر صبراً جميلا» اي على تعنتهم واستعجالهم عذاب الله. و«المهل» دردي الزيت و﴿العهن﴾ الصوف المنفوش، و﴿لا يسأل حميم حميما﴾ لان بكل أحد مايشغله. وقوله يبصرونهم) اى ليس المانع من السؤال ان بعضهم لايبصر بعضا بل المانع هو التشاغل لانهم يبصر بعضهم بعضا. و﴿فصيلته﴾ عشيرته ﴿ثم ينجيه﴾ عطف على يفتدى اى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء، و﴿كلا﴾ ردع للمجرم عن الودادة، وتنبيه على انه لاينفع الافتداء، و﴿لظى﴾ علم للنار، و﴿الشوى﴾ الاطراف أو جمع شواة وهي جلدة الرأس، و﴿تدعو﴾ تطلب ﴿من أدبر﴾ عن الحق، وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢)
يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ (١) سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ
(٤٣) خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ، ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا
يُوعَدُونَ (٤٤) المعارج

وَذَرْنِي (٢) وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١) إِنَّ
لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ
تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا (١٤) إِنَّا
أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا
(١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا (١٦) فَكَيْفَ
تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَٰنَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ
كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا (١٨) المزمل

فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى
الْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ

«١» القبور و«نصب» ما نصبوه للعبادة من دون الله ، و«يوفضون» يسرعون
و﴿خاشعة ابصارهم﴾ ذليلة

﴿٢﴾ دعني وإياهم فأنا الكفيل بمجازاتهم ، و(النعمة) التنعم ، و﴿أنكالا﴾
جمع نكل بكسر النون قيد الدابة ، أي ان عندنا قيوداً . اوجمع نكال ماينكل به
(فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها) اي عظة واعتبارا . و(كثيبا) رملا مجتمعه
و(مهيلا) اي نثر وأسيل ، و(وبيلا) ثقيلا غليظا . و(منفطر) متشقق

لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ؟ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) المدثر

(فاذا نقر) اي إذا نفخ في الصور (وحيدا) اي دعني وحدي معه فأنا أجزيك في الانتقام منه، اوالمراد انه لامال له ولا ولد كقوله ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة﴾ و (ممدودا) مبسوطا كثيرا، و(كلا) ردع له وقطع لرجائه (سأرهقه صعودا) سأغشيه عقبةشاقة المصعد(انه فكر) الخ تعليل للوعيد(وقدّر) هيأ في نفسه مايقول. وقوله (فقتل كيف قدر) أي هلك كيف قدر؟ والمراد ان تقديره هو طريق هلاكه (ثم عبس و بسر) قطب في وجوههم، و(لواحة للبشر) من لاحه العطش ولوحه اذا غيره فهي تسود البشرة باحراقها

يَسْأَلُ أَيَّانَ (١) يَوْمُ الْقِيَامَةِ؟ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ

---

(١) اي متى هذا الوعد؟ و(برق البصر) تحير فزعا. و(جمع الشمس والقمر) في ذهاب الضوء. و(الوزر) الملجأ. و(بصيرة) حجة. و(لو ألقى معاذيره) جاء بكل معذرة. و(جمعه وقرآنه) أي جمعه في صدرك واثبات قراءته في اسانك (فاذا قرأناه) بواسطة جبريل (ناضرة) مستبشرة. و(باسرة) شديدة العبوس (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر

يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّؤُا الإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥) لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) القيامة

انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم[1] بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ (٣٠) لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَالأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) المرسلات

﴿١﴾ وهو العذاب. والظل الدخان. وقوله ﴿لا ظليل﴾ اى ليس فيه متاع كظل المؤمنين. وقوله ﴿ كالقصر ﴾ اى في العظم، و ﴿جمالة ــ و ــ جمالات﴾ جمع جمل

إنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا[1] (١٧) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) النبأ

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ (٢) الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) النازعات

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ

---

(١) حدا توقت به الدنيا . و (أفواجا) جماعات مختلفة . (وسيرت الجبال) تمثيل لمور الارض في ذلك اليوم

(٢) القيامة، ووصفها بالكبرى لانها كبرى الطامات . و «طغى» جاوز حدود الله المضروبة في احكامه، وفضل لذائذ هذه الحياة على ثواب الآخرة. و (المأوى) المرجع. و (مقام ربه) جلاله وعظمته

أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤) التكوير

(كورت) تدهورت وسقطت. و(انكدرت) تناثرت وذهب لألأوها. و﴿سيرت﴾ تقطعت أوصالها. و﴿العشار﴾ جمع عشراء بضم العين وفتح الشين النياق إذا مضى على حملها عشرة أشهر حتى تلد، وهي أكرم مال العرب. و﴿عطلت﴾ تركت بدون رعاية. (واذا الوحوش حشرت) أي جمعت لاستيلاء الرعب عليها، وقد كانت الناس ترهبها قبل ذلك. و (سجرت) اي فجر الزلزال ما بينها حتى صارت بحرا واحدا. ولذلك يقول في آية أخرى «واذا البحار فجرت» وقيل تسجيرها اضرامها نارا، فان ما في بطن الارض من النار يظهر اذ ذاك بتشققها، وتمزق طبقاتها العليا، أما الماء فيذهب عند ذلك بخارا، ولا يبقى في البحار الا النار. و﴿زوجت﴾ اي قرنت بأبدانها، او قرنت بما يشاكلها. و﴿الموءودة﴾ التي دفنت في صغرها حية بدون ذنب. و (الصحف) هي صحف الاعمال. و﴿كشطت﴾ أزيلت

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ [1] (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) الانفطار

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) الانشقاق

﴿وأذنت﴾ استمعت لامر ربها وفعلت فعل المطواع الذي إذا أورد عليه الامر من جهة آمره أنصت له وأذعن. (وحقت) أي حق لها أن تمتثل أي يجدر بها ذلك لانها مخلوقة له في قبضته، وهو الذى يمسكها ان تزول، فاذا اراد تبديد نظامها بدده وقيل (حقت) طويت كالحق. ﴿ومدت﴾ زاد حجمها، ويتبع ذلك ان جميع ما في جوف الارض ينقذف إلى خارج

«١» بحثت وأخرج موتاها

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ (١) الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِايءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ، يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ؟ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) الفجر

إِذَا زُلْزِلَتِ (٢) الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ؟ (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) الزلزلة

الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ ؟ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ؟ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ

---

(١) هدمت (وجاء ربك) رأي السلف فيه انه مجيء نؤمن به ولا نطلب معناه ولكنه يمثل لنا الهيبة والعظمة، وذلك السلطان الالهي. ومذهب الخلف انه جاء امره، اومن قبيل التمثيل لتجلي السطوة الالهية على القلوب كما تتجلى أبهة الملك للاعين اذا جاء في جيوشه ومواكبه، ولله المثل الاعلى (يوثق) يشد ويربط

(٢) اضطربت. و(أثقالها) مافيها من كنوز ودفائن وأموات. و(تحدث أخبارها) اي تنبيء الناس بخبرها وهو أن ربك أوحى لها بذلك، وهو تمثيل اي ان حالها وما يقع فيها من الانقلاب يعلم السائل ويفهمه الخبر. و(أشتاتا) متفرقين

الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ؟ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) القارعة

(القارعة) اسم من أسماء القيامة كالحاقة والصاخة والطامة والغاشية، لانها تقرع القلوب بهولها. وقوله (وما أدراك ما القارعة)؟ زيادة في تعظيم تلك الحادثة العظيمة (والفراش) الطير الذي يترامى على ضوء السراج ليلا. و(العهن) الصوف. وثقل الموازين وخفتها تقدم شرحه في بحث الحساب ص ٢٠١ و(أمه هاوية) اي مرجعه الذي يأوي اليه كما يأوي الولد الى أمه. و (هاوية) مهواة سحيقة يهوي فيها

الجزاء في الآخرة

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ، وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ قَالُوا نَعَمْ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ، وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٧) وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ، قَالُوا مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ؟ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩) وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ، قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٥٠) ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا، فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١) الاعراف

(لا تفتح لهم ابواب السماء) اي لا ترفع أعمالهم الى الله، او أن أرواحهم لا تصعد الى الله بعد الموت. وقوله «حتى يلج الجمل في سم الخياط» اي حتى يدخل الجمل على عظمه ثقب الابرة التي يخاط بها، وهو تيئيس من دخولهم الجنة. و(غل) حقد و(يبغونها عوجا) يطلبونها طريقا معوجة. و(الاعراف) مكان بين الجنة والنار مشرف عليهما. والرجال الذين عليه هم طائفة من الملائكة على صورة الرجال

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ، أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٦) وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ، مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا، أُولَٰٓئِكَ

أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٧) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ، فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ، وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠) يونس

(الحسنى) المثوبة الحسنى . و(قتر) غبرة . و (ذلة) أثر هوان . و« أغشيت» غطيت. و«مكانكم»الزموا مكانكم لاتبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم (فزيلنا بينهم) فرقنا وقطعنا الوصل الذي كان يربطهم . وقوله ﴿ان كنا﴾ اي ينطقهم الله بأنهم كانوا غافلين عن عبادتهم لهم . و(تبلو) تختبر وتذوق . و ﴿ما كانوا يفترون﴾ يدعون انهم شركاء

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا؟ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَيَقُولُ الْأَشْهَٰدُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّٰلِمِينَ (١٨) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ (١٩) أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ، يُضَٰعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ، مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١)

لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ (٢٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٣) مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ، هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟ (٢٤) هود

(الاشهاد) من الملائكة والنبيين (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة، أو يبغون اهلها أن يعوجوا بالارتداد عنها. وقوله (ما كانوا يستطيعون السمع) الخ لفرط تصاممهم عن استماع الحق وتعاميهم عن آيات الله. وقوله (خسروا انفسهم) أبلغ تصوير للخيبة والشقاوة وهو أن يخسر الانسان نفسه التي بين جنبيه وقوله (لاجرم) اي ليس بجرم أن يكونوا هم الاخسرين في الآخرة كقوله (لاجرم انلهم النار) اي ليس بجرم أن يعاقبوا بذلك، وانما هو العدل والحكمة. (واخبتوا) اطمأنوا وخشعوا

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ، ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ، وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَاشَاءَ رَبُّكَ، إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَاشَاءَ رَبُّكَ، عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) هود

(مادامت السموات والارض) سموات الآخرة وأرضها كما قال (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) اوهو عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع . وقوله (إلا ماشاء ربك) الغرض من ذلك الاستثناء كالغرض من قوله (سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله) اذ ليس المراد ان هناك وقتا ينسى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن، وانما هو استثناء سيق لتأكيد ماقبله، ليلفتنا الى انه هو الذي جعله لا ينسى وهيأه لذلك، ولو شاء لجعله على غير ذلك، فكذلك هنا لم يسق الاستثناء ليكون من النفي اثبات اومن الاثبات نفي، بل هو تذكير للنفس بأنه لولا مشيئة الله أن يدخل العصاة جهنم والمطيعين الجنة ما كان شيء من ذلك. و (مجذوذ) منقطع وتأمل الفرق بين آية الاشقياء حيث ذيلها بقوله (ان ربك فعال لما يريد) وآية السعداء حيث ختمها بقوله (عطاء غير مجذوذ) انظر ج ٨ من تفسير المنار

أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ؟ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩) ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ (٢٠) وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ (٢١) وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ (١) بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ (٢٢) جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ (٢٤) وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ

(١) يدفعون . و (عقبى الدار) عاقبة الدنيا وهي الجنة . وتأمل قوله (ومن صلح من آبائهم) الخ لترى انه ليس هناك محسوبية ، بل هي دار جزاء ، للآباء والابناء ، و (سوء الدار) عذابها ، والدار جهنم

مِيثَـٰقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٢٥) الرعد

وَٱسْتَفْتَحُوا (١) وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ، وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧) مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ، ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ (١٨) ابراهيم

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ (٢) إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) الحجر

---

(١) استنصروا الله على أعدائهم. و(صديد) ما يسيل من جلود أهل النار (يتجرعه) يتكلف جرعه. (ويأتيه الموت) أسباب الموت وأصنافه كأنها تألبت عليه وأحاطت به من جميع الجهات (لا يقدرون مما كسبوا على شيء) اي لا يرون له أثراً من ثواب كما لا يقدر الانسان من الرماد المطير في الريح على شيء

(٢) حقد و (نصب) مشقة

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِىَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰقُّونَ[1] فِيهِمْ ؟ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْىَ الْيَوْمَ وَالسُّوٓءَ عَلَى الْكَٰفِرِينَ (٢٧) الَّذِينَ تَتَوَفَّٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ، فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ؛ بَلَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا خَيْرًا ، لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ ، لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ، كَذَٰلِكَ يَجْزِى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ، يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) النحل

مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ، ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا[2] (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) الاسراء

وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ، فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ

(١) تخاصمون المؤمنين في شأنهم (فألقوا السلم) سالموا وأخبتوا

(٢) مطرودا من رحمة الله

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا [١] وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ، مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ، نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١) الكهف

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ، إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا [٢] (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ

---

(١) شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط الذي هو مجتمع اهل الصقع . وقيل دخان يحيط بالكفار . و (المهل) دردي الزيت و (سندس) ما رق من الديباج ، و (استبرق) الغليظ منه

(٢) ما يعد للنزيل وهو الضيف ، وهو تهكم بهم كقوله (فبشرهم بعذاب أليم)

ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً (١٠٨) الكهف

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا [١] (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُولَـٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُ بِٱلْغَيْبِ ، إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا، وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣) مريم

إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُولَـٰئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ، وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ [٢] (٧٦) طه

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ

«١» كل شر عند العرب غي ، وكل خير رشاد . او المعنى جزاء غي ، وقوله (بالغيب) اي وهي غائبة عنهم، أو بتصديق الغيب والايمان به، و(لغوا) فضول الكلام.

(٢) تطهر بطاعات الله

وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ طه

تأمل ذلك الوعيد لترى الفرق بين من رضي عن الله ورضي الله عنه ، وبين من سخط على قدر الله وقسمته وسخط الله عليه ، تجد الاول سعيدا بما أعطاه الله ، راضيا بما قسمه الله له ، وترى الثاني ساخطا شرها ، لا يملأ عينه شيء ، ولا يقنع قلبه بشيء ، وشتان ما بين الصنفين ، و (نسيتها) تركتها ولم تعول عليها ، في أمرها ونهيها ، ووعدها ووعيدها

هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ،[1] فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ، يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا، وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ، يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَٰطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ الحج

قُلْ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ الحج

---

(١) اي في دينه ، و (الحميم) الماء الحار ، و (يصهر) يذاب ، و (مقامع) سياط

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ (١) مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥٧) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩) الحج

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُ فَأُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ (٢) وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ (١٠٦) رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَـُٔوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ

(١) شك منه ، و (عقيم) لاخير فيه لهم

(٢) تحرق ، و «كالحون» من الكلوح وهو أن تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرءوس المشوية ، و (اخسؤا) ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت

فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) المؤمنون

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (١) (٤٣) مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَٰفِرِينَ (٤٥) الروم

أَفَمَن كَانَ (٢) مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا؟ لَّا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠) السجدة

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَٰفِرِينَ (٥٤)

---

(١) يتفرقون، (يمهدون) أي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه لئلا يصيبه ما ينغص عليه

(٢) انكار لتسوية الله: المؤمن بالفاسق

يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥) العنكبوت

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) الاحزاب

لعل في الآية عبرة لقوم يعصون ربهم ويفسدون في الارض ويعتذرون عن اعمالهم بأنها أوامر رؤسائهم فجرمها عليهم، وقد نسوا أن اوامر الله فوق اوامر المخلوقين، وان حق الله فوق حقهم، وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، واذا كان الله تعالى اوجب عصيان الوالدين اذا أمرا بالشرك مع انه جعل طاعتهما مقرونة بطاعته، ولهما من الحق عليك ما ليس لمخلوق آخر، فكيف بالرئيس؟ أيأمرك الله بطاعته فيما يخرج على دينه؟

ثُمَّ أَوْرَثْنَا[1] الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ، ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ

(١) جعلنا أمتك ورثة له، واصطفاء أمته لميراث الكتاب اختيارها، ولذلك قسمهم الله أقساما، فمنهم ظالم بالتقصير في العلم والعمل، ومنهم مقتصد فيهما غير مقصر ولا مشمر، ومنهم سابق بالخيرات يضم اليهما التعليم والارشاد، وقوله «باذن الله» اي بتوفيقه وهدايته، و (المقامة) الاقامة

أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا، وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ، إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ، لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ، لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا، كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ، فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧) فاطر

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ (١) فَاكِهُونَ، هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (٥٨) وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ؟ (٦٢) هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ

---

(١) عارض يذهلهم من شدة الفرح، و (فاكهون) متنعمون، و (جبلا) اجيالا أو خلقا، و (اصلوها) احترقوا بها، و (نختم على أفواههم) نمنعها من الكلام

تَكْفُرُونَ (٦٤) ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٦٥) يس

أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ؟ (٥٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ؟ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ؟ (٥٤) فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ؟ (٥٩) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ (٦١) أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ؟ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ

مِنْهَا ٱلْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ (٦٨) الصافات

﴿ من معين ﴾ أي من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون و(غول) مايغتال العقل كخمر الدنيا و(ينزفون) من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف و(قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن و(عين) جمع عيناء واسعة العيون و(مكنون) مستور في الاراضي و(مدينون) مجزيون و (سواء) وسط و(لتردين) لتهلكني و(المحضرين) الذين أحضروا العذاب.

وقوله (أفما نحن بميتين؟) الخ عطف على محذوف اي أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين؟ وهذا قول أهل الجنة و (فتنة) محنة وبلاء و (أصل الجحيم) قعر جهنم (وطلعها) مايطلع ويظهر منها (كأنه رءوس الشياطين) اي رءوس الحيات القبيحة المنظر (وشوبا) خلطا

هَـٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٤٩) جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ (٥٠) مُتَّـكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ (٥٤) هَـٰذَا وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (٥٦) هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ (٥٨) هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا ٱلنَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا

مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ (٦١) ص

﴿ وعندهم قاصرات الطرف أتراب ﴾ أسنانهن كاسنانهم ـ وغساق ـ مايغسق من صديد أهل النار (وآخر) مذوق آخر و(فوج مقتحم معكم) جمع كثيف مقتحم معكم النار . وقوله (لامرحبا بهم) دعاء منهم على اتباعهم . وقوله (قالوا) الخ دعاء من الاتباع على المتبوعين لانهم الذين قدموا لهم هذا العذاب وكانوا قدوة سيئة لهم (وضعفا) مضاعفا

قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ، أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ (١٥) لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ [1] ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ، يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ (١٦) وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ، فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ، أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا ٱلْأَلْبَـٰبِ (١٨) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ ؟ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ؟ (١٩) لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ، تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ، وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ (٢٠) الزمر

وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ، فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ؟ (٤٧) قَالَ

(١) الظلل جمع ظلة وهو مايلقي ظله على من تحته ، فالظلل التي من تحتهم هي لطبقة تحتها لان النار طبقات ودركات بعضها تحت بعض ، كما أن للجنة غرفا بعضها فوق بعض

الذينَ استكبروا إنّا كلٌّ فيهَا، إنَّ اللهَ قدْ حكمَ بينَ العبادِ (٤٨)
وَقالَ الذينَ في النّارِ لخزنَةِ جهنّمَ ادعُوا ربّكمْ يخفّفْ عنّا يومًا
منَ العذابِ (٤٩) قالوا أوَ لمْ تكُ تأتيكمْ رسُلكم بالبيّنتِ؟ قالوا
بلى، قالوا فادعُوا، ومَا دُعاءُ الكفرينَ إلاّ في ضلَلٍ (٥٠) إنّا لننصرُ
رُسلَنا والذينَ ءامنُوا في الحيوةِ الدُّنيا ويومَ يقومُ الأشهدُ (٥١)
يومَ لا ينفعُ الظّلمينَ معذرتهمْ ولهمُ اللّعنةُ ولهُمْ سوءُ الدّارِ
(٥٢) غافر

ويومَ يُحشرُ أعداءُ اللهِ إلى النّارِ فهُمْ يوزعُونَ(١) (١٩) حتّى
إذا ما جاءوهَا شهدَ عليهِمْ سمعُهمْ وأبصرُهمْ وجلودُهمْ بما كانُوا
يعملُونَ (٢٠) وقالوا لجلودِهمْ لمَ شهدتّمْ علينا؟ قالوا أنطقَنا اللهُ
الذي أنطقَ كلَّ شيءٍ وهوَ خلقَكمْ أوّلَ مرّةٍ، وإليهِ ترجعُونَ (٢١)
وما كنتُمْ تستترونَ أن يشهدَ عليكمْ سمعُكمْ ولا أبصرُكمْ ولا
جلودُكم، ولكنْ ظننتُمْ أنّ اللهَ لا يعلمُ كثيرًا ممّا تعملُونَ (٢٢)
وذلكمْ ظنُّكمُ الذي ظننتُمْ بربّكمْ أردكُمْ، فأصبحتُمْ منَ
الخسرينَ (٢٣) فإنْ يصبروا فالنّارُ مثوًى لهُمْ، وإن يستعتبُوا
فما هُم منَ المُعتَبينَ (٢٤) فصلت

الأخلاءُ يومئذٍ بعضُهمْ لبعضٍ عدوٌّ إلاّ المتّقينَ (٦٧) يعبادِ

---

(١) يحبس أولهم عن آخرهم و(ارداكم) اهلككم و(مثوى) مأوى و(ان يستعتبوا)
اي ان سألوا ان يرضوا ربهم فلا يجابون

لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون (٦٨) الذين ءامنوا بئايتنا وكانوا مسلمين (٦٩) ادخلوا الجنة أنتم وأزوجكم تحبرون [١] (٧٠) يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خلدون (٧١) وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون (٧٢) لكم فيها فكهة كثيرة منها تأكلون (٧٣) إن المجرمين في عذاب جهنم خلدون (٧٤) لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون (٧٥) وما ظلمنهم ولكن كانوا هم الظلمين (٧٦) ونادوا يملك ليقض علينا ربك قال إنكم مكثون (٧٧) الزخرف

إن شجرت الزقوم (٤٣) طعام الأثيم [٢] (٤٤) كالمهل يغلي في البطون (٤٥) كغلي الحميم (٤٦) خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم (٤٧) ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم (٤٨) ذق إنك أنت العزيز الكريم (٤٩) إن هذا ما كنتم به تمترون (٥٠) إن المتقين في مقام أمين (٥١) في جنت وعيون (٥٢) يلبسون

---

(١) تسرون سروراً يظهر حباره اي اثره على وجوهكم و(يفتر) يخفف و(مبلسون) يائسون من شدة الحزن

(٢) الفاجر و(المهل) دردي الزيت و(سواء الجحيم) وسطها و(تمترون) تشكون و(أمين) يأمن صاحبه فيه المكاره و(سندس) الرقيق من الديباج والاستبرق ضده و(حور عين) ما في عينها حور و(عين) واسعة العينين

مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ (٥٣) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ، ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٥٧) الدخان

مَّثَلُ(١) ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ، فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ، وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ، وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ (١٥) محمد

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ، كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ

(١) صفتها ماتبينه الآيات و (آسن) من اسن الماء اذا تغير طعمه وريحه

لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) الطور

﴿ فاكهين ﴾ متلذذين و(ألتناهم) نقصناهم وانظر الى قوله (واتبعتهم ذريتهم بايمان) وختام الآية بقوله « كل امريء بما كسب رهين » لترى عدل الله وحكمته و (يتنازعون) يتعاطون و يتجاذبون. و(لا لغو فيها ولا تأثيم) اي لا يتكلمون في أثناء الشرب بسقط الحديث ولا يفعلون ما يأثم به فاعله و(مكنون) اي في الصدف و(مشفقين) خائفين.

هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٤٥) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٥٩)

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَٰنِ إِلَّا الْإِحْسَٰنُ؟ (٦٠) فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٦١) وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٦٣) مُدْهَامَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٦٧) فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٧١) حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٧٥) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٧٧) تَبَٰرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨) الرحمن

﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ حار و(مقام ربه) موقفه في الحساب و(افنان) اغصان و(جنى) المجني منهما (دان) قريب و (قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على الازواج و (لم يطمسهن) لم يفتضهن و (مدهامتان) مخضرتان و(نضاختان) فوارتان بالماء و(رفرف خضر) ضرب من البسط وقيل الوسائد و(عبقري) اي ثياب معمولة عملا جيداً كما يطلق العبقري على الماهر الذي يعمل عملا عجيبا

وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً (٧) فَأَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ؟ (٨) وَأَصْحَٰبُ الْمَشْـَٔمَةِ مَا أَصْحَٰبُ الْمَشْـَٔمَةِ؟ (٩) وَالسَّٰبِقُونَ

ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا (٢٦) وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ؟ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً (٣٥) فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ (٤٠) وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ؟ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ؟ (٤٧)

أَوَءَابَاؤُنَا الأَوَّلُونَ؟ (٤٨) قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ المُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا البُطُونَ (٥٣) فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الحَمِيمِ (٥٤) فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) الواقعة

﴿وكنتم أزواجا﴾ أصنافا (والسابقون) اي الى ما دعاهم ربهم وليس المراد السابقين في الزمن ولذلك قال فيهم (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) و(ثلة) أمة كثيرة و (موضونة) دوخل بعضها في بعض و (لا يصدعون عنها) لا يحصل لهم صداع منها و(لا ينزفون) لا يسكرون منها و(السدر) شجر النبق و(مخضود) قد خضد شوكه و (طلح منضود) شجر موز نضد بالحمل و(عربا) جمع عروب وهي المحببة الى زوجها و(يحموم) دخان أسود و(الحنث) الذنب و(الهيم) جمع أهيم وهيماء وهي التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى و(نزلهم) ما أعد لهم يوم الجزاء

يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ؟ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ (١٢) الصف

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ (١) اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَٰطِئُونَ (٣٧) الحاقة

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ (٢) نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

---

(١) خذوا، والهاء في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت و(صلوه) أوردوه إياها و(ذرعها) تقديرها و(غسلين) ماء يسيل من أهل النار من القيح والصديد والدم

(٢) اخلاط و(مستطير) فاش منتشر و(قمطرير) شديد العبوس وقوله (شمسا ولا زمهريراً) يعنى ان هواءها معتدل لاحر شمس يحمى ولا شدة برد تؤذي و(ذللت) سهلت للآكلين و(قدروها تقديرا) اي جعلها الطائفون بقدر

(٢) إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا (٣) إنا أعتدنا
للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا (٤) إن الأبرار يشربون من كأس
كان مزاجها كافورا (٥) عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا
(٦) يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا (٧) ويطعمون
الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا (٨) إنما نطعمكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (٩) إنا نخاف من ربنا يوما
عبوسا قمطريرا (١٠) فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة
وسرورا (١١) وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (١٢) متكئين فيها
على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا (١٣) ودانية عليهم
ظلالها وذللت قطوفها تذليلا (١٤) ويطاف عليهم بآنية من فضة
وأكواب كانت قواريرا (١٥) قواريرا من فضة قدروها تقديرا (١٦)
ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا (١٧) عينا فيها تسمى سلسبيلا
(١٨) ويطوف عليهم ولدان مخلدون، إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا (١٩) وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا (٢٠) عليهم
ثياب سندس خضر وإستبرق، وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم
شرابا طهورا (٢١) إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا
(٢٢) الانسان

إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ(١) يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ؟ (٣٦) المطففين

وَالْعَصْرِ(٢) (١) إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) العصر

---

(١) الاسرة و(رحيق) شراب خالص و(ختامه) مقطعه رائحة مسك و(مزاجه) طعمه و (فكهين) ملتذين بذكرهم والسخرية بهم و (حافظين) موكلين بهم و(ثوب) جوزي

(٢) روي عن الشافعي لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم ، روي انه كان الرجلان من أصحاب رسول الله (ص) اذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ثم يسلم أحدهما على الآخر لذلك رأيت أن تكون آخر سورة من كتابي

تم الكتاب ولله الحمد

﴿ فهرس كتاب آيات الله في الآفاق ﴾

حياة الله تعالى وعلمه

سمع الله وبصره وكلامه

حاجة الناس الى الرسالة

صفحة

الايمان بالله وكتبه ورسله

دلائل صدق الرسول ﷺ

عموم رسالة النبي ﷺ

الاعتبار بالماضين

وعد الله لا يتخلف

صفحة

البعث

الحساب

صفة اليوم الآخر

الجزاء في الآخرة

تم الفهرس ولله الحمد

تصويب الخطأ المطبعي في هذا الكتاب نرجو إصلاحه

ص ٦ س ١٧ يَعْقِلُونَ ـ ص ٨ س ٤ أفرَأَيْتُمُ ـ ص ٨ س ٧ شَجَرَتَهَا
ص ١٠ س ١٢ العَلِيُّ ـ ص ١٣ س ٢ مِنْ وَلِيًا وصوابها وَلِيًّا ـ ص ١٣
س ١٣ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ ـ ص ١٣ س ١٩ أنظُرْ ـ ص ١٣ س ١٩ لَهُمُ
ص ١٧ س ١٧ مِمَّا ـ ص ١٩ س ١٢ يُؤْفَكُونَ ـ ص ٢٤ س ١٧ مدحورا
ص ٢٧ س ٣ نُوحِي ـ ٢٧ س ٦ وما ـ ص ٣١ س ٦ عَلِمٍ ـ ص ٣٩ س
١١ بِكِتَبٍ ـ ص ٥١ س ٣ يفتَرُ ـ ص ٥٢ س ١١ في تشريعه ـ ص ٥٦
س ٩ أغنياء ـ ص ٥٩ س ٣ يَضِلُّ ـ ص ٦٠ س ٢ أُمْنِيَّتِهِ ـ ص ٦٠
س ١٨ الاعجم ـ ص ٦٥ س ٢ نفقًا ـ ص ٧٠ س ١٧ عَلَىٰ ـ ص ٧١ س ٩
تُؤْفَكُونَ ـ ص ١٠٠ س ١٧ المنافع ـ ص ١٢٨ س ٢٢ فَوْقَهُمْ ـ ص ١٣٠
س ٩ المَشَارِقِ ـ ص ١٣٠ س ١٩ نَخْلُقْكُمْ ـ ص ١٣٢ س ١٥ غُلْبًا ـ ص ١٣٣
س ٨ الإِنسانُ ـ ص ١٣٧ س ١ وَرَقَةٍ ـ ص ١٣٧ س ١٦ إلا على سبيل
ص ١٤٠ س ٦ إلا اللهُ ـ ص ١٤٤ س ٢ بَعْضٍ ـ ص ١٤٤ س ١٤ أَنظُرْ
ص ١٨٥ س ٦ فَمَا ـ ص ١٨٨ س ٩ مِمَّا أَنَا ـ ص ١٩١ س ٣ كَذَبَتْ ـ ص
٢٠٤ س ١٢ حَبَّةٍ ـ ص ٢٠٩ س ٨ لَكُمُ الأَمْثَالَ ـ ص ٢١٧ س ٣ كَفَرُوا
ص ٢٢٢ س ١ ثَمَنِيَةَ ـ ص ٢٢٣ س ٦ غُصَّةٍ ـ ص ٢٢٤ س ١٥ القِيَمَةِ
ص ٢٢٥ س ٦ نَاضِرَةٌ ـ ص ٢٣٤ س ١٣ بِهِ ـ ص ٢٣٤ س ١٧ وَأَزْوَاجِهِمْ
ص ٢٤٠ س ٤ مُهِينٌ

ملاحظه: وقع في بعض نسخ المقدمة صفحة ل سطر ١٥ كلمة بها والصواب به. و يضاف الى ص ٤٣ س ٢ (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ١٠٣)

مصادر الكتاب

القرآن الكريم	
تفسير المنار	للسيد رشيد رضا
التفسير الكبير	للفخر الرازي
تفسير الكشاف	للزمخشري
تفسير الجواهر	للشيخ طنطاوي جوهري
المفردات في غريب القرآن	للراغب الاصفهاني
مفتاح دار السعادة	لابن قيم الجوزيه
تفسير جزء عم يتساءلون	للاستاذ الامام







